۲۳

شرح دعاء صباح

همادوری

2521

اذا ما اعتز ذو علم بعلم
فعلم الفقه اشرف في اعتزازي
فكم طيب يفوح ولا كمسك
وكم طير يطير ولا كبازي

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

نحمدك اللهم يا من اذهب الليل مظلماً بقدرته وجا بالنهار

مبصراً برحمته ونصلي على اشرف بريتك محمد واله وعترته

وخاصة على محرم ضميرته وواقف سريرته وصاحب كريمته

اخيه صاحب السيف والقلم معدن الجود والكرم

اسد الله الغالب مظهر العجائب [الغرائب] علي بن ابيطالب اشرف

الانبيا والمرسلين ما خلا محمد خاتم النبيين صلوة متجددة

بتجدد الاصباح متكررة بتكرر الارواح وبعد

يقول الفقير الحقير الى الله الانس بمولاه الجليل محمد بن الحسين [العبد]

ابن محمد رضا المشهور باسمعيل عفى الله عن جرائمهم

بمحمد واله وقائمهم هذا الدعاء الشريف الموسوم بدعاء

الصباح الموصوف بمفتاح الفلاح ومصباح النجاح

قد اشتهرت نسبته الى جناب الحضرة المقدسة والساحة

المطهرة نور الثقلين ومجمع البحرين ابي الحسنين امير المؤمنين

وسيد الوصيين سلام الله عليهم اجمعين ونحن وان

لم نجده بسند صحيح متصل الى ذلك الجناب المستطاب

لكن نقل بعض الاصحاب انه وجده باسانيد صحيحة و

روايات صريحة متصلة اليه عليه السلام ومع قطع

النظر عن ذلك فعباراته الشافية وكلماته الوافية و

مضامينه العالية ونظمه الغريب واسلوبه العجيب

اعدل شاهد على صدوره من ذلك المصدر الاعلى

تبارك مصدرا ولقد احسن من قال ان كلامه بابي و

امي صلى الله عليه فوق كلام المخلوق ودون كلام الخالق

فلا اشتراك فيه ولا اشتباه بل حيثما كان ممتازا

امتياز قائله عن من قائل حيث بلغ بصفاته العليا مبلغا
لم يبلغه غيره واحد بل هو كما سماه راسه بل نفسه فقصدت
مع قصور الباع واختلال الاوضاع ان اشير الى جملة ما
في فقراته وعدة ما في كلماته اجابة لالتماس من ينبغي
اجابة التماسه وتسهيلا للدعاء ما في محل التباسه
فانه بحر عميق وكلام دقيق صدر من مصدر التحقيق وقد
شاع وذاع في هذه الازمان قرائته في كثير من اهل
الايمان وكادان يكون قرائة اغلبهم مجرد تحريك اللسان
لعدم وقوفهم بمعانيه المقصودة منه فيحتاجون الى
البيان لكيلا يكون حالهم حال مصروع تكلم بشئ ولم
يخطر معناه بالجنان وبالله الاستعانة للصواب وعليه
الثقة والتكلان بسم الله الرحمن الرحيم اقرب الى الاسم
الاعظم من سواد العين الى بياضه والرحمن والرحيم صفتان
مبنيتان للمبالغة من رحم كالغضبان من غضب والعليم

من علم والرحمة رقة القلب وانعطاف اى ميل روحاني
يقتضي التفضل والاحسان واذا وصف الله تعالى بها
كان المراد بها غايتها اى التفضل والاحسان لان
الرقة من الكيفيات المزاجية التابعة للتاثر والانفعال
والله سبحانه منزه عنها وهو اما من باب المجاز المرسل
بذكر السبب وارادة المسبب اذ الرحمة والرقة سبب التفضل
والاحسان واما على طريقة التمثيل بان شبه حاله تعالى
بالقياس الى المرحومين في ايصال الخير اليهم بحال الملك
اذا عطف على رعيته ورق لهم فاصابهم بمعروفه وانعامه
فاستعير الكلام الموضوع للهيئة الثانية للاولى
من غير ان يتمحل في شئ من مفرداته وعلى ذلك فقس
سائر الصفات التي لا يصح اتصافه تعالى بها سواء كانت
انفعالات كالرحمة والحياء والغضب ولا كالاستهزاء
والمكر والخداع ونحوها قيل ان صفات الله التي على

صيغة المبالغة كلها مجاز لانها موضوعة للمبالغة ولا مبالغة
فيها فان المبالغة تكون في صفات تقبل الزيادة والنقصان
وصفات الله تعالى منزهة من ذلك وفيه ان صيغ المبالغة
قسمان قسم تحصل المبالغة فيه بحسب زيادة الفعل
وقسم بحسب تعدد المفعولات ولا شك ان تعددها والثاني
لا يوجب للفعل زيادة اذ الفعل الواحد قد يقع على
جماعة وعلى هذا تنزل صفاته تعالى ويرتفع الاشكال
هذا وقد ورد في بعض الروايات ان الرحمن العاطف
على خلقه بالرزق لا يقطع عنهم مواد رزقه وان انقطعوا
عن طاعته والرحيم بعباده المؤمنين في تخفيفه عليهم
طاعاته وبعباده الكافرين في دعائهم الى موافقته
والرحمن اسم خاص بصفة عامة والرحيم اسم عام بصفة
خاصة والرحمن ابلغ من الرحيم لدلالة زياد المباني على
زيادة المعاني فعند اعتبار الابلغية فيه باعتبار الكمية

نظر الى كثرة افراد المرحومين يقال يا رحمن الدنيا ورحيم
الآخرة لشمول رحمة الدنيا للمؤمن والكافر واختصاص
رحمة الآخرة بالمؤمن وعند اعتبار الابلغية فيه باعتبار
الكيفية وهي جلالة الرحمة ودقتها بالنسبة الى مجموع كل
من الرحمتين يقال يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا
لجلالة رحمة الآخرة باسرها بخلاف رحمة الدنيا وباعتبار
نسبة بعض افراد كل من رحمة الدنيا والآخرة الى بعض يقال
يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما لان بعضا من كل
منهما اجل من بعض وبعضا من كل منهما ادق وقد
ورد كل ذلك في الادعية المأثورة عنهم عليهم الصلوة والسلام

يَا مَنْ دَلَعَ لِسَانَ الصَّبَاحِ بِنُطْقِ تَبَلُّجِهِ

يوجد في بعض النسخ اللهم يا من دلع فيكون عطف بيان
جيء به للمدح كما تجيء الصفة لذلك لا للايضاح فان
الله على الاصح علم للذات الواجب الوجود الخالق لكل شيء

فلا ابهام فيه ولا اشتراك ليحتاج الى الايضاح واحتمال
البدلية لذلك غير جيد والتاكيد غير مناسب مقدمة
صفة الذات ما يكون الذات بذاته كافية في تحققه
والاتصاف به لانه اما عين الذات كما هو الحق او
لازمه على القول بالزيادة بخلاف صفة الفعل
اذ الذات بذاته غير كافية في تحققها والاتصاف بها
بل هو باعتبار كونه مبدأ الفعل من الافعال يكون منشأ
لتحققها والاتصاف بها والفرق بينهما من وجوه
فان صفات الذات واجبة قديمة غير مقدورة لا يمكن
الاتصاف بها وبمقابلاتها بخلاف صفات الفعل
فانها ممكنة حادثة مقدورة يمكن الاتصاف بها
وبمقابلاتها والضابط ان كل شيئين متضادين
وصف الله تعالى بهما وهما في الوجود فهما من صفات الفعل
كالعفو والانتقام والرضا والسخط فانه يقال عفى

صفات

عمن تاب وانتقم عمن اصر ورضي عمن اطاعه وسخط على
من عصاه وصفات الذات لا يجوز وصفه تعالى بها
وبضدها فلا يجوز ان يقال هو عالم وجاهل او قادر وعاجز
وبالجملة كل صفة توجد فيه سبحانه دون نقيضها فهي من
الصفات الذاتية وكل صفة توجد فيه ونقيضها فهي من
الصفات الفعلية والمراد بصفات الجلال السلبية
وبصفات الجمال الثبوتية او المراد بالاول صفات الغضب
كالقهارية وبالاخر صفات الرحمة كالغفارية والرزاقية
وبعد تقديم هذه الجملة اقول لما كان من شرائط
اجابة الدعاء تقديم المدحة لله والثناء عليه قبل المسئلة
كما ورد في الخبر اذا طلب احدكم الحاجة فليثن على ربه وليمدحه
فان الرجل منكم اذا طلب الحاجة من السلطان هيأ له من
الكلام احسن ما يقدر عليه وفي كتاب صاحب الدعاء
امير المؤمنين سلام الله عليه ان المدحة قبل المسئلة

ذكره قبل ان يطلب منه تع حوائجه صفات عديدة ذاتية
وفعلية جمالية وجلالية تدل على مدحه وثنائه تع
مع رعاية مناسبة تلك الصفات لتلك الحاجات قضاءً
لحق العبادة وجرياً في مقام الفصاحة والبلاغة وهو
الذي قد بلغ في الفصاحة غايتها وتجاوز في البلاغة
نهايتها وقد قيل اذا اراد العبد ان يستجاب له فليدع
بما يناسبه من الاسماء الحسنى والامثال العليا وجعل
تلك الصفات المادحة جملة فعلية عاطلة عن حلية الدوام
والثبات ايماء الى ان التجدد اولى بالاعتبار في المقام
من الثبات والدوام لدلالته على ان تلك الآثار العجيبة
وهذه الافعال الغريبة متجددة شيئاً فشيئاً ومتصرمة
وقتاً فوقتاً فلا تخلو لمحة من انعام جديد ومزيد للاحسان
غب مزيد ثم لما كانت الافلاك مرتفعة عنها الحجب على
ما دل عليه بعض الاخبار وصرح به بعض الاخيار مدعياً

عليه اجماع المسلمين وكانت مدبرة مسخرة لله تع والملائكة
الموكلين بتحريكها مطيعين لله بامره لا يعصونه ما امرهم و
يفعلون ما يؤمرون صح اسناد الدلع والتسريح ما شاكل
ذلك اليه تع وتوصيفه بها والا ففي الحقيقة هذان الفعلان
من الافعال المنتمية الى الافلاك والمسببة من حركاتها و
من جزئيات بركاتها فالاسناد مجاز عقلي من حيث انه
سبب امر كقولهم بنى الامير المدينة وقطع الامير اللص
قال سيدنا المرتضى علم الهدى قدس سره في بعض مسائله
لا خلاف بين المسلمين في ارتفاع الحبوة عن الفلك وما
يشتمل عليه من الكواكب وانها مدبرة مسخرة مصرفة وذلك
معلوم من دين رسول الله صلى الله عليه وآله ضرورة انتهى
وذكر نحو ذلك في ملحقات الغرر والدرر قيل وللبحث في
دعوى الاجماع والعلم بذلك من الشريعة مجال اقول
لا مجال له وكثير من الاخبار الصحيحة والموثقة وغيرها

المذكورة في الفقيه وغيره صريحة فيما ادّعاه السّيّد وقد
ذكرنا نبذة منها في بعض رسائلنا مع ايمائنا هناك الى انّها
غير قابلة للصّرف والتّأويل فليطلب من هنالك وكذا الامر لو
بني على قانون الفلاسفة وقيل انّ الافلاك باجمعها
حيّة مطيعة لمبدعها وغرضها من حركاتها التّشبّه
بجنابه والتّقرب اليه جلّ شانه فانّ افعالها لمّا كانت
مضمحلّة في فعله تع وارادتها مستهلكة في ارادته
جاز وصفه بذلك كما مرّ لما مرّ او يقال انّه اشارة الى
مقام توحيد الافعال بان لا مؤثّر في الوجود الّا الله
كما ذهب اليه قوم منهم الحكماء القائلون بانّ الله تع
هو الفاعل الحقيقي لجميع الممكنات وانّ ما عداه بمنزلة
الشّرائط والالات كما فهمه من كلماتهم بعض المتأخّرين
والفضل للسّابق كما انّ القصور للمتأخّر هذا واثر كلمة
يا من بين حرف النّداء الموضوعة للنّداء البعيد على ما

نقل عن الزّمخشري وابن هشام مع انّه سبحانه اقرب اليه
من حبل الوريد هضماً لنفسه واستبعاداً لها عن مظانّ
الزّلفى رعاية لقانون الادب الّذي هو داب السّالكين
وطريقة العاشقين فانّ طرق العشق كلّها اداب او
تعظيماً وتبعيداً للحضرة المقدّسة والسّاحة المطهّرة
عن قرب الدّاعي المكدّر بالكدورات البشريّة والمنغمس
بالانغماسات الهيولانيّة او تنبيهاً على شدّة حرصه
وقوّة رغبته على اقباله كانّه امر بعيد وعلى ما ذهب اليه
الشّيخ ابن الحاجب من انّها تعمّ القريب والبعيد لانّها
لطلب الاقبال مط فلعلّ الوجه في ايثارها انّ ما عداها
يقتضي قرب المكان او بعده بخلافها فانّها لا تقتضي شيئاً
منهما وفيه انّ التّعميم لا يقتضي ذلك غاية الامر
انّها جنس منحصر في نوعين فلا بدّ من وجوده في ضمن
افرادها فالحقّ انّها موضوعة للنّداء البعيد وقد بيّنّا

بها القريب تنزيلاً له منزلة البعيد إمّا لعظمته او لغفلته
او للاعتناء بالمدعوّ له وزيادة الحثّ عليه وهذا ايضاً
يصلح ان يكون وجهاً آخر لايثارها هنا قال ابن المنير واصلها
صوت تهتف به لمن كان بعيداً منك ثمّ استعمل في كل
نداء وان قرب المنادى كأنك تقدّر المخاطب ساهياً عنك
وكفى بالغفلة بعداً فتوقظه بذلك الصّوت من سنة
السّهو ثمّ تؤذنه بخطابك وان كان مصغياً بانّ الأمر
الّذي بعده مهمّ عندك وكانّه في غفلة عنه فتريد
يقظة الى يقظة بالتّصويت ثمّ قال فان قلت فقد
استعمل هذا الحرف في الدّعاء وقد علم انّ الله تعالى
لا يجوز عليه السّهو ولا الغفلة ولا البعد فانّه اقرب
الى الدّاعي من حبل الوريد قلت استقرّ انّها بالاتّساع
صارت مؤذنة باهتمام المتكلّم بالمقصود الّذي يأتي
بعدها اعمّ من ان يكون السّاهي غافلاً او حاضراً او ظاهراً

الاهتمام

الاهتمام بالحاجة من قبيل الضّراعة والحاح المطلوب
في الدّعاء وقال الزّمخشريّ وقول الدّاعي في جؤاره
يا الله يا ربّ مع كونه اقرب اليه من حبل الوريد استصغاراً
نفسه واستبعاداً لها في مظانّ الزّلفى وهو اقناعي لانّ
الدّاعي يقول في دعائه يا قريباً غير بعيد وربّما قال يا من هو
اقرب اليّ من حبل الوريد فاين هذا من الانتصاب في مقام
البعد انتهى كلام ابن المنير واجيب عنه بانّ هذا الكلام
من الدّاعي غير منافٍ لانتصابه في مقام البعد ولا بعد منه
لانّ المراد استصغار نفسه واستبعادها ممّا يقربه الى
رضوان الله انتهى وليس المراد بندائه تعالى اقباله وتوجّهه
بوجهه او بقلبه على ما يزعمه المجسّمة والمشبّهة ومن يحذو
حذوهم تعالى عن ذلك بل المراد بكونه مطلوب الاقبال
كونه مسئول الاجابة او الاقبال هنا كناية من ~~الاعتنا~~
الاعتناء والاكرام لانّ من اعتنى باحد واكرمه التفت

اليه واقبل بوجهه عليه فلا حاجة الى القول بان ندائه
تع مجاز لتشبيهه بما له صلوح النداء اذ القول بانه غير
صالح للنداء بعيد مع ان القول بالتشبيه ايضا غير مناسب
والموصول من بين المعارف ليتمكن من اجراء تلك الصفات
عليه فيكون ادل على غرض المسوق له الكلام لانه تع لما
كان قادرا على تلك الافاعيل العجيبة والاثار الغريبة
كان قادرا على انجاح مآربه واسعاف مطالبه التي ستاتي
عقيب ذلك او ليشير به الى مدعوه ومناداه انما يمكن
ان يعرف بواسطة تلك الصفات والصلات على ما هو
وضع الموصول او لينبه على ان تلك الصفات والصلات
معلومة الانتساب اليه فلا يذهب منها وهم الى غيره
اذ العلم بمضمونها ونسبتها اليه فطري بديهي حاصل
لكل احد من الموحدين والمشركين والمقرين والمنكرين
ولذا حين ما قال خليل الرحمن ان الله ياتي بالشمس من المشرق

فات

فات بها من المغرب لم يمكنه معارضته ومجادلته لعلمه بان
القادر على ذلك ليس الا هو ولذا سكت وبهت كما اخبر الله
سبحانه عنه بقوله تع فبهت الذي كفر او ليشعر بان
الباعث له على دعائه انما هو اتصافه بتلك الصفات
والصلات وقوله دلع فيه التفات من الخطاب الى
الغيبة واطناب للايضاح بعد الابهام تفخيما
لشان المبهم وتعظيما له والدلع الاخراج ومنه انه
كان يدلع لسانه للحسن اي يخرجه حتى يرى حمرته
فيهش اليه يقال دلع وادلع ومنه الحديث ان امراة
رات كلبا في يوم حار قد ادلع لسانه من العطش ومنه
يبعث شاهد الزور يوم القيمة مدلعا لسانه في النار
وفي القاموس دلع لسانه كمنع اخرجه كادلعه فدلع كمنع و
نصر دلعا ودلوعا وانما عبر عن ظهور ضوء الصبح
تباشيره وابتدائه بدلع لسانه لانه انصداع ظلمة

عن نور ولهذا يسمّى بالصّديع وكأنّ الافق كان بحرًا
مملوًّا من الظلمة ثمّ انّه تعـ شقّ ذلك البحر المظلم بان اجرى
فيه جدولا من النّور وبعبارة اخرى انشقاق ظلمة
اللّيل بظهور الصّبح المستطير وهو اثر ضوء الصّبح يرى
كانّه جدول ماء صاف يسيل في بحر كدر بحيث لا
يتكدّر الصّافي بالكدر ولا يختلط الكدر بالصّافي
فذلك الجدول هو المعبّر عنه بلسان الصّباح و
قد يقال له عمود الفجر والمراد انّه تعـ فلق الظلمة
فانشقّت عن ضوء يستضئ به ما كان كمدًا في نفسه
كثيفًا في جوهره كالارض واجزائها المتّصلة والمنفصلة
واللّسان في الاصل معناه الفصاحة ومنه اللّسن
اى الفصيح وانّما سمّيت تلك الجارحة به لكونها
آلة لافصاح المعاني وايضاحها واضافته الى
الصّباح اضافة اللّجين الى الماء في قوله شعر

والرّيح تعبث بالغصون وقد جرى ذهب الاصيل على لجين الماء
حيث قدّم المشبّه به على المشبّه واضيف اليه اى اصيل
كالذهب على ماء كاللّجين وكذا الكلام في نطق تلجلجه
على ما سيأتي وعلى هذا فليس في الكلام استعارة
بل فيه تشبيهان فقط ويحتمل ان يكون الاضافة
فيه لامية كما سنشير اليه انشاء الله العزيز وبما قرّرنا
ظهر ان لا حاجة الى القول بالتجريد بانّ الدلع عبارة
عن اخراج اللّسان من الفم فهو على طريقة يسفك الدّماء
وسبحان الذي اسرى وفي لسان الصّباح براعة استهلال
بعبده ليلا
لانّ هذا الدّعاء لمّا كان موضوعًا لان يطلب به
الدّاعي خير صباحه فذكره في مقام الوصف والثّناء
براعة بارعة كما لا يخفى والصّباح اوّل النّهار اذا
جاء ضياؤه وهو الفجر ومثله الصّبح وقد يطلق
على منتصف اللّيل الى آخر الزّوال كما نقله ابن الجواليقي

عن العرب والجمع اصباح والمراد به هنا اول النهار
وهو ضوء الشمس يظهر في جانب المشرق قبل طلوعها
لانها اذا قربت من الافق الشرقي مال مخروط ظل الارض
عن سمت الرأس وقربت الاجزاء المستضيئة في حواشي
الظل من البصر وفيه ادنى قوة فيدركه البصر وكلما
ازدادت الشمس قربا من الافق ازداد ضوء نهايات
الظل قربا من البصر الى ان تطلع الشمس ومظهره
اما كرة البخار القابل للظلمة والنور او ما يقارب الافق
من الاجزاء البخارية المختلطة بالهواء القابلة للضوء
لكونها متلونة في الجملة فيتحقق شرط التكيف بالضوء
والكلام فيه وفيما فيه يطلب من موضع آخر ثم الظاهر
ان المراد بالصباح هنا هو الفجر المستطير المسمى بالصادق
لان الاطلاق منصرف اليه لكونه منساقا الى الذهن
لا المستطيل المسمى بالكاذب وان كان كل منهما

يطلق

يطلق عليه الصباح كما ورد في الخبر لا يغرنكم الفجر
المستطيل فكلوا واشربوا حتى يطلع الفجر المستطير
ولان الصادق والكاذب من الصباح وان كان لكل
منهما لسان مدلع ونطق والا لم يتصور منهما
صدق ولا كذب الا ان التبلج والاشراق مما
يلائم الصدق بل هو نفسه لان الضوء عند قرب
الصباح يظهر مستدقا ضعيفا مستطيلا كالعمود
ويشبه بذنب السرحان لدقته واستطالته ويبقى وجه
الارض على ظلامه بظلها ثم يزداد الضوء الى ان
يأخذ طولا وعرضا فينبسط في عرض الافق كنصف الدائرة
وهذا اول التبلج والاسفار فتأمل ونطق ينطق
من باب ضرب تكلم بصوت وحروف يعرف بها
المعاني ويقال نطق اللسان كما يقال نطق الرجل
والنطق يطلق على الظاهر الذي هو اللفظ والباطن

الذي هو ادراك الكليات وعلى القوة التي هي مصدر
ذلك الفعل ومصدر هذا الانفعال اعني الناطقة
والمراد به هنا الاول على وجه الاستعارة والباء
فيه اما بيانية او آلية او سببية واضافة الى التبلج
اضافة الذهب الى الاصيل حيث شبه التبلج الذي هو
السبب لكشف الستر بالنطق الذي هو السبب لظهور ما
في الضمير ثم قدم عليه واضيف اليه وكما ان النطق
لازم للسان المتكلم فكذا التبلج لازم للسان الصباح
او لامية او فيه بيانية وفي تبلجه لامية والضمير فيه
يعود الى الصباح والتبلج الاشراق والاضائة يقال
بلج الصبح وتبلج وابتلج اذا اشرق واضاء واسفر والبلجة
بالضم والفتح ضوء الصبح وفي الحديث ليلة القدر
بلجة اي مشرقة ومنه ما نقل عن السيد الحميري
في رد الشمس على صاحب الدعاء ثم ردت عليه الشمس

لما فاته وقت الصلوة وقد دنت للمغرب حتى تبلج نورها
في وقتها للعصر ثم هوت هوي الكوكب وقد عرفت
ما في الكلام من التشبيه وذلك ان تقول تشبيه الصباح
في النفس بالشخص المتكلم لجامع الاظهار والكشف اذ
الصباح كاشف الستر كما ان المتكلم كاشف الضمير استعارة
بالكناية واثبات اللسان له تخييل وهذه الاستعارة
قرينة الاستعارة الاولى كالاظفار للمنية في قوله
واذا المنية انشبت اظفارها لان المكنية والتخييلية على مذهب
صاحب الايضاح ومن يرى رأيه متلازمان لا
يتحقق احديهما بدون الاخرى اذ التخييلية على هذا
المذهب يجب ان تكون قرينة المكنية كما انها يجب ان
تكون قرينة التخييلية البتة والنطق اما ترشيح او
تخييل وفي دلع استعارة تبعية او هو محمول على حقيقته
وانما قلنا على هذا المذهب لان صاحب الكشاف

والمحققين من شراح كلامه يقولون ان المكنية قد توجد
بدون التخييلية وان قرينتها قد تكون تحقيقية تصريحية
كاستعارة النقض لابطال العهد في قوله تعالى الذين
ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه حيث استعار
الحبل للعهد وهي مكنية ونبه عليها بذكر النقض الذي
هو ابطال تاليف الجسم وهي استعارة تحقيقية تصريحية
حيث شبه ابطال العهد به واطلق اسم المشبه به على
المشبه وهذا معنى قوله في الكشاف شاع استعمال النقض
في ابطال العهد من حيث تسميتهم العهد بالحبل على
سبيل الاستعارة لما فيه من اثبات الوصلة بين المتعاهدين
ومنه قول ابن التيهان في بيعة العقبة يا رسول الله ان
بيننا وبين القوم حبالا ونحن قاطعوها فنخشى ان الله
عز وجل اعزك واظهرك ان ترجع الى قومك وهذا
من اسرار البلاغة ولطائفها ان يسكتوا من ذكر الشيء

المستعار ثم يرمزوا بذكر شيء من روادفه فينبهوا بتلك
الرمزة على مكانه ونحو قولك شجاع يفترس اقرانه و
عالم يغترف منه الناس لم تقل هذا الا وقد نبهت على
الشجاع والعالم بانهما اسد وبحر انتهى كلامه قال
العلامة التفتازاني استفدنا منه ان قرينة الاستعارة
بالكناية لا يجب ان تكون استعارة تخييلية بل قد تكون
تحقيقية وقال صاحب الكشف دل كلامه من غير تكلف
على ان الروادف المؤتى به قد يكون ما لا يستقل والغرض
منه التنبيه فقط كما في مخالب المنية وقد يكون ما تستقل
وان تفرع على الاول كالنقض والاعتراف للابطال
والانتفاع ونحن في ذلك تابعه انتهى وههنا يصح
ان يقال استعار الصباح للشخص المتكلم وهي مكنية
ونبه عليها بذكر اللسان الذي هو الة الافصاح والايضاح
وهي استعارة تصريحية حيث شبه ايضاح الصباح و

اظهاره الاشياء كما ينبغي باللسان ثم اطلق اسم المشبه به
على المشبه فتأمل فيه وحاصل المعنى انه ادعو وانادي
الذي اخرج لسان الصباح بان جعله مشرقا مضيئا
للعالم معربا لما فيه من الاشياء كالنطق الذي هو معرب
لذات الصدور او باظهار نوره واعراض ضوئه ايضاح
ضوء الصباح انما هو من ضياء الشمس قطعا وبيان ذلك على ما
حرره ارباب الهيئة ان المستضيء بالشمس من الارض اكثر
من نصفها دائما لانها (اي لان الشمس اعظم من الارض) اعظم منها ومتى استضاءت كرة
صغرى من كرة عظمى كان المستضيء من الصغرى اكثر من
نصفها والمظلم اقل ويكون ظلها مخروطيا فظل الارض
على هيئة مخروط يلازم رأسه مدار الشمس وينتهي في
فلك الزهرة كما علم بالحساب والنهار مدة كون المخروط
تحت الافق والليل مدة كونه فوقه فاذا ازداد قرب الشمس
من شرقي الافق ازداد ميل المخروط الى غربيه ولا يزال

كذلك حتى يرى الشعاع المحيط به واول ما يرى منه هو
الاقرب الى موضع الناظر لانه اصدق رؤيته وهو
موضع خط يخرج من بصره عمودا على الخط المماس للشمس
والارض فيرى الضوء مرتفعا عن الافق مستطيلا و
ما بينه وبين الافق مظلما لقربه من قاعدة المخروط
الموجب لبعد الضوء هناك عن الناظر وهو الصبح الكاذب
ثم اذا قربت الشمس جدا يرى الضوء معترضا منبسطا و
هو الصبح الصادق ومنهم من قال انما سمي الاول كاذبا
لانه معقب بالظلمة بناء على فناء ضوئه وزوال التجلي في
الثاني وفيه ان الضوء لا ينتفي بل يختفي لغلبة الضوء
الثاني عليه كما ان ضوء المصباح يختفي في جنب ضوء
الصباح هذا وهذا لا ينافي كونه تعالى فالقه كما ان
وجود النهار بطلوع الشمس لا ينافي كونه تعالى خالقه
والفخر الرازي اراد ان يبين ان ذلك بقدرة الفاعل المختار

فنفى كون الصبح بضوء الشمس بدلائل اخترعها وكلها
خلاف المعقول والمنقول من علوم الرياضية فكانت ساقطة
عن درجة الاعتبار زائفة عند اولى الابصار **تذنيب**
للصبحين علامة شرعية يعرفان بها قال سيدنا الصادق
عليه السلام وقت الغداة اذا اعترض الفجر فاضاء حسنا واما
الفجر الذى يشبه ذنب السرحان فذلك الفجر الكاذب
والفجر الصادق هو المعترض كالقباطى فى ق القبط بالكسر
اهل مصر واليهم ينسب الثياب القبطية بالضم على غير
قياس والجمع قباطى وقال عليه السلام الفجر هو الذى
اذا رايته كان معترضا كانه بياض نهر سورى
فى القاموس سورى كطوبى موضع بالعراق وهو
من بلد السريانيين وموضع من اعمال بغداد وقد يمد

وَسَرَّحَ قِطَعَ اللَّيلِ المُظلِمِ بِغَيَاهِبِ تَلَجلُجِهِ

معطوفة على دلع وما فيه من رعاية محسنات الوصل

بعد تحقق مجوزاته غير خفى اما الاولى فلتناسبهما
فى الفعلية والفعليتين فى الماضوية واما الثانية
فلاتحاد المسند اليه والمناسبة الظاهرة بين المسندات
وتسريح الماشية اسامتها يقال سرحت الماشية
اى نفشتها واسمتها وارسلتها للرعى وسرحت
هى بنفسها رعت وهو من الافعال اللازمة والمتعدية
وسرحتها بالتثقيل مبالغة وتكثير والمراد بالسرح
هنا التخلية وعدم المنع كما تسرح الماشية فى المرعى
وهو استعارة تبعية او مكنية كما سياتى وتسريح
المراة تطليقها ومنه فامساك بمعروف او تسريح
باحسان وفيه ايماء لطيف الى ان تلك القطع متعقلة
بعقال مشيته وفى ذهابها وايابها وطلوعها و
افولها مؤتمرة باوامره فاذا امر الملك الموكل بتحريك
الفلك ان يحركه حركة الى ان تنقضى تلك القطع بحذافيرها

وبذلك يدلع لسان الصّباح ولوامره بتسكينه سكنه
فيبقى سكّان هذا العالم على ظلامه قل ارايتم ان جعل
الله عليكم اللّيل سرمدًا الى يوم القيمة من اله غير الله
ياتيكم بضياء افلا تسمعون والقطع جمع قطعة و
في الارض قطع متجاورات كانّما اغشيت وجوههم
قطعًا من اللّيل مظلمًا واللّيل هو الزّمان الّذي يقع
ما بين غروب الشّمس وطلوعها عند اهل اللّغة
وما بين غروبها وطلوع الفجر الصّادق عند اهل
الشّرع وقد سبق انّه عبارة عن مدّة كون مخروط
ظلّ الارض فوق الافق وبعبارة اخرى اذا كان
مركز الشّمس تحت الافق الحقيقيّ فهو زمان اللّيل
والعامّة يعتبرون جرمها وضوئها فاذا كان جرم
الشّمس بتمامه غائبا عن النّظر لا لمانع كان زمان
اللّيل وفي عرف المتشرّعة ابتداء اللّيل عند اهل السّنة

من زمان بمجاوزة جرم الشّمس بتمامه عن الافق الغربي
وعند الاماميّة على المشهور من زوال الحمرة المشرقيّة
وظهور الظّلمة في ذلك الجانب وقيل علامته استتار
القرص ولا عبرة بالحمرة وفيها كلام يطلب من كتب
الفروع وانتهاؤه بالاتّفاق عند طلوع الصّبح و
لما كان اللّيل عبارة عن الزّمان المذكور وكان
الزّمان من الكمّيّات المتّصلة القابلة للقسمة بذاتها
كانت له اجزاء وقطع والظّاهر انّ المراد بقطعه
ساعاته وانا ترود دقايقه وثوانيه وثوالثه وروابعه
الى غير ذلك من المقادير المذكورة في كتبهم فانّهم
قسّموا اليوم بليلته على اربعة وعشرين قسما متساويا
وسمّوا كلّ قسم ساعة وقسّموا كلّ ساعة بستّين قسما
وسمّوا كلّ قسم دقيقة وسمّوا السّاعات المذكورة
مستويات لتساويها في المقدار ابدًا طال كلّ من

الليل والنهار ام قصر لكنها تختلف في العدد بحسب
طول كل منهما وقصره وقد يقسمون كل يوم وكل
ليلة باثنى عشر قسما ويسمونها الساعات الزمانيات
والمعوجة لعدم تساويها في المقدار وان استوت
في العدد فان مقدار كل ساعة يزيد وينقص بحسب
طول كل من الليل والنهار وقصره لكنها لا تختلف
في العدد فهي عكس المستويات فهذه الدقايق
والساعات هي المراد ههنا بالقطعات او المراد
بها طلوع قطعة قطعة من القوس التي بين نقطتي
المشرق والمغرب تحت الارض من دائرة مدار الشمس
اعني طلوع قوس الليل شيئا فشيئا وافولها كذلك
والظلمة ماخوذة من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا
اى ما منعك لانها تسد البصر وتمنع الرؤية و
بغياهب تلجلجه نظير بنطق تبلجه والغيهب الظلمة

والشديد السواد من الخيل والليل يقال فرس ادهم
غيهب اذا اشتد سواده وليل غيهب مظلم والجمع الغياهب
ومنه ما قيل ارقب الكوكب وارمق الغيهب والتلجلجة
والتلجلج التردد في الكلام فهو صفة المتكلم اذا ثقل
لسانه فلم يقدر على تقرير مرامه وتحرير كلامه اما لدهشته
او خشيته او ما شاكل ذلك ومنه قولهم المنكر ما يصدر
عن الكافر من التلجلج عند سؤال الملكين وقولهم في
المثل السائر الحق ابلج والباطل لجلج اى الحق ظاهر
والباطل متردد وقريب منه الحديث المشهور خذ الحكمة
انى كانت فان الحكمة تكون في صدر المنافق فتلجلج في
صدره حتى تخرج فتسكن الى صواحبها في صدر
المؤمن فتشبيه قطع الليل بقطع الماشية استعارة
مكنية واثبات التشريح لها تخييل او ترشيح وفي
سرح باعتبار ضمير الفاعل استعارة تبعية اذ الغرض

منه تمثيل حاله تعالى في ارساله واذهابه قطع الليل
شيئا فشيئا بحال الراعي في تسريحه قطيع الماشية
مكانا فمكانا الا انه لم يصرح في جانب المشبه به بما
بازاء المشبه من الالفاظ الا بكلمة سرح فان مدلولها
هو العمدة في هذه الهيئة وما عداه تبع يلاحظ في
ضمن الفاظ منوية فلا يكون لفظ سرح استعارة
ويمكن جعله من قبيل التمثيل المفرد بان يشبه ذات
الله تع عن ذلك بالراعي ويشبه قطع الليل بقطيع الغنم
وارساله اياه بتسريحه اياها الى غير ذلك من الاعتبارات
ولعل الاول اولى بالاعتبار عند اولي الابصار وانما
اضاف التلجلج اليه باعتبار ان الاشياء الواقعة فيه
لا يمكن تشخيصها ولا تمييزها كما ان من له التلجلج
لا يمكن تمييز كلامه وفهم مرامه فالليل كالحيوان
الصامت او الانسان الابكم في انه لا يمكن ان يفهم

غرضه من صوته او يصعب والنهار كالحيوان الناطق
الفصيح المفهوم غرضه من صوته واضافة الغياهب الى
التلجلج اضافة المشبه الى المشبه به او بالعكس والباء
فيه للملابسة والمراد انه دعا من اذهب قطعه تدريجا
في حال تلبسها بالظلمات المشبهات بالتلجلج **تذنيب**
تقديم الجملة الاولى على الثانية والنظم الطبيعي
يقتضي العكس اما للاهتمام بشان الصباح وغاياته
او للاشعار بتقديم النور على الظلمة والقول بان الظلمة
هي الاصل والنور طار عليها بسترها ثم الاستدلال
عليه بقوله تع اولم يروا ان السموات والارض كانتا
رتقا ففتقناهما اي كانتا مظلمتين ففتقهما الله
باظهار النور فيهما اذ لا يكون مع الرتق الا الظلام
فهو سابق على النور وبما قد ثبت ان القيمة لا تقوم
الا نهارا فدل على ان ليلة اليوم سابقة على نهارها

اذ كلّ يوم له ليلة فكان الليل قبل النهار يدفعه
قول الرضا عليه السلام انّ طالع الدنيا السرطان والكواكب
في مواضع شرفها زحل في الميزان والمشتري في السرطان
والشمس في الحمل والقمر في الثور فذلك يدلّ على كينونة
الشمس في الحمل في العاشر من الطالع في وسط السماء
فالنهار خلق قبل الليل انتهى او للايماء الى انّه وجودي
والظلمة عدميّة اذ هي عدم النور عمّا من شانه ان يصير
مستنيرا والملكات اصل بالنسبة الى الاعدام قال
صاحب الكشف الظلمة عبارة عن عدم النور هذا هو
المطابق للغة وعليه المحققون وزيادة عمّا من شانه النور
غير مسموع انتهى وقال السعد التفتازاني اذا اجري
عدم النور على اطلاقه كان بين النور والظلمة تقابل
الايجاب والسلب وان زيد عمّا من شانه فبينهما تقابل
الملكة والعدم وعند بعض المتكلمين هي عرض ينافي النور

فبينهما

فبينهما تقابل التضادّ انتهى وهي على هذا وجوديّة و
على الاوّلين عدميّة والمناقشة بانّ الظلمة مرئيّة ولا شيء
من الاعدام كذلك واهية اذ لا نجد فرقا بين اغماض العين
في الظلمة الشديدة وفتحها كما تشهد له التجربة

وَاَتقَنَ صُنعَ الفَلَكِ الدَّوّارِ في مَقادِيرِ تَبَرُّجِهِ

اتقن الامر احكمه والمراد انّه جعله محكما قويّ الخلق
ثابتا لا ينهدم من حيث الاركان ولا يؤثّر فيه مرور
الازمان وبنينا فوقكم سبعا شدادا وجعلنا السماء
سقفا محفوظا والصّنع بالضمّ مصدر قولك صنع
اليه معروفا وصنع به صنيعا قبيحا اي فعله كذا قال
الجوهري في ص وتبعه صاحب ق فقال صنع اليه
معروفا كمنع صُنعا بالضمّ فعله والشيء عمله وقال
الراغب الصّنع اجادة الفعل فكلّ صنع فعل وليس كلّ
فعل صنعا قال الله تعـ صنع الله الذي اتقن كلّ شيء انتهى

والفرق بين صنع الشئ وخلقه ان الصنع عبارة عن
اخراجه من العدم الى الوجود والخلق عبارة عن تقديره
على مقتضى الحكمة اخرجه الى الوجود ام لا فكل ما يخرج
من العدم الى الوجود مفتقر الى تقديره اولا والى
ايجاده على وفق التقدير ثانيا والى تصويره بعد
الايجاد ثالثا وهذا كالبناء المحتاج الى تقدير ما
لا بد منه فى وجوده من الخشب واللبن ومساحة الارض
وعدد الابنية وطولها وعرضها وهذا يتولاه المهندس
ثم يحتاج الى بناء يتولى الاعمال التى عندها تحدث
اصول الابنية ثم الى مزين ينقش ظاهره ويزين صورته
هذا فى غير افعاله تعالى واما فيها فان ذاته بذاته هو
الخالق والصانع والمصور من حيث ترتيبه صور
المصنوعات احسن الترتيب المشاهد هذا واضافة
الصنع الى الفلك اضافة المجرد الى القطيفة والاخلاق

الى الثياب اى الفلك المخلوق المصنوع والفلك بفتحتين
مدار النجوم سمى بذلك تشبيها بفلكة الدولاب والمغزل لمشابهته
لهما فى الدوران قال ابو ريحان ان العرب والفرس سلكوا
فى تسمية السماء مسلكا واحدا فالعرب سموه فلكا
تشبيها له بفلكة الدولاب على محور وقطبين والفرس
سموه اسمان تشبيها له بالرحى فان اس بلغتهم الرحى
ومان دال على التشبيه اقول فكما ان فلكة الدولاب
الخسيس يحتاج فى وجوده ودورانه الى موجد يوجده
ومدبر يدبره ومدير يديره كذلك هذا الدولاب الاشرف
الاعظم المصنوع بحكمة تقصر فيها اذهان البشر يحتاج
الى موجد يوجده ومدير يديره هذا الدوران الدائم
بهذا التقدير والوزن فهو ادل دليل على وجود صانعه
وقدرته وعلمه وحكمته اذ الضرورة قاضية بان فاعل
هذه الامور المشتملة على لطائف الصنع وبدائع

النظم والترتيب عالم لطيف خبير والمراد بالفلك جنسه
او الالف فيه للاستغراق فيشمل الافلاك الكلية
والجزئية باسرها والدوّار من ابنية المبالغة من
دار يدور واذا طاف حول الشيء واذا عاد الى الموضع الذي
ابتدأ منه والعرب قد بنت مثال من كرّر الفعل على فعّال
فقالوا للكثير السؤال سأّال والاسناد الحقيقي في
العرف واللغة هو ما يكون من حق الاسناد ان يسند
اليه سواء كان فاعلا حقيقيا او علة قابلية فانّ
اهل العرف يسندون الافعال الى تلك الاسباب
ولا يدققون فيها التدقيقات الكلامية فاسناد
الدوران اليه لا ينافي ما ورد انّ الله وكّل بالفلك
ملكا معه سبعون الف ملك وهم يديرونه فاذا دار
دارت الشمس والقمر والنجوم معه ومخالفته لقوانين الفلاسفة
غير مضرّ لانها نظريات لم يثبت ببرهان فالقول بها وهمي

لا ينافي

لا يعارض النصوص الشرعية ولا سيما اجماعهم كما
سبق قال غياث الدين منصور قدس سره الذي
يستفاد مما افاده القدماء من الحكماء انّ كل فلك
كلّي شخص واحد فكلّ من الكليات التي للسيارات السبع
شخص له قلب هو كوكبه واعضاء هي افلاكه الجزئية
وبدن هو الفلك الكلي والنفس الفلكية يتعلق اولا
بالقلب الذي هو الكوكب ثم بغيره من الاعضاء وهذا
كالشخص الانساني فانّ نفسه اولا تتعلق بروحه
الحيواني الذي في القلب ثم بسائر اعضائه والارادة
النفسية في الكوكب فالنفس بالارادة الكوكبية
تحرك البدن وسائر الاعضاء على ما شاء واراد
كما انّ كل انسان وحيوان يحرك بدنه واعضائه
على ما اراد انتهى وقد قرر اصحاب الارصاد مقتضى
ما ادّت اليه ارصادهم انّ كل نقطة نفرض على مقعّر الفلك

التاسع تتحرك فی عشر عشر سبع ساعة مستوية احد و
سبعين الف فرسخ وستمائة وست فراسخ واستنبطوا
منه انه فی مدة ما يتلفظ بلفظ واحد تتحرك الفا وسبع مائة
واثنين وثلثين فرسخا فالوجه فی مبالغة دورانه كما و
كيفا ظاهر ثم لو كانت للارض حركة وضعية من المغرب
الى المشرق وكانت الحركة السريعة من المشرق الى المغرب
وهی اليومية مستندة اليها والبطيئة المختلفة من المغرب
الى المشرق وهی الخاصة مستندة الى الفلك كما زعمه
قوم لما صح وصفه بالدوار حول الارض ففيه دلالة
على بطلان ما ذهبوا اليه الا ان يقال لا منافات
بين البطؤ فی الحركة والمبالغة فی الدوران بحسب
العدة بمعنى صدور هذا الفعل منه مرارا كثيرة بحسب
طول المدة نعم بينهما منافاة بحسب الشدة فتامل
ايضاح ذهب الفلاسفة الى ان الافلاك باجمعها

حية

حية ناطقة عاشقة مطيعة لمبدعها وخالقها و
اكثرهم على ان غرضها من حركاتها نيل التشبه بجنابه
والتقرب اليه جل شانه وبعضهم على ان حركاتها
لورود الشوارق القدسية عليها انا فانا فهی من قبيل
الطرب والرقص الحاصل له من شدة السرور والفرح
وذهب جمع منهم الى انه لا ميت فی شیء من الكواكب ايضا
حتى اثبتوا الكل منها نفسا تحركه حركة مستديرة على
نفسه وابن السينا فی الشفا مال الى هذا القول و
رجحه فی الاشارات وقال العلامة البهائی قدس سره
فی الحديقة الهلالية لم يرد فی الشريعة المطهرة
ما ينافی ذلك القول ولا قام دليل عقلی على بطلانه
ولو قال به قائل لم تكن مجازفا ثم قال واذا جاز ان
يكون لمثل البعوضة والنملة فما دونها حيوة فای
مانع من ان يكون لتلك الاجرام الشريفة ذلك

ملائكه تن من ملك جان است

وتبعه فی ذلك كله القاسانی قدس سره فی تعليقاته
علی هذا الدعاء وقال ما قال ثم زاد عليها ابياتاً فارسية
حيث قال انشد بعضهم

از ملك نه فلك چو گردان است / فلك آمد تن و ملك جان است
عرش و كرسی و جرمهای كرات / كمتر است از بهائم و حشرات
خنفسا و مگس چنار و قبان / همه با جان و مهر و مه بيجان

اقول قول ابن السينا واضرابه باعترافهم ليس بحجة
بركن اليها الديانون فی امثال تلك المطالب ولا سيما
اذا كان مجرد دعوی عرية عن الحجة والبرهان مخالفاً
لما انعقد عليه اجماع المسلمين كما نقله السيد السند
الجليل المرتضی علم الهدی كما سبق وكفی به ناقلا
اذا قالت حذام فصدقوها فان القول ما قالت حذام
حيث قال لا خلاف بين المسلمين فی ارتفاع الخنوع عن
الفلك وما اشتمل عليه من الكواكب وانها مسخرة مدبرة

مصرفة وذلك معلوم من دين رسول الله صلی الله عليه وآله ضرورة
مع انه مخالف لما رواه محمد بن مسلم عن الباقر ع قال
سئلته عن ركود الشمس فقال ان الشمس اذا طلعت
جذبها سبعون الف ملك بعد ان اخذ بكل شعاع
منها خمسة الاف من الملائكة من بين جاذب ودافع
حتی اذا بلغت الجو وجازت الكو قلبها ملك النور ظهر
البطن الحديث كذا فی الفقيه وفيه عن سيد العابدين
صلوات الله عليه وعلی ابائه الطاهرين وابنائه ان الله
وكل بالفلك ملكاً معه سبعون الف ملك فهم يديرون
الفلك فاذا اداروه دارت الشمس والقمر والنجوم معه
فنزلت فی منازلها التی قدرها ليومها وليلتها الحديث
وله نظائر كثيرة فی الاخبار المنقولة عن الصادقين فی الاخبار
والی هذا اشار السيد بقوله وانها مدبرة مسخرة
واما تاويل تلك الاملاك بنفوس الافلاك وقواها

وخاصة على القول بان لكل كوكب نفسا تحركه فغير
جائز فان تاويل الظواهر انما يجوز اذا دلت القواطع
على خلافه وهنا ليس كذلك بل ليست لهم على ذلك شبهة
فالواجب الاعراض عن التاويل فانه جار في اكثر المذاهب
الباطلة والاديان العاطلة والتعرض له انما ينشا
من التعصب البرئ عنه اهل الحق وكانا قد ذكرنا الكلام
في ذلك اوضح من ذلك في بعض رسائلنا فليطالع من
هناك هذا وفي مقادير تبرجه متعلق باتقن ولفظة
في لظرفية مدخولها لشئ اعني حلول الشئ فيه حقيقة
او مجازا وظاهر ان المقادير ليست ظرفا للاتقان فامتنع
حمل اللفظ على حقيقته فليكن على طريق الاستعارة
على قياس زيد في نعمة بان يشبه الهيئة المنتزعة من
الاتقان والمقادير ومصاحبة احدهما الاخر بالهيئة
المنتزعة من المظروف والظرف واصطحابهما فيكون في

الكلام

الكلام استعارة تمثيلية تركب كل من طرفيه لكنه لم يصرح
ما بازاء المشبه به من الالفاظ الا بكلمة في فان مدلولها
هو العمدة في تلك الهيئة وقد مر نظيره فتذكر والتبرج
اظهار الزينة يقال تبرجت المرءة اذا اظهرت زينتها
للرجال ومنه ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى
ولعل المراد باتقانه في مقادير التبرج انها جعلت ثابتة
دائمة غير متغيرة ولا متفاوتة بمرور الشهور وكرور
الدهور فان البروج الاثني عشر مثلا ست منها شمالية
دائما مشتملة على ثلثة ربيعية وثلثة صيفية وست
اخرى جنوبية دائما مشتملة على ثلثة خريفية وثلثة
شتوية وكذلك الكواكب بعضها ثابت لا يفارق
في سيره مركزه من الفلك ولا يسير الا مجتمعا وبعضها
سيار ينتقل من برج الى برج ويفترق في سيره ولكل
منها حركتين مختلفتين عامة من المشرق الى المغرب

وخاصّة من المغرب الى المشرق وهذه الهيئات المختلفة
والاوضاع المتفاوتة الموربة لتبرّجه وتزيينه للناظرين
مستمرّة على نهج واحد ونظام مشاهد ولقد جعلنا
في السّمآء بروجا وزيّناها للنّاظرين قال السّيّد غياث
الدّين منصور قدّس سرّه المستفاد من ارباب الارصاد
الرّوحانيات والنّبوات والانبياء واعاظم الحكمآء
انّ الافلاك تسعة لاغير وهي منحصرة في سبع سموات
وكرسيّ وعرش وقال الشّيخ الجليل ميثم بن البحراني في
شرح نهج البلاغة الشّرع والبرهان تطابقا على
انّ الافلاك تسعة بعضها فوق بعض فمنها سبع سموات
ثمّ الكرسيّ والعرش بعبارة النّاموس الالهي قالوا
وهي اجسام كرويات متّسعات مجوّفات مركّبة بعضها
في جوف بعض واكثرها يشتمل على الكواكب وهي اجرام نورانية
مستديرة مصمتة مركوزة في اجرام الافلاك وما يلينا فيه النيّر

من الكواكب الا القمر ويسمّى فلك القمر والسّمآء الدّنيا
وهو محيط بالهوآء من جميع الجهات كاحاطة قشر البيضة
ببياضها والارض في جوف الهوآء كمحّ البيضة في بياضها
ومن وراء فلك القمر فلك عطارد وليس فيه من
الكواكب غيره ومن ورائه فلك المرّيخ وليس فيه غيره
ومن ورآئه فلك المشتري وليس فيه غيره ومن ورائه
فلك زحل وليس فيه غيره وهذه السّبعة الكواكب
يقال لها السّيّارة ومن وراء فلك زحل فلك الكواكب
الثّابتة وهو يشتمل على ما سوى السّبعة المذكورة
من الكواكب ويسمّى فلك البروج وفلك الثّوابت
لكونه مكانا لها وتسميتهم كواكبه بالثّوابت امّا لبطوء
حركتها فلا تحسّ وامّا لثبات اوضاع بعضها من بعض
فانّا نجد دائماً وضعاً معيّناً بين النّسر الطّائر والنّسر
الواقع ويسمّى في الشّرع بالكرسيّ ومن ورائه فلك المحيط

لاحاطته بجميع الافلاك ويسمّى فلك الافلاك والفلك
الاعظم والفلك الاطلس لانّه غير مكوكب امّا لخلوه
عن الكواكب او لعدم ادراكنا لما فيه منها ان كان و
هو المسمّى بالعرش المجيد في لسان الشرع هذا الفلك
دائم الدوران كالدولاب يدور من المشرق الى المغرب
فوق الارض وبالعكس تحتها في كل يوم وليلة دورة
ويدير سائر الافلاك والكواكب معه كما قال عزّ اسمه
وكلّ في فلك يسبحون وسائر الافلاك يدور كلّ
منها بحركة مختصّة به من المغرب الى المشرق فوق
الارض وبالعكس تحتها بدليل انّ الهلال يرى
في الليلة الاولى في مكان وفي الثانية ينتقل الى
مكان اخر اخذا الى جهة الشرق وهكذا الى اخر
الشهر حتّى يتمّ بفلكه الدورة وهي ان يعود الى
النقطة التي كان عليها اوّلا فكان لكلّ من الافلاك

الثمانية دورتان ذاتيّة وهي التي من المغرب الى المشرق
وقسريّة وهي التي من المشرق الى المغرب وشبّهوا ذلك
بنملة على رحى والرحى تسعى الى جهة اليمين مثلا
والنملة الى جهة اليسار فللنملة حركتان ذاتيّة وقسريّة
وانّما سمّيت هذه الحركة العظمى قسريّة لانّها تقسر
الافلاك وتدور بها الى غير جهة حركتها الذاتيّة
عكسا وهذه الحركة هي التي يرى بها الشمس كلّ
يوم في شروق وغروب والّا ففلكها لا يتمّ الدورة
الّا في قريب من سنة اذا عرفت هذا فالمراد بالفلك
الدوّار في عبارة الدعاء امّا الفلك الاعظم وانّما
عبّر عنه به لكثرة دورانه كما سبق او جميع الافلاك
عموما كما اومانا اليه او السيّارات السبع خاصّة
اذا اريد بالدوران والمبالغة فيه ما يعمّ الذاتي والقسري
وهو الانسب بعبارة ناموس الالهي لانّ الاوّل مع انّه

لاينا سبه قوله في مقادير تترجح وان نا سبه وصفه بكثرة
الدوران لا يسمى بالفلك بلسان الشرع وقد عرفت
حقيقة الحال وحقيقة المقال فتذكر ثم اعلم انه لم
يتبين لاحد من الاوائل والاواخر كمية عدد الافلاك
على ما هى عليه لا عقلا ولا نقلا فان الذى دل عليه
ظاهر القران ان الله سبحانه سبع سموات لكن تخصيص
عدد بالذكر لا يدل على نفى الزائد روى ثقة الاسلام
في كتاب الروضة بسنده عن ابي حمزة الثمالي عن ابي جعفر ع
قال قال لي ليلة وانا عنده ونظر الى السما يا ابا حمزة
هذه قبة ابينا ادم ع وان لله سواها تسعة وثلثين
قبة فيها خلق ما عصوا الله طرفة عين وله نظائر
اوردنا نبذة منها في هداية الفؤاد واشبعنا الكلام
فيه فيها فليطلب من هناك

وَشَعْشَعَ ضِيَاءَ الشَّمْسِ بِنُورِ تَاجِهِ

الشعشع

الشعشع والشعشعان والشعشعاني الطويل ومنه
ما قال ابن ابي الحديد في قصيدته المشهورة في وصف
سيف صاحب الدعاء امير المؤمنين سلام الله عليه
وروحي له الفداء وحيث الوميض الشعشعاني فائض
من المصدر الاعلى تبارك مصدرا فليس سواع بعد ذا بمعظم
ولا اللات مسجود الها ومعفرا والشعشاع الخفيف والمتفرق
والضوء والنور مترادفان لغة وقيل هو اقوى من النور
فهو فرط الانارة وقد يسمى تلك الكيفية ان كان من
ذات الشيء ضوءا وان كانت مستفادة من غيرها
نورا اخذا من قوله تع هو الذي جعل الشمس ضياء
والقمر نورا وقال صاحب الكشف والتحقيق ان
الضوء فرع النور يطلق على الشعاع المنبسط والنور
يطلق على ما للشيء في نفسه كالنور القائم بنفس الشمس
ولهذا يقع على الذوات الجوهرية بخلاف الضوء

قال الراغب النور الضوء المنتشر الذي يعين
على الابصار وهو ضربان دنيوي واخروي فالدنيوي
ضربان معقول بعين البصيرة وهو ما انتشر من
الانوار الالهية كنور العقل ونور القرآن ومنه
قد جائكم من الله نور ومحسوس بعين البصر وهو ما
انتشر من الاجسام النيرة كالقمرين والنجوم النيرات
ومنه هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا
ومن النور الاخروي قوله تعالى يسعى نورهم بين ايديهم
انتهى والمشهور ان ضياء الشمس ذاتي قائم بذاتها
غير مستفاد من غيرها تستفيد منه سائر الكواكب
انوارها المزيلة للظلام حتى قال صاحب الهيا كل
ان دخش وعني به الشمس قاهر الغسق رئيس السماء فاعل
النهار صاحب العجائب عظيم الهيبة الذي يعطي جميع
الاجرام ضوئها والمعروف من الاخبار ان ضوئها مستفاد

من نور العرش ففي كتاب التوحيد عن ابي ذر عن النبي بعد
كلام فيا تيها بحلة ضوء من نور العرش على مقادير ساعات
النهار في طوله وقصره وما بين ذلك فتلبس تلك الحلة
كما يلبس احدكم ثيابه ومخالفته لقواعد الفلاسفة
لا يضر كما مر وهم في تحقيقها مختلفون فقال بعضهم
هي فلك اجوف مملو نارا له فم يجيش بهذا الوهج والشعاع
وقال آخرون هي سحابة وآخرون هو جسم زجاجي يقبل
نارية في العالم ويرسل عليه شعاعها وقال آخرون
هو صفو لطيف ينعقد من ماء البحر وقال آخرون هو
اجزاء كثيرة مجتمعة من النار وآخرون هو جوهر خامس
سوى الجواهر الاربع والتاجج تلهب النهار ومنه قوله
متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تاججا
واللهب محركة اشتعال النار اذا خلص من الدخان
او لهبها لسانها والاضافات بثلاثتها لامية والبا

سببيّة وتشبيه الضّوء بالنّار مكنيّة واثبات التّاج له والذهب ترشيح والضمير امّا عائد الى الشّمس ولم يؤنّث للسّابقات وموافقة لسائر الفقرات او الى الضّياء والمراد انّ لضيائها تشعل ولسان شعلة ولسانه امّا الانور له او له نور غير خالص والمعنى انّه تع طوّل ضيائها بسبب نور لسانه وشعلته والمراد انّه قدّر بلطيف حكمته دورانها حول الارض فاذا كان فوقها نفذ ضوئها في اجزاء الهوا الى وجه الارض فيستضيء به اجزائها فكانّه بذلك جعل ضيائها طويلا ممدودًا بالغا واصلًا الى وجه الارض وجميع ما في العناصر غالبًا او المراد انّه جعل ضوئها منفرقًا منتشرًا ممتدًّا كالرّياح ونحوها ويعبّر عنه بالخطوط الشّعاعيّة وهو مبنيّ على ما ذهب اليه جماعة من الاوائل من كونها اجساما دقاقا تنفصل من المضيء وتتّصل الى المستضيء و لمّا انجرّ الكلام منه من نوع وصف الى اخر عاد ذكر الموصوف

ولشعلته ولسانه نور خالص ليس كالقناديل وسائر الشعل كالكبريت ودهن الطوفان ٤

جلّ شانه وناداه ثانيا بقوله

يا مَن دلّ على ذاتِه بذاتِه

الدّلالة الهداية والارشاد والدّليل الهادي والمرشد والذّات يطلق في الاصطلاح على عين الشّيء جوهرًا كان ام عرضًا وامّا في اللّغة فيطلق على حقيقة الشّيء و قد يستعمل بمعنى صاحب ويجمع على الذّوات وتثنيته ذواتا كما في التّنزيل ذواتا افنان وقد يراد بذات الشّيء ماهيّته باعتبار وجودها الخارجيّ اذ المعدوم لا ذات له ولا حقيقة فلا يقال ذات العنقاء ولا حقيقتها بل ماهيّتها وقد يقال على الحقيقة وعلى الهويّة الخارجيّة وهذا هو المراد هنا وقد يراد بذات الله تع ما يضاف اليه سبحانه من الاوامر والنّواهي والحدود والاحكام كجنب الله تع في قوله تع يا حسرتا على ما فرّطت في جنب الله ومنه قوله ع انّ عليًّا لا خيشن في ذات الله

وفيه شاهد على استعمال الذات بهذا المعنى ورد على
من انكر قال ابو تمام ويضرب في ذات الاله فيوجع
والمراد انه شديد التصلب والتشدد في الامور الالهية
لا يداري فيها ولا يداهن ولا تاخذه لومة لائم لان
الاخيشن تصغير اخشن افعل تفضيل من خشن
خشونة ضد لان قال في الاساس ومن المجاز فلان خشن
في دينه اذا كان متشددا فيه والتصغير هنا للتعظيم كقوله
دويهية تصفر منها الانامل ومنه حديث ان عليا
ممسوس في ذات الله والمراد انه صلوات الله عليه لتشدده
وتصلبه في الامور الالهية وعدم ملاحظته للوم اللائم
اودغاية جانب مشبه بالمجنون الذي لا يبالي بما يقال فيه
من لوم او مذمة اذ الممسوس الذي به مس من جن
قال في الاساس رجل ممسوس مجنون وقد يطلق الذات
على ما يقابل الوصف ويستعمل استعمال النفس والشيء

ولذا يجوز تذكيره وتانيثه ومنه قوله تعالى واصلحوا ذات
بينكم قال صاحب الكشاف الاحوال الملابسة للبين
قيل لها ذات البين كقولهم اسقني ذا انائك يريدون
ما في الاناء من الشراب وقوله تعالى بذات الصدور و
هي مضمراتها وبذاته متعلق بدل والباء فيه كما في
قولك دل فلان بهذا على ذلك اي جعله دليلا عليه
ومعرفا له فذاته تعالى دليل على ذاته ومعرف له لا غير والا
لزم كون المعرف اخفى من المعرف كيف لا وهو سبحانه
اعرف الاشياء واظهرها عند العقل لانه ظاهر
بذاته ومظهر لغيره فظهوره ذاتي وظهور غيره عرضي
حاصل بانتسابه اليه واستتباعه له فمعنى دلالته
ذاته على ذاته انه ظاهر بذاته لا يحتاج الى دليل
يدل عليه بخلاف غيره فانه خفي بذاته وانما يظهر به
فهو دليل عليه لا ذاته ولهذا لما سئل النبي صم

بما ذا عرفت ربك قال ع بالله عرفت الاشيا اى بظهوره
وخفائها من حيث الذات والصفات يعنى انى نظرت
الى الاشياء فوجدتها مدبرة مسخرة قائمة بالغير به
قوام ذاتها وظهور اثارها وصفاتها فعرفت اولا
ان لها صانعا صنعها وجعلها مبدأ للاثار و
قومها ثم عرفتها بقيامها به وانتسابها اليه
فبهذا النظر بالله عرفت الاشيا وحاصله يؤل الى
الاستدلال بوجود العلة على وجود المعلول فان
من نظر الى وجوده تع من حيث انه وجود واجب قائم
بذاته يظهر له انه اظهر الامور وبه ظهرت الاشيا
كلها فينتقل منه اليها ويجعله وسيلة لمعرفة انها
موجودة قائمة لا بذاتها بل بغيرها ومن هنا يقال
ما رايت شيئا الا ورايت الله قبله او معه وعن بعض
الصادقين صلوات الله عليهم اجمعين تعرف الى فى

كل شئ فرايتك ظاهرا فى كل شئ فانت الظاهر لكل شئ
وعنه ع منك اطلب الوصول اليك وبك استدل عليك
وقال وكيف يستدل عليك بما هو فى وجوده مفتقر اليك
ايكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر
لك متى غبت حتى تحتاج الى دليل يدل عليك ومتى
بعدت حتى تكون الاثار هى التى توصل اليك ويحتمل
ان يكون المراد انه تع دل باثار ذاته وبما خلقه فى الافاق
والانفس على معرفة ذاته او صفات ذاته او وجود ذاته
الذى هو عين ذاته فحذف المضاف فى الموضعين للعلم
به وظهوره فيكون اشارة الى الاستدلال بالمعلول
على العلة والى نفى الاولوية الذاتية والخارجية فان
دلالة وجود الممكن على الواجب انما تتم وتثبت بعد
نفى تلك الاولوية اما بدلالة البرهان عليه او
بدعوى الضرورة واشارة العقول اليه وكان الاول

اظهر لفظاً واقوى معنىً الّا انّ معرفته بهذا الوجه كانّها
متعذّرة او متعسّرة للعوامّ بل لاكثر الخواصّ بخلاف
الثّاني فانّ من له ادنى بصيرة اذا تفكّر في خلق السّموات
والارض واختلاف اللّيل والنّهار ونظر الى الاشياء
من حيث انّ لها ماهيّات لا يمكن ان توجد بذواتها
عرف انّ لها صانعاً صنعها ومدبّراً دبّرها ولذا قال
عليه ع البعرة تدلّ على البعير واثر الاقدام تدلّ على المسير
افسماء ذات ابراج وارض ذات فجاج لا تدلّان على
اللّطيف الخبير حكى ذو النّون المصريّ قال سمعت
شخصاً قائماً في وسط البحر وهو يقول سبحانك سبحانك
انا خلف البحور والجزائر وانت الملك الفرد بلا حاجب
ولا زائر من ذا الّذي انس بك فاستوحش ومن ذا الّذي
نظر الى آيات قدرتك فلم يدهش امّا في نصب السّماء
ذات الطّرائق ودفعك الفلك فوق رؤس الخلائق و

اجرائك الماء بلا سائق وارسالك الرّيح بلا عائق ما يدلّ
على فردانيّتك امّا السّموات فتدلّ على صنعتك وامّا
الفلك فيدلّ على حسن صنعتك وامّا الرّياح فتنشر من
نسيم بركاتك وامّا الرّعود فتصوّت بعظيم آياتك
وامّا الارض فتدلّ على عظيم حكمتك وامّا الانهار
فتجري بعذوبة كلمتك وامّا الاشجار فتجري بجميل صنائعك
وامّا الشّمس فتدلّ على تمام بدائعك وهنا احتمال
آخر وهو انّ الحكماء ذهبوا الى انّ العلّة الفاعليّة
للمعرفة تصوّريّاً كان او تصديقيّاً بديهيّاً كان او
نظريّاً شرعيّاً كان او غيره انّما يفيض من الله على الذهن
بعد حصول استعداد له بسبب احساس او تجربة
او استماع او نظر او فكر او غير ذلك فهذه الامور معدّات
والعبد كاسب للمعرفة لا موجد لها والظّاهر من اكثر
الاخبار انّ العبد انّما كلّف بالانقياد للحقّ وترك الاستكبار

عن قبوله واما المعارف فانها باسرها مما يلقيه الله
في قلوب عباده بعد اختيارهم الحق ثم يكمل ذلك شيئا
فشيئا بقدر اعمالهم وطاعاتهم حتى يوصلهم الى درجة اليقين
فالمراد انه تع دل بذاته على معرفة ذاته بان القاها على
قلب من شاء من عباده بعد اختياره الحق وافاضها
عليه بعد استعداده لها ويدل على الاول حسنة محمد
ابن حكيم قال قلت لابي عبد الله ع المعرفة من صنع من هي
قال من صنع الله ليس للعباد فيها صنع واعلم ان طرق
دلالته وارشاده سبحانه الى ذاته وان كانت لا تحصى
جهاتها كثرة الا انها تنحصر في اقسام ثلثة تندرج
تحت كل قسم مراتب غير محصورة احدها طريق الدلالة
بحسب الفطرة وهذه طريقة يشترك في سلوكها العوام
ايضا اذ ما من احد الا ويعلم ان له صانعا صنعه و
مدبرا دبره بحسب فطرته الاصلية لما ركب فيه من العقل

الذي

الذي هو الحجة الاولى وان انكر وجوده منكر فانما هو
لغلبة شقاوته المكتسبة المبطلة لاستعداده الفطري
وهو مع ذلك يعترف به حال الاضطرار كما هو الوارد
في الاخبار الثاني الطريق الحاصل بالانظار والاستدلال
بالاثار وهذه الطريقة يشترك في سلوكها جميع الخواص
المستدلين من العالمين حتى الانبياء والمرسلين وان
كانوا فيه على تفاوت مراتب عقولهم الا ترى انك
تستدل بملكوت السموات وحركات الكواكب وبزوغها
وافولها على صانعها ومدبرها كما استدل بها خليل
الرحمن لكن لا يحصل لك من ذلك الا علم ضعيف لا يكاد
يمازجه ايقان بل ولا ايمان حتى لو وقعت في ادنى
بلية تلوذ بكل من تتوهم انه ينجيك منها والذي حصل
له ع كان علما ثابتا ويقينا جازما حتى قال له الروح الامين
وقد رمى بالمنجنيق فكان في الهواء مائلا الى النار

الك حاجة قال اما اليك فلا فاغراضه عنه في مثل هذه
الحالة والتجاؤه الى ربه ليس الا لانه راى ما سواه مفتقرا
اليه خاشعا لديه خاضعا بين يديه بل لم يره موجودا
ولا ملجا الا اياه الثالث الطريق الحاصل بالرياضة
والمجاهدة الموصل الى حق اليقين بل عين اليقين
وهذه الطريقة لخواص الخواص الذين يعرفون الحق
بالحق وهذه الفقرة الشريفة ممكنة الانطباق على
جميع هذه الطرائق اما على الثالث منها فظاهر لما
عرفت ان خواص الخواص انما يعرفون الله بالله ثم به
يعرفون الاشياء واما على الاول والثاني فبعد
اعتبار حذف المضاف كما سبق بان يقال انه تعالى دل
على معرفة ذاته وصفاته باثار ذاته التي منها افاضة
المشاعر الظاهرة والباطنة واعطاء العقول النظرية
ونصب الامارات الانفسية والافاقية المرشدة الى

ذاته

ذاته وصفاته التي هي عين ذاته كما قال عز من قائل
سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق
اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد هذا ولك
ان تجعل الباء في بذاته هي الداخلة على المفعول له
كما في كريمة فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم الطيبات
والمراد انه تعالى دل باثار ذاته على ذاته لاجل ذاته فيكون
اشارة الى انه سبحانه باعتبار ذاته علة غائية لا فاعلية له
لانه الفاعل بذاته فهو الغاية بذاتها اذ الفاعل بذاته
هو ما لا يكون فاعلا بامر ولا لامر غير ذاته فذاته هي الغاية
وهو الغاية بذاته ولذلك قيل انه تعالى ما احب شيئا
بالذات غير ذاته المقدسة وان احب غيره فانما
احب بتبعية محبة ذاته لانه من توابعها فكل ما هو
اقرب اليه كان احب عنده فيرجع محبته لما سواه
الى محبته لذاته كما يدل عليه ما ورد في الحديث ان الله

جميل يحب الجمال فلا نظر له الى غيره من حيث انه غيره بل نظره الى ذاته و
الى افعاله فقط وليس في الوجود الا نفسه وافعاله
وصنائعه وآثاره وكلها راجع اليه وهو غاية كل شيء
فلا تتجاوز محبته ذاته وتابع ذاته من حيث هو متعلق
بذاته فهو اذاً لا يحب الا ذاته فهذا هي الغاية وهو الغاية بذاته

ونزه عن مجانسة مخلوقاته

تبعد يقال نزه تنزها اذا بعد ونزه الله تبعيده
عما لا يجوز عليه من النقائص وكلمة عن للمجاوزة
والمجانسة المشاركة في الجنس والاتحاد فيه بان يكون
جنس واحد مشتركا بين الواجب وبين مخلوقاته
كاشتراك الحيوان بين الفرس والانسان وذلك
واضح البطلان اما اولا فلاستلزامه التركيب المنافي
للوجوب الذاتي لان كل جنس مهية مبهمة في
ذاتها محصلة بفصلها فالفصل علة لتحصلها و

تعينها وانطباقها على حقيقة واحدة من الحقائق المندرجة
تحتها وهذه الاجزاء لا تكون واجبة لذواتها فتكون
ممكنة فالمحتاج اليها اولى بان يكون ممكنا وهذا
في نفي التركيب الخارجي تمام واما نفي التركيب الذهني
فبان يقال وجود الجنس والفصل واحد لصحة الحمل
وهما متعددان فوجودهما لا يكون عينهما وقد ثبت
ان وجود الواجب عينه فلا يجوز كونه مركبا واما ثانيا
فلاستلزامه ان لا يكون الواجب علة لمخلوقاته المشاركة
له في ذلك الجنس وذلك لما تقرر ان الطبيعة الواحدة
لا يمكن ان يكون بعض افرادها علة لبعض اخر لذاته لانه
لو فرض كون نار مثلا علة لنار فعلية هذه ومعلولية
تلك اما لنفس كونهما نارا فلا رجحان لاحدهما في
العلية وللاخرى في المعلولية بل يلزم ان يكون
كل نار علة للاخرى بل علة لذاتها وهو مح وان كانت

العلّية لانضمام امر آخر فلم يكن ما فرضناه علّة علّة
بل العلّة حينئذ ذلك الامر فقط لعدم الرّجحان في
احدهما للشّرطيّة والجزئيّة ايضا لاتّحادهما من جهة المعنى
المشترك وكذلك لو فرض المعلوليّة لاجل ضميمة فتبيّن
انّ جاعل الشّيء يستحيل ان يكون مشاركاً له وبه
يعرف انّ كلّ كمال وكلّ امر وجوديّ يتحقّق في الموجودات
الامكانيّة فنوعه وجنسه مسلوب عنه تعالى ولكن يوجد
له ما هو اعلى واشرف منه امّا الاوّل فلتعاليه عن
النّقص وكلّ مجعول ناقص والّا لم يكن مفتقراً الى الجاعل
وكذا ما يباينه في المرتبة كآحاد نوعه وافراد جنسه و
امّا الثّاني فلانّ معطي كلّ كمال ليس بفاقد له بل
معدنه ومنبعه وما في المجعول رشحه وظلّه وامّا ثالثاً
فلانّ كلّ ممكن زوج تركيبيّ حادث زائدة صفاته
على ذاته وهو امّا جوهر او عرض والواجب بخلاف ذلك فانّه

بسيط حقيقيّ واحد من جميع الجهات قديم صفاته عين
الذّات ومنه يعلم انّه ليس بجوهر فانّه ماهيّة اذا وجدت
في الخارج كانت لا في الموضوع فوجوده زائد على ذاته
ويحتمل ان يكون المراد بالمجانسة هنا المماثلة اذ الجنس
قد يطلق على ما يعبّر عنه في المنطق بالنّوع واهل اللّغة
يسمّونه ايضاً جنساً وقد يطلق على ما يطلق على الكثير
والقليل كالماء الّذي يقال على القطرة والبحر وقد تطلق
على نفس الحقيقة ومفهوم المسمّى من غير اعتبار ما
صدق عليه من الافراد كما يقال جنس الرّجل افضل
من جنس المرأة فيكون الغرض نفي وجدانه تعالى بالتّمثيل
وذلك انّ كلّ ما له مثل فليس بواجب الوجود لذاته
لانّ المثليّة امّا ان يتحقّق من كلّ وجه فلا تعدّد
اذن لانّ التّعدّد يقتضي المغايرة بوجه ما وذلك
ينافي المثليّة والاتّحاد من كلّ وجه وامّا ان يتحقّق

من بعض الوجوه وح ما به التماثل اما الحقيقة او جزؤها
او امر خارج عنها فان كان الاول كان ما به الامتياز
عرضا للحقيقة لازما او زائلا لكن ذلك باطل لان
المقتضى لذلك العرضى اما المهية فيلزم ان يكون
مشتركا بين المثلين لان مقتضى المهية الواحدة
لا يختلف فما به الامتياز لاحد المثلين عن الاخر حاصل
للاخر او غيرها فيكون ذات واجب الوجود مفتقرة
في تحصيل ما يميزها عن غيرها الى امر خارجي وان كان ما
به التماثل والاتحاد جزءا من المثلين لزم كون كل منهما
مركبا فبقي ان يكون التماثل بامر خارج عن حقيقتهما
مع اختلاف الحقيقتين لكن ذلك باطل اما اولا فلامتناع
وصف واجب الوجود بامر خارج عن حقيقته لاستلزام اثبات
الصفة الخارجة عنه له تثنيته وتركيبه واما ثانيا
فلان ذلك الامر الخارجي المشترك ان كان كمالا لذات

واجب الوجود فواجب الوجود مستفيد للكمال من غيره
وان لم يكن كمالا كان نقصانا لان الزيادة على الكمال
نقصان فثبت ان كل ما له مثل فليس بواجب الوجود
لذاته وهذه الاحتمالات على تقدير ابقاء المجانسة
على معناها الاول وهو الاتحاد في الجنس لا الاتحاد
في النوع لان المثل في اللغة يقال لاي مشاركة كانت
كما صرح به الراغب ولما لم يكن الله تع داخلا تحت جنس
لبراءته من التركيب المستلزم للامكان ولا تحت نوع
لافتقاره الى التخصيص بالعوارض الى غيره لاجرم لم يكن
له مثل كيف ولو كان للواجب مثل لكان ممكنا معلولا
لامتناع تعدد الواجب ولا يمكن ذلك لامتناع معلولية
احد المثلين للاخر اذ العلة لا بد ان يكون اقوى من
المعلول فانه ظل للعلة والقول بجواز كون ذلك المثل
معلولا لمعلوله لا معلوله بلا واسطة مقدوح

اذ المحذور ح افحش كما لا يخفى وبالجملة وجوب الوجود
يدل على سرمدية الواجب ونفي الزائد والشريك والمثل
والتركيب بمعانيه والضد والتحيز والحلول والحوادث
فيه والحاجة والالم مط واللذة المزاجية والاحوال
والصفات الزائدة وامكان الوجود على خلاف ذلك
فكيف يتصور المشاركة الجنسية والحال هذه بين
الوجوب والامكان الذاتيين هذا والخلق في الاصل
مصدر بمعنى التقدير يقال خلقت الاديم للسقاء اذا قدرته
له قبل القطع ثم استعمل في ايجاد الشيء وانشائه على
غير مثال سبق فقيل خلق الله الاشياء خلقا باعتبار
الايجاد على وفق التقدير الذي اوجبته الحكمة ثم اطلق
على المخلوق من باب اطلاق المصدر على اسم المفعول
مجازا وفي هذه الفقرة الشريفة ايماء لطيف الى
فساد عقيدة قوم قالوا انه تع جسم يجلس على العرش

ويزيد

ويزيد عليه من كل جانب ستة اشبار بشبر نفسه
وانه ينزل في كل ليلة جمعة على حمار وينادي الى الصباح
هل من تائب هل من مستغفر وحملوا آيات التشبيه
كقوله تع الرحمن على العرش استوى والسموات مطويات
بيمينه خلقته بيدي يد الله فوق ايديهم بل يداه مبسوطتان
يوم يكشف عن ساق يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله
والارض جميعا قبضته يوم القيمة وجاء ربك والملك
صفا كل شيء هالك الا وجهه وجوه يومئذ ناظرة
الى غير ذلك من الآيات على ظواهرها والسبب في
ذلك حمقهم وقلة تمييزهم اذ الضرورة قاضية بان
كل جسم لا ينفك عن الحركة والسكون وقد ثبت انهما
حادثان وان ما لا ينفك عن الحادث حادث فيلزم
حدوثه تع عن ذلك وكل حادث محتاج الى المؤثر
فيكون الواجب محتاجا اليه فلا يكون واجبا وقد تم

اكثرهم في الغيّ الى ان قالوا انّه تع يجوز عليه المصافحة
وانّ المخلصين في الدّنيا يعانقونه وقال بعضهم اعفوني
عن الفرج واللّحية واسئلوني عمّا وراء ذلك وقال
انّ معبوده ذو لحم ودم وجوارح واعضا وانّه بكى على
طوفان نوح حتّى رمدت عيناه وعادته الملائكة
لمّا اسبلت ومن المشبّهة من قال انّه تع نور مثلا لؤكالسبيكة
البيضا طوله سبعة اشبار بشبر نفسه ومنهم من قال
انّه على صورة انسان فمنهم من قال انّه شابّ امرد
جعد قطط ومنهم من قال انّه شيخ اشمط الرّاس واللّحية
تع عمّا يقول الظّالمون علوّا كبيرا ومثل هؤلاء قوم
اثبتوا له تع صفات زائدة على ذاته فليمية هي العلم
والارادة والحيوة والكلام والسّمع والبصر والتّكوين
والبقاء والوجود الموصوف به واخرون اثبتوا الاحوال
اربعة هي العالميّة والقادريّة والحيّيّة والموجوديّة

وزعموا انّها ثابتة مع الذّات في الازل وزاد بعضهم
خامسة هي علّة للاربعة مميّزة للذّات هي الالهيّة واخرون
جوّزوا ان يكون الله تع محلّا للحوادث وهذا كلّه منهم
كذب بحت وتشبيه لله تع بمخلوقاته كما يدلّ عليه العقل
والنّقل منه ما رواه في الكافي بسند كاد ان يكون صحيحا
فانّ محمّد بن عيسى بن عبيد اليقطيني وان ضعّفه قوم
الّا انّه وثّقه النّجاشي وهو يروي عن حمّاد عن جرير
عن محمّد بن مسلم عن ابي جعفر عليه السّلم انّه قال في صفة
القديم انّه واحد صمد احديّ المعنى ليس بمعاني كثيرة مختلفة
فقال كذبوا والحدوا وشبّهوا تعالى الله عن ذلك انّه
سميع بصير يسمع بما يبصر ويبصر بما يسمع قال
~~فقلت يزعم قوم من اهل العراق انّه يسمع بغير الّذي~~
~~يبصر ويبصر بغير الّذي يسمع~~ قال قلت يزعمون انّه
بصير على ما يعقلونه قال فقال تع الله انّما يعقل

فقلت يزعم قوم من اهل العراق انّه يسمع بغير الّذي يبصر ويبصر بغير الّذي يسمع

ما كان بصفة المخلوق وليس الله كذلك ومنه قوله عليه السلام

وجلّ عن ملائمة كيفيّاته

جلّ يجلّ جلالة فهو جليل عظيم والجليل والحقير ضدّ
والملائمة المجامعة والموافقة يقال لأم يلائم بين الشيئين
اذا جمع بينهما ووافق وتلائم الشيئان والتأما بمعنى
وفي حديث ابن امّ مكتوم لي قائد لا يلائمني اي يوافقني
ويساعدني والكيف عرض لا يقتضي لذاته قسمة ولا
لا قسمة ولا نسبة واقسامه اربعة مشهورة المحسوسة
والاستعدادية والنفسانيّة والمختصّة بالكمّ واضافة
الكيفيّات الى الضمير عائد اليه تعالى لأدنى ملابسة
وهو علاقة العليّة والمعلوليّة اي الكيفيّات التي
صنعها وخلقها وفيه دليل على المدّعى لانّ تلك
الكيفيّات لمّا كانت من مصنوعاته تعالى فكيف تلائمه
وتناسبه والمصنوع لا يلائم الصانع بل بينهما مباينة

كليّة والكيفيّة منسوبة الى الكيف اي الحال المنسوبة
الى الكيف وهو الاستفهام عن الحال والتأنيث باعتبار
الحال التي هي مؤنّث سماعيّة والمراد انّه تعالى اجلّ واعظم
من ان يجامع كيفيّة من كيفيّاته بان يكون موضوعا و
معروضا لكيفيّة من الكيفيّات الامكانيّة الخلقيّة
الحادثة لامتناع كونه محلّاً للحوادث ولما سبق في
الفقرة السابقة ولو كانت تلك الكيفيّات ازليّة
والازلي عندهم لا يكون اثر المختار لزم استنادها الى
الذات على وجه الايجاب ولذا قال سيّدنا الصادق
عليه السلام انّ الله لا يوصف بالكيف وكيف اصفه بالكيف
وهو الذي كيّف الكيف حتّى صار كيفا فعرفت الكيف
بما كيّف لنا من الكيف ولكن في حديث الزنديق الذي
اتاه عليه السلام وسئله عن مسائل التوحيد انّه قال فله
كيفيّة قال ع لا لانّ الكيفيّة جهة الصفة والاحاطة

ولكن لابدّ من الخروج عن جهة التعطيل والتشبيه
لانّ من نفاه فقد انكره ودفع ربوبيّته وابطلها ومن
شبّهه بغيره فقد اثبته بصفة المخلوقين المصنوعين
الذين لا يستحقّون الربوبيّة ولكن لابدّ من اثبات
انّ له كيفيّة لا يستحقّها غيره ولا يشاركه فيها و
لا يحاط بها ولا يعلمها غيره الحديث وهو يدلّ على
انّ له تعالى كيفيّة ذاتيّة هي نفس ذاته المجرّدة البسيطة
ولا يدركها غيره ولا تكون كالكيفيّات الامكانيّة الحادثة
ولعلّهم الى ذلك اشاروا بقولهم انّ اللذّة ادراك
الملائم من حيث هو ملائم فمن ادرك كمالا في ذاته
التذّ به كما يشهد به الوجدان وكماله تعالى اجلّ الكمالات
وادراكه اقوى الادراكات فوجب ان يكون لذاته
اقوى اللذّات هذا ما ذهب اليه الفلاسفة واما
المتكلّمون فقد اطلقوا القول بنفي اللذّة عنه تعالى

امّا لاعتقادهم نفي اللذّات العقليّة او لعدم ورود ذلك
في الشرع ويرد على الفلاسفة انّهم ان ارادوا انّ الحالة
التي يسمّونها اللذّة هي نفس ادراك الملائم فغير معلوم
وان ارادوا انّها حاصلة عند ادراك الملائم فربّما
يختصّ ذلك بادراكنا دون ادراكه تعالى فانّهما مختلفان
قطعا والحقّ انّ اللذّة ليست ادراك الملائم نفسه
بل هي حالة مترتّبة عليه لظهور انّ السرور ليس نفس
تخيّل المحبوب بل مترتّب عليه وايضا قد يبقى ادراك
الملائم على حدّه ولا تبقى اللذّة على حدّها بل تضعف
او تفنى كما في ابصار الوجه اذا تكرّر واستمرّ فاللذّة
ليست نفس الادراك فتعريفها به مسامحة هذا
وقيل قوله ع لا يستحقّها غيره الى آخره احتراز عن
توهّم انّ المراد بالكيفيّة المعنى المعروف لغة وعرفا
وهو الهيئة الحاصلة للشيء باعتبار اتّصافه بالصفات

التابعة للحدوث الموجب لتغير موصوفاتها وتأثر
موضوعاتها فان هذا المعنى ممتنع في شان الواجب
بالذات جل جلاله وقد وقع التصريح بنفيها عنه تعالى
في غير موضع من كلامهم عليهم السلام فمنه قول امير المؤمنين
صلوات الله عليه في خطبة لا تقع الاوهام له على
صفة ولا تعقد القلوب منه على كيفية وقوله عليه السلام
ما وحده من كيفه اي وصفه بكيفية وقول الباقر عليه السلام
ليس لكونه كيفية ولا له اين كان اولا بلا كيف ويكون
اخرا بلا اين وعن ابي عبد الله عليه السلام كيف اصف ربي
بالكيف والكيف مخلوق والله لا يوصف بخلقه
وهو في اخبارهم عليهم السلام كثير جدا قال بعض علمائنا
قول امير المؤمنين عليه السلام ما وحده من كيفه دل بالمطابقة
على سلب التوحيد له عمن وصفه بالكيفية وبالالتزام
على انه لا يجوز تكيفه لمنافات ذلك للتوحيد وبيانه

انهم

انهم رسموا الكيفية بانها هيئة قارة في المحل لا يوجب
اعتبار وجودها فيه نسبة الى امر خارج عنه ولا قسمة
في ذاته ولا نسبة واقعة في اجزائه فتبين ان وصفه
بها يستلزم تشبيه اذ هي صفة زائدة على الذات وهو تعالى
ليست له صفة تزيد على ذاته فينافي اثباته له توحيده

يا مَنْ قَرُبَ مِنْ خَواطِرِ الظُّنُونِ

اي القلوب والعقول والاضافة لامية والمراد
بقربه منها انها قابلات قادرات لادراكه ومعرفته
بافعال ذاته وآثار صفاته فان كل عاقل يرى على
نفسه نعمة متوالية مترادفة ظاهرة باطنة تارة كبيرة
واخرى صغيرة وتارة صحة واخرى سقما وتارة
عسرا واخرى يسرا فاذا راجع نفسه علم ان له مقلبا
يقلب احواله ومغيرا يغير تاراته فيخطر بباله انه
لا يامن ان يكون له صانع صنعه ومدبر دبره

ان اطاعه اثابه وان عصاه عاقبه فيحصل له الخوف
وهو ضرر يجب دفعه ولا يمكن الا بالنظر فاذا نظر نظراً
صحيحاً اداه الى معرفته ومنه يعلم ان النظر واجب و
يمكن ان يكون اشارة الى ان اصل معرفته تعالى فطري بديهي
ويحتمل ان يكون اضافة الخواطر الى الظنون اضافة
الجرد الى القطيفة يعني انه تعالى قريب من الظنون الخاطرة
بالقلوب او المراد انه تعالى عالم بذات الصدور ولا
حجاب بينه وبينها فهو قريب علماً وبعيد ذاتاً
والخاطر الهاجس والجمع خواطر خطر بباله وعليه
خطوراً ذكره بعد نسيان واخطره الله كذا في ق
وقيل الخاطر ما يرد على القلب ويمر بالبال مما لا يسر
للعبد فيه تعمل وهو اقسام رحماني وهو ما كان
باعثاً على ما فيه صلاح وقربة وتسمى الهاماً و
نفساني وهو ما فيه حظ النفس وتسمى هاجساً وشيطاني

وهو ما يدعو الى مخالفة الحق وتسمى وسواساً وقال بعض
العلماء الخاطر اربعة اقسام ربانى وهو اول الخواطر
وهو ما لا يخطى ابداً وقد يعرف بالقوة والتسلط
وعدم الاندفاع بالدفع وملكي وهو الباعث على
مفروض ومندوب وبالجملة كل ما فيه صلاح وتسمى
الهاما ونفساني وهو ما فيه حظ للنفس وتسمى هاجساً
وشيطاني وهو ما يدعو الى مخالفة الحق قال الله تعالى
الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء وقال النبي صلعم
لمة الشيطان تكذيب بالحق وايعاد بالشر وتسمى
وسواساً ويعتبر بميزان الشرع فما فيه قربة فهو من
الاولين وما فيه كراهة او مخالفة الشرع فهو من
الاخرين ويشتبه بالمباحات فما هو اقرب الى الهوى
وموافقة النفس فهو من الاخرين والصادق الصافي
القلب الحاضر مع الحق سهل عليه الفرق بينهما

بتيسير الله وتوفيقه وقال بعضهم الخواطر التي لا يشعر
بتفصيلها اذا خالفت اوامر الله قد تستتبع حركة
بعض الجوارح الى فعل خارج عن حدود الله ايضا
وذلك وان كان لا يوجب اثما في النفس ولا يؤخذ
الا انه ربما يقوى بقوة اسبابه وكثرتها فيقطع العبد
عن سلوك سبيل الله كما في حق المنهمكين في لذات
الدنيا المتجردين لها فان احدهم ربما دام التشبث من
يصلي الفرض فيصلي الصلوة الواحدة مرتين او مرارا
ولا يستثبت عدد ركعاتها وسجداتها والتوبة
والاستغفار عن مثل ذلك يجذب العبد عن الاسباب
الموجبة له انتهى والمراد ههنا ما يخطر بالجنان
اما من قبل الرحمن بان ياتيه ملك الى ناحية صدره
ويقول في سمع عقله كلاما خفيا بان لك صانعا
صنعك ومدبرا دبرك فيجب عليك النظر لتعرفه

واما من قبل الشيطان بان ياتيه بعض ابالسته فيمنعه
عن ذلك ويسد عليه طريقه بوسوسته والظنون كالفنون
جمع ظن فقد يراد به اعتقاد راجح غير جازم وقد
يطلق على ما يقابل اليقين كما قاله الشيخ في منطق الاشارات
وعلى اليقين نفسه كما روى عن الرضا عليه السلم في حديث
المامون انه قال معنى فظن ان لن نقدر عليه استيقن
ان لن نقدر عليه وقد يقال انه من الاضداد فيطلق
على الراجح والمرجوح معا وعلى الثاني حمل ان نظن
الا ظنا وان الظن لا يغني من الحق شيئا وان بعض
الظن اثم وهو بهذا المعنى يرادف الوهم وهذا هو
المناسب للمقام لان العقول وان كانت في ادراك
ما سوى الله كاملة بالغة كنه الاشياء وحقائق الامور
على ما هي عليه في نفس الامر الا انها فيما يتعلق بذات الله
وصفاته تعم كالظنون والاوهام حيث انها لا تبلغ

كنه الامور وحقيقتها بل يحكم احكاما غير مطابق للواقع
فرع بين يدى العالم عليه السلم لا تدركه الابصار وهو يدرك
الابصار فقال عليه السلم انما عنى ابصار القلوب وهى
الاوهام فقال لا تدركه الاوهام كيفيته وهو يدرك
كل وهم واما عيون البشر فلا تلحقه لانه لا يحد ولا
يوصف هذا ما نحن عليه كلنا ولذا قال

وَبَعُدَ عَنْ مُلَاحَظَةِ الْعُيُونِ

البعد بين الشيئين انما يطلق على قصر المسافات
بينهما او على مسافة لا اقصر منها الا على الاول فقط
الا يرى ان بعد المركز من المحيط هو نصف القطر مع
انه ليس اقصر الخطوط الواصلة بينهما وقد عرفت
ان القرب والبعد بالاضافة اليه تع ليس مكانيا
مسافيا لانه من صفات الاجسام وهو يتعالى عن ذلك
ومنه يعلم انه لا يمكن رؤيته تع لان المرئيات بين

ان

ان تكون جسما او عرضا ولا فيه وقد ثبت انه تع ليس كذلك
وكلمة عن للمجاوزة وهى متعلقة بمحذوف اى بعد بعدا
مجاوزا عن ملاحظة العيون والملاحظة المفاعلة من
اللحظ وهو النظر بشق العين الذى يلى الصدغ واما
الذى يلى الانف فالموق والماق وفيه من المبالغة
ما لا يخفى لان المرئى اذا كان لطيفا دقيقا مشكلا
ادراكه يجمع الرائى نور عينه الى ذلك الشق رجاء ان
يدركه فاذا كان الله تع لتجرده وعدم تحيزه بعيدا عن
تلك الملاحظة ايض فلا مح يمتنع ان تدركه العيون
لان الافراط فى البعد يمنع عن الرؤية والعيون
الابصار والبصر قوة مرتبة فى العصبة المجوفة مدركة
لما يقابل العين بتوسط جرم شفاف لا بخروج
شعاع يلاقى المبصرات ولا بانعكاس ولا بانطباع
الصور المرئية فى الرطوبة الجليدية ولا فى ملتقى العصبتين

المجوفتين ولا بالاستدلال لبطلان ذلك كله كما بين
في محله بل بمقابلة المستنير للعين السليمة وهي ما فيها
رطوبة صافية شفافة صيقلية مرآتية فيحصل للنفس
علم اشراقي حضوري على ذلك المبصر المقابل لها
فتدركه النفس مشاهدة والمراد انه تعالى لكونه مجردا
غير ذي وضع ولا متحيز لا بالذات ولا بالعرض تمتنع
رؤيته ولا تدركه الابصار (العيون) ولا تحيط به الاوهام
قال صاحب الدعاء جعلت له الفداء حين سئله
رجل يقال له ذعلب هل رايت ربك ويلك يا
ذعلب ما كنت اعبد ربا لم اره فقال كيف رايته
قال ويلك لم تره العيون بمشاهدة الابصار و
لكن راته القلوب بحقائق الايمان وبالجملة الرؤية
يستلزم كون المرئي اما جسما او جسمانيا ذا جهة و
حيز تكون بينه وبين الرائي هواء ينفذه البصر

فاذا لم يكن بينهما هواء وعدم الضياء الذي هو شرط
الرؤية لم تصح الرؤية بالبصر فالادراك المخصوص المعلوم
بالوجه الممتاز عن غيره لا يمكن ان يتعلق بما ليس في جهة
والا لم يكن للبصر فيه مدخل بل المدخل فيه للعقل فلا
وجه لتسميته ابصارا فالقول بجواز رؤيته تعالى
عن ذلك منزها عن المقابلة والجهة والمكان ليس
مما يحتمله العقل بل هو محض الهذيان واستدل في
المشهور على نفي امكان رؤيته تعالى بان المرئي بالبصر يجب
ان يكون في جهة وهو تعالى منزه عنها والا وجب كونه
عرضا او جوهرا وهو مح واعترضه الغزالي بان احد
الاصلين من هذا القياس مسلم وهو ان كونه في جهة
يوجب المحال ولكن الاصل الآخر وهو ادعاء هذا
اللازم على اعتقاد الرؤية ممنوع فنقول لم قلتم انه ان
كان مرئيا كان في جهة من الرائي اعلمتم ذلك ضرورة

ام بنظر لا سبيل الى دعوى الضّرورة وامّا النّظر فلا بدّ
من بيانه ومنتهاه انّهم لم يروا الى الآن شيئا الّا وكان
فى جهة من الرّائى مخصوصة ولو جاز هذا الاستدلال
لجاز للخصم ان يقول انّ البارى تعـ جسم لانّه فاعل فانّا
لم نر الى الآن فاعلا الّا اجساما وحاصله يرجع الى الحكم
بانّ ما شوهد وعلم ينبغى ان يوافقه ما لم يشاهد و
لم يعلم واجيب بانّ دعوى كون المرئى بهذا العين مطلقا
يجب ان يكون فى جهة حتّى يكون من باب قياس الغائب
على الشّاهد بل النّظر والبرهان يؤدّيان اليه وهو انّ
القوّة الباصرة الّتى فى عيوننا قوّة جسمانيّة وجودها
وقوامها بالمادّة الوضعيّة وكلّ ما وجوده وقوامه
بشئ فقوام فعله وانفعاله بذلك الشّئ اذ الفعل
والانفعال بعد الوجود وفرعه اذ الشّئ اوّلا ما بذاته
اوبغيره ثمّ يؤثّر فى شئ او يتاثّر عنه فكلّ ما كان وجود

ليس مبناها على انّ المرئيّات فى هذا العالم لا تكون الّا فى جهة م

القوّة

القوّة بنفسها متعلقا فيه بمادّة جسمانيّة بما لها من الوضع
كان تاثيرها وتاثّرها ايضا بمشاركة المادّة ووضعها
بالقياس الى ما تؤثّر فيه او تتاثّر عنه فلاجل ذلك يحكم
بانّ البصر لا يرى الّا ما له نسبة وضعيّة الى المحلّ فالباصرة
والسّامعة لا تبصر ولا تسمع الّا ما وقع منهما فى
جهة او اكثر فهذا هو البرهان قال السّيّد نظام الدّين
احمد قدّس سرّه فى رسالته لاثبات الواجب تعالى
قد ثبت فى محلّه انّه يجوز ان يعلم بعض النّفوس المجرّدة
الالهيّة الكاملة ذات الواجب تعـ بالعلم الحضورىّ
الّذى هو عبارة عن مشاهدة ذاته من غير تكيّف
ولا مسامتة ولا محاذاة واذا جاز ذلك فما المانع من
قول من يجوّز رؤيته تعـ فى الآخرة فانّ الرّؤية فى
الحقيقة عبارة عن مشاهدة حضوريّة ولا يشترط
فيها وقوعها بالجارحة المخصوصة بل بعض القائلين

بجوازها صرّح بانّ رؤيته تع لا تجب ان تكون بتوسّط
تلك الجارحة المخصوصة قال في شرح التجريد لا يلزم من
نفي الرؤية بالبصر نفي الرؤية مط اذ يمكن ان يرى لا
بتلك الجارحة المخصوصة كما هو المدّعى فانّ المثبتين
لرؤيته تع يدّعون انّ الحالة المخصوصة التي تحصل
لنا بالبصر في الدنيا وتسمّى رؤية تحصل لنا في تلك
النشأة بعينها بالنسبة اليه تع من غير توسّط تلك
الجارحة انتهى ويؤيّد ما ذكرناه ما قال المعلّم الثاني
في فصوصه من انّ كلّ ادراك يحصل بلا واسطة الاول سنده
فهو المختصّ باسم المشاهدة وكلّ ما لا يحتاج في ادراكه
الى الاستدلال فهو ليس بغائب بل هو شاهد فادراك
الشاهد هو المشاهدة والمشاهدة امّا بمباشرة
وملاقاة وامّا من غير مباشرة وملاقاة وهذا هو
الرؤية والحقّ الاول تع لا يخفى عليه ذاته وليس ذلك

بالاستدلال فجاز على ذاته مشاهدة كماله من ذاته فاذا
تجلّى لغيره مغنيا عن الاستدلال وكان بلا مباشرة و
لا مماسّة كان مرئيا لذلك الغير فانه صريح فيما ذكرنا
فان قلت اذا كانت المشاهدة الحضورية هي الرؤية
فلا مانع منها في هذه النشأة ايضا فلم اختصّ جواز
الرؤية بالنشأة الاخرة كما هو مذهب اكثر القائلين
بجوازها قلت لعلّ هؤلاء لا يمنعون الجواز بل الوقوع
ولعلّ السرّ في ذلك ما صرّح به بعض الاعاظم من انّ
النفس سيّما الكاملة المشرفة اذا شاهدت المبدء
الاوّل والتذّت بلذّات مشاهدته قلّ اقبالها على
الجسم وعالم التجسيم وكلّما زاد اقبالها عليه نقص توجّهها
الى هذا العالم فينقص توجّهها الى ما تدبّره من الجسم بل
تعرض عنه بالكلّية فيتفتّت اجزاء بدنها وتفسد و
تنحلّ تركيبه ويبطل نظام اعضائه واتّصالها فلم يبق

حيوة بدنية لاعراضها عن البدن بالكلية فان نظام
البدن واتصاله من آثار المجرد المدبر على ما هو المشهور
وبهذا يظهر تفسير الآية الكريمة الحاكية عن سؤال موسى
فانه حيث سئل الرؤية وهي المشاهدة الحضورية اجيب
بلن تراني اي لن تشاهدني وانت في هذه النشأة التعلقية
ويؤيد هذا ما في التورية لا يراني ابن آدم وهو حي اي في
حال الحيوة البدنية فان قيل فلا يمكن الرؤية مع بقاء
الحيوة في النشأة الآخرة ايضا قلت لعل البدن الذي
في النشأة الآخرة غير قابل للتفرق والتفتت او لعل
النفس لكمال قوتها التي اكتسبتها في تلك النشأة اذا
شاهدت المبدأ الاول فيها فاقبلت عليه اقبالا كليا
لا تعرض عن البدن بالكلية ولا يشغلها شأن عن
شأن ولا يخفى على الخبير ان ما ذكرناه ليس توجيها
لكلام القائلين بجواز رؤيته تع وهم الاشاعرة فان

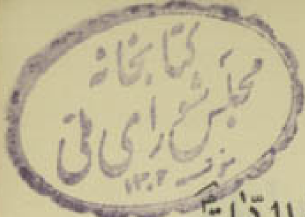
جمهورهم

جمهورهم صرح بان الله تع يرى في الآخرة بهذه الجارحة
المخصوصة بل هو تفسير وتأويل للآيات والاحكام
الدالة على جواز رؤيته تع ووقوعها في النشأة الآخرة
فيكون جوابا لاستدلالهم بتلك الآيات والروايات
سيما ما ذكروه من ان طلب موسى عليه السلام الرؤية دال على
جوازها والا لزم ان يكون جاهلا بصفاته تع فانه انما
طلب المشاهدة الحضورية الصرفة الخالية عن شوب
الخيالات والاوهام لا الرؤية بالبصر ولا حاجة في
جوابه الى تكلفات ارتكبها القائلون بامتناعها فافهم انتهى كلامه

وَعَلِمَ بِمَا كَانَ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ

ما وان مصدريتان كان ويكون تامتان والمراد انه
تع كان عالما بالكون اي الوجود على ما هو عليه قبل
الكون قبلية ذاتية او دهرية او زمانية على الخلاف
والاوسط كما فصلنا القول فيه في رسالتنا المعمولة

لبيان الحدوث الدهري وذلك لان ذاته تعالى بذاته
مبدء فيضان جملة الموجودات عنه فعلمه بذاته علمه بجميع
الموجودات وانكشافها له ولا حاجة في ذلك الى امر مغاير
لذاته انكشافها له انكشافا تفصيليا اذ العلم التام
بالعلة علم تام بالمعلول ومنهم من قال بان علمه تع بما
سواه لما كان علما حضوريا وظاهر ان حضور الاشياء
انما يمكن حين وجود ذاتها لا قبلها فلا بد من اثبات
علم له تع اجمالي هو عين ذاته ومقدم على كافة الايجادات
واما من ذهب منهم الى ان علمه تع بالاشيا علم حصولي
وقال بان صورها في الازل كانت قائمة بذاته تع
عن ذلك اما الكليات فعلى وجهها فلا حاجة له الى
اثبات ذلك العلم الاجمالي والظاهر من الاخبار ان
علمه تع عين ذاته وانه كان عالما بالاشيا قبل احداثها
وقع العلم منه على ما كان معلوما له في الازل وانطبق



عليه وتحقق مصداقه قال سيدنا ابو عبد الله الصادق
على ما رواه عنه ابو بصير لم يزل الله عز وجل ربنا والعلم
ذاته ولا معلوم والسمع ذاته ولا مسموع والبصر ذاته
ولا مبصر والقدرة ذاته ولا مقدور فلما احدث الاشيا
وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم والسمع على المسموع
والبصر على المبصر والقدرة على المقدور ويحتمل ان يكون
المراد بوقوعه عليه العلم به على انه حاضر وكان قد تعلق
به على وجه الغيبة وانه سيوجد والتغير يرجع الى المعلوم
لا الى العلم ولتفصيل المقام موضع اخر

المثلثة

يا من ارقدني في مهاد امنه وامانه

الرقد النوم كالرقاد والرقود بضمهما او الرقاد خاص
بالليل وارقده انامه ولما كانت اسباب النوم
واليقظة وايجاد الليل والنهار منه سبحانه تع اسند الفعل
في الموضعين مجازا فكانه تع كالوالد البر الرحيم الذي

ارقد ولده الصبي في مهد امن وامان بحراسته له وكلائته
اباه عما يضره ويؤذيه حكى ذو النون المصري انه كنت
في البيت اذ وقعت زلزلة في قلبي وصرت بحيث ما
ملكت نفسي فخرجت من البيت وانتهيت الى شط النيل
فرايت عقربا قوية تعدو فتبعتها فوصلت الى طرف
النيل فرايت ضفدعا واقفا على طرف الوادي فقفزت
العقرب على ظهر الضفدع واخذ الضفدع يسبح ويذهب
فركبت السفينة وتبعته فوصل الى الطرف الاخر من
النيل ونزلت العقرب عن ظهره واخذت تعدو فتبعتها
فرايت شابا نائما تحت شجرة ورايت افعيا تقصده
فلما قربت الافعى من الشاب ووصلت العقرب الى
الافعى لدغته والافعى ايضا لدغت العقرب فماتا معا
وسلم ذلك الانسان انتهى فانظر الى حسن صنيعه
بعباده وكيف تعلقت عنايته بالاحسان اليهم والرحمة

لهم هذا ويحتمل ان يكون محمولا على الحقيقة كما تدل عليه
مرسلة ابي المنصور المذكورة في اصول الكافي المروية
عن ابي عبد الله الصادق عليه السلام قال ستة اشياء ليس
للعباد فيها صنع المعرفة والجهل والرضا والغضب والنوم
واليقظة والمهد معروف وهو الموضع الذي يهيئ
للصبي ويوطئ والارض كالمهاد والارض فرشناها
فنعم الماهدون الم نجعل الارض مهادا اي بساطا
ممكنا للسلوك وقيل المهاد بالكسر الفراش وجمعه مهد
ككتاب وكتب ويكون المهاد جمع مهد ايضا كسهام
وسهم ويجمع على مهود ايضا كفلس وفلوس والاضافة
من قبيل لجين الماء حيث شبه الامن والامان بالمهاد
لجامع الراحة ثم قدم المشبه به على المشبه واضيف اليه
او بيانية او شبه الامن والامان بفضاء متسع ثم
اثبت له المهاد ولعله الانسب بالنظر الى لفظ الجمع

واما على الاول فلعله محمول على المبالغة او اريد به
المفرد والامن ضد الخوف وهو اطمينان القلب و
سكون البدن من عدم القلق والاضطراب الحاصل
من مصادمة المكروه وهو المؤمن من العائذات الطير
ركبان مكة بين الضال والسلم وهو الذي امن عباده
من الظلم والجور وقيل الامن عدم توقع مكروه
في المستقبل وفي المصباح امن زيد الاسد امنا وامن
منه مثل سلم وزنا ومعنى والاصل ان يستعمل
في سكون القلب انتهى وامانته تع حفظه وحراسته و
كلائته عباده عن الآفات والعاهات والبليات التي
لا تقتضي حكمته جلت عظمته اصابتها لهم وهو الذي
يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان
امسكهما من احد من بعده ولاقادته تع عباده في
مهاد امنه وامانه اسبابا وبواعث من التطهر والدعوات والتعوذ

بالكلمات التامات مذكورة في مكانها فليطلب من هناك
وايقظني الى ما منحني به من منه واحسانه
اليقظة محركة نقيض النوم وايقظه نبهه ومنحه كمنعه
اعطاه والمنحة العطية والظرف متعلق بمحذوف اي
نبهني هاديا ومرشدا الى ما اعطاني من توفيقه لعبادته
وتأهيله لطاعته وما يحصل به المعاش وينتظم به
المعاد ولفظة من بيانية والمنن جمع منة بالكسر
بمعنى النعمة وهو الذي اسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة
والمن العطاء وكثيرا ما يرد المن في كلامهم بمعنى الاحسان
الى من لا يستثيبه ولا يطلب الجزاء عليه وفي القاموس
من عليه منا انعم واصطنع عليه صنيعة ومنه امتن و
قيل المنة النعمة الثقيلة وتطلق على معنيين احدهما
ان تكون بالفعل نحو من عليه اثقله بالنعمة ومنه
لقد من الله على المؤمنين الثاني ان تكون بالقول

وهو عدّ الاحسان وهو مستقبح ولهذا قيل المنّة
تهدم الصنيعة الا عند الكفران وقال بعض العلماء
المنّة تذكير المنعم للمنعم عليه بنعمته والتطاول عليه بها
كقوله تع يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم
في غير موضع من كتابه وهي صفة مدح للحقّ سبحانه
وان كانت صفة ذمّ لخلقه والسبب الفارق كون
كلّ منعم سواه يحتمل ان يتوقّع لنعمته جزاء ويستفيد كمالا
يعود اليه ممّا افاده ويقبح بمن يعامل بنعمته ويتوقّع
جزاء ان يمنّ بها او بما يستلزم المنّ من التطاول بما
يتاذّى به المنعم عليه فيبطل بذلك استعداد نفسه
لقبول رحمة الله وجزائه ولذلك ورد النهي عن المنّة في
قوله تع يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم
بالمنّ والاذى فجعلها سببا لبطلان الصدقة اي
عدم استحقاق ثوابها وفيه نظر فقد ورد في الدعاء

هم

عنهم عليهم السلم تنزيهه تع عن الامتنان بالمعنى المذكور
كقول علي بن الحسين في دعائه لطلب الحوائج يا من لا يكدّر
عطاياه بالامتنان وقوله ع في وداع شهر رمضان
ولم تشب عطاءك بمنّ وذلك لانّ الامتنان بالمعنى
المذكور لمّا كان رذيلة ناشئة عن دنائة النفس و
صغر الهمّة واستعظام النعمة والاحسان كان تع
منزّها عنه لانّ كلّ نعمة من نعمه تع وان عظمت وكلّ
عطيّة من عطاياه وان جلّت بالنسبة الى العبد والمنعم
عليه فهي حقيرة بالنسبة الى عظمته تع وشانه جلّت
قدرته اجلّ من ان يكون لها عنده موقع فيمنّ بها
ويعتدّ على من اعطاه وانعم عليه فقوله انّ المنّ بالمعنى
المذكور صفة مدح للحقّ سبحانه وان كان صفة ذمّ
للمخلوق ليس بشيء وعبارة الدعاء تشهد ببطلانه
واعلم انّ النوم حالة تعرض للحيوان من استرخاء اعصاب

الدماغ من رطوبات الابخرة المتصاعدة بحيث تقف
الحواس عن احوالها لعدم انصباب الروح الحيواني
اليها واليقظة زوال تلك الحالة وتفصيله ان الروح
الحيواني وهو الجوهر البخاري اللطيف الحاصل من
لطيف الاغذية المنتشرة في الاعضاء والعروق وبسببه
يحصل للاعضاء قوة الحس والحركة وهو مركب الروح
الانسانية اذا انتشر في جميع اعضاء البدن ظاهره
وباطنه حصل الحس والحركة وهذا هو اليقظة وان
بقي في الباطن ولم يصل الى الظاهر تعطلت الحواس
الظاهر وهذا هو النوم وبقاؤه في الباطن يكون لاسباب
منها طلب الاستراحة عن كثرة الحركة ومنها تحلله بسبب
الافعال الكثيرة الصادرة من الحواس فتشتغل
الطبيعة بنضج الغذاء ليستمد الروح من لطيفه ومنها
الانسداد المجاري فان الانسان اذا شرب الشراب

مثلا تصاعدت ابخرة من المعدة الى الدماغ ونزلت
الى الاعضاء فامتلات المجاري وانسدت فلا يقدر
الروح على النفوذ كما ينبغي وربما كان اكل الطعام
موجبا للنوم لهذا السبب

وَكَفَّ اَكُفَّ السُّوءِ عَنِّي بِيَدِهِ وَسُلْطَانِهِ

حيث اعاذني حين ما انا منى من شر ما ذرأ وما برأ
ومن شر كل دابة هو اخذ بناصيتها من العقارب
والحيات والهوام وغيرها من الموذيات الانسية
والجنية والكف المنع يقال كففت الرجل عن الشئ
فكف يتعدى ولا يتعدى وهو الذي كف ايديهم
عنكم والاكف جمع كف وهي الراحة مع الاصابع
سمي بذلك لانها تكف الاذى عن البدن وفي
ق الكف اليد او الى الكوع والجمع اكف وكفوف انتهى
وقال المرقش الاكبر يصف النساء النشر مسك والوجوه دنانير

واطراف الاكف عنم وفيه تجنيس محرّف كما في جبّة البُرد
جُنّة البَرد وبيانه انه اذا اختلف لفظ المتجانسين في
اعداد الحرف بان يكون حروف احدهما اكثر من الآخر
بحيث اذا حذف الزائد اتفقا في النوع والهيئة والترتيب
سمي الجناس ناقصا لكن هنا بعد الحذف صير محرّفا
لانحراف هيئة احد اللفظين من هيئة الاخر والسوء
بضم السين المهملة وفتحها ما يسوءك ويشينك
وقرء قوله تعـ عليهم دائرة السوء بالوجهين وقيل
هما لغتان من ساء يسوء اذا قبح غير ان المفتوح غلب
في ان يضاف اليه ما يراد ذمّه والمضموم جرى مجرى
الشر وكلاهما في الاصل مصدر وقيل هو بالفتح مصدر
وبالضم اسم منه وقيل المفتوح الرداءة والفساد والمضموم
الشرّ والضرر وقيل السوء في الاصل مصدر ساءه
يسوءه اذا احزنه يطلق على جميع المعاصي سوآء كانت

من اعمال الجوارح او افعال القلوب لاشتراك كلها
في انها تسوء صاحبها بعواقبها والظرفان متعلقان
بكفّ وبيده تعـ قدرته لانها تستعمل مجازا تارة في
القدرة واخرى في النعمة وعن الباقر اليد في كلام
العرب القوة والنعمة والسماء بنيناها بايد بقوة
ولفلان عندي ايادي كثيرة فواضل واحسان
وله عندي يد بيضاء اي نعمة والتسلط بمعنى الغلبة
والقدرة ومنه قوله تعـ فانفذوا لا تنفذون
الا بسلطان اي بقوة وقهر وغلبة وقد يجيء بمعنى
الحجّة والدليل لتسلطه على القلب واخذه بعنانه
فالعطف تفسيري او قريب منه وفي الكلام استعارة
مكنية وتخييلية ومجاز مرسل وترشيح له وهو
قوله كفّ والترشيح غير مختص بما يقترن بلفظ المشبه به
ولا بالاستعارة المبنية على التشبيه لتصريحهم بانّ

اطو لكن ترشيح للمجاز المرسل الذي في اليد ولا تشبيه
فيه اصلا واما تفسيرهم له بذكر ما يلائم المشبه به فانما
هو في الترشيح الذي في التشبيه وكذا ما ذكروا من
الاقتران بلفظ المشبه به فالمراد انه كك فيما اذا كان
في الكلام تشبيه صرح بذلك بعض المحققين والاولى
ان يكون ذلك جاريا على سنن التمثيل الذي يسميه
اهل البيان تمثيلا تخييليا اى الايقاع في الخيال
بتصوير المعاني العقلية بصور اعيان الحسية لكونها
اظهر حضورا واكثر خطورا وهذا ما قال الحكماء
ان الناس للتخييل اطوع منهم للتصديق فاكثروا
من استعمال القضايا المخيلة في مقام الترغيب
والترهيب والاستمالة والاستعطاف ونحو ذلك
وهي وان كانت ترى بحسب الظاهر كاذبة فليست
بكاذبة لان القصد منها تشبيه تلك الحال بحال

تفرض له تلك الصورة الحسية مثلا مثل حال كلاشه
وتسلطه وقدرته تع على دفع الآفات والعاهات
والموذيات عن العباد بحال من تكون له يد تكف بها
الاذى عن غيره فيحفظه ويحرسه من غيره ان يذهب بها
الى جهة حقيقة بالنسبة اليه تع كما يذهب اليه المجسمة
او مجاز بان يراد باليد القدرة وانما المراد بالمفردات
في مثل ذلك حقائقها في نفسها كما في قولك اراك
تقدم رجلا وتؤخر اخرى لكن لا بالنسبة الى الممثل له
بل بالنسبة الى الممثل به
وهو باب جليل في علم البيان وعليه يحمل كثير من
متشابهات القران كقوله تع والارض جميعا قبضته
يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه وقوله والسماء
بنيناها بايد قال صاحب الكشاف ان ذلك تمثيل
وتصوير لعظمته تع وتوقيف على كنه جلاله من غير
ذهاب بالقبضة واليمين والايدي الى جهة حقيقة

او مجاز بل يذهب الى اخر الزبدة والخلاصة من الكلام
من غير ان يتحمل بمفرداته حقيقة او مجازا كقوله تعالى
وقالت اليهود يد الله مغلولة اى هو بخيل بل يداه
مبسوطتان اى هو جواد من غير تصور يد ولا غل
ولا بسط وشدد النكير على من تاول القبضة بالملك
واليمين واليد بالقدرة وقال انه من ضيق العطن
والمسافة من علم البيان مسافة اعوام قال وكم
اية من ايات الله فى التنزيل وحديث من احاديث الرسول
قد ضيم وسيم الخسف بالتاويلات الغثة والوجوه الرثة
واعتذر الشيخ عبد القاهر من تاويلهم القبضة بالملك
واليد بالقدرة ونحو ذلك بان الغرض منه ان لا يقع
السامع فى التشبيه والتجسيم ثم ما ينبه على كون الكلام للتصوير والتمثيل

صل اللهم على الدليل اليك فى الليل الاليل

لما كانت النفوس البشرية فى الاغلب منغمسة فى العلائق

البدنية الحاصلة بسبب تدبير البدن وتكميله مكدرة
بالكدورات الطبيعية الناشية من القوة الشهوية والغضبية
وكان ذات المفيض عز اسمه فى غاية التنزه عنها ولم يكن
بينهما بذلك مناسبة موجبة لفيضان كمال وجب
عليها فى استفاضة الكمالات واستنجاح المطالب
والحاجات من تلك الحضرة المتنزهة التوسل الى متوسط
يكون ذا جهتى التجرد والتعلق ليقبل ذلك المتوسط
الفيض منه بتلك الجهة الروحانية التجردية وتقبل
النفس منه بهذه الجهة الجسمانية التعلقية فلذلك
وقع منه عم فى مقام التعليم التوسل الى المؤيد بالرياسة
مالك ازمة الامور فى الجهتين والى اتباعه الذين
قاموا مقامه بافضل الوسائل واكمل الفضائل
اعنى الصلوة اصالة عليه وعليهم تبعا فقال يا من
هذا الذى ذكرناه شانه صل عليه وعليهم على ان يكون

اللهم بدل يا من دلع واخواته المذكورة او هو ابتينا في
كلام وما قبله تعداد صفات تقديما للوسيلة على
طلب الحاجة والصلوة اصلها الدعا لكنها منه
سبحانه مجاز في الرحمة والمشهور انها عنه تع الرحمة
وعن الملائكة الاستغفار ومن المؤمنين الدعاء
وقال بعض المحققين التحقيق انها تستعمل في قدر
مشترك بينها وهو الامداد لان المدد كما يصل من
فوق بالافاضة يصل من تحت بالاستفاضة وانما
عدلنا عن المشهور لاستلزامه الاشتراك والمجاز
خير منه والمناقشة بان العطف في قوله اولئك عليهم
صلوات من ربهم ورحمة يدل على مغايرتهما ولذا
جعلها بعضهم بمعنى الرضوان مندفعة بان التصريح
بالحقيقة بعد ارادة المجاز يفيد تقوية المقصود على
ان العطف لا يدل على المغايرة مط فان من اقسامه

عطف

عطف الشيء على مرادفه وقد عد بعضهم منه الاية
وقوله انما اشكو بثي وحزني الى الله وقوله لا ترى
فيها عوجا ولا امتا وغاية السؤال بالصلوة عائدة
الى المصلي كما تدل عليه صحيحة صفوان بن يحيى المذكورة
في الكافي في باب العطاس قال كنت عند الرضا ع
فعطس فقلت صلى الله عليك وقلت له جعلت فداك
اذا عطس مثلك يقال له كما يقول بعضنا لبعض
يرحمك الله او كما تقول قال نعم قال اليس تقول
صلى الله على محمد وال محمد قلت بلى قال ارحم محمدا و
ال محمد قال بلى وقد صلى الله عليه ورحمه ٢ وانما صلواتنا عليه رحمة لنا وقربة و
هي تدل على ان الله تع قد اعطاه من اعلاء الكلمة
وعلو الدرجة ورفع المنزلة ما لا يؤثر فيه صلوة
مصل ولا دعاء داع وقد اوضحنا الكلام فيه في
تعليقاتنا على الايات الاحكامية المنسوبة الى الفاضل

الاردبيلي ره وقيل بل غاية الصلوة طلب زيادة كماله
وقربه من الله اذ مراتب استحقاق نعم الله عزّ وجلّ
غير متناهية وقيل معنى الصلوة عليه تعظيمه في الدنيا
باعلاء كلمته وابقاء شريعته وفي الآخرة بتضعيف
مثوبته والزيادة في رفع درجته وهل تجب الصلوة
عليه عند ذكره على الذاكر والمذكور عنده ظاهر كثير
من الاخبار ذلك لقوله صلى الله عليه وآله من ذكرت
عنده ولم يصل عليّ دخل النار وقوله ع من ذكرت عنده
فنسي الصلوة خطى به طريق الجنة وقوله من ذكرت
عنده ولم يصل عليّ فدخل النار فابعده الله الوجوب
لمكان الوعيد الدال عليه وهو مختار الصدوق
والمقداد ره من اصحابنا والطحاوي من العامة و
قال الزمخشري وهو الذي يقتضيه الاحتياط ومنهم من
اوجبها في كل مجلس مرة ومنهم من اوجبها في العمر مرة

وهذه اقوال لا مستند لها فالقول بها تحكم والاولى
وجوبها عند كل ذكر للاخبار الكثيرة الصريحة بالامر
بها كلما ذكر والاصل في الامر الوجوب واما القول
بالاستحباب مطلقا كما ذهب اليه جماعة مستندين الى الاصل
والشهرة المستندين الى عدم تعليمه للمؤمنين وتركهم
ذلك مع عدم وقوع نكير عليهم كما يفعلون الآن و
لو كان لنقل ففيه ان عدم التعليم ممنوع وكذا عدم
النكير كعدم النقل لما في الكافي عن الباقر ع اذا اذنت
فافصح بالالف والهاء وصل على النبي كلما ذكرته
او ذكره ذاكر في اذان وغيره على ان عدم النقل لا يدل
على عدمه وايضا اصالة البراءة لا يصح التمسك بها بعد ورود
القرآن والاخبار هذا واسمه تعالى من حيث هو اسمه يتعلق
به اهتمام واعتناء وقد تعرض له بحسب المقامات
عنايات اخرى كقصد الاختصاص مثلا فاذا اجتمعت

للمؤذنين

العنايتان كما في التسمية قدم لا محالة واذا انفردت
الاولى عن الثانية فان لم يعارضها ما هو اولى بالاعتبار
قدم ايضا والا فلا كما في اقرأ فانه قد عارضها العناية
بالقراءة مع رعاية الاصل الذي هو تقديم العامل
وهذا بعينه ما نحن بصدد بيانه فانه قد عارضته
العناية بالصلوة عليه ومع رعاية الاصل فلاجرم
قدمه عليه وكذا الحال في سائر فقرات الغاية
والمشهور ان اللهم اصله يا الله حذف منه حرف
النداء وعوض عنه الميم المشددة ولذا لا يجتمعان
وهذا من خصائص هذا الاسم كدخول يا عليه
مع لام التعريف والدليل فعيل من دله على الطريق
اذا اهداه اليه وارشده له وعلى الدليل متعلق بصلى
وهو من ابنية المبالغة يعني كلما تكررت الضلالة
من السالك تكررت منه الدلالة والهداية وانما

١٢ المغايرة

علق

علق الصلوة على كونه دليلا ومسلكا وغيرهما مما سياتي من فرح
هذا البدل بذلك على ان استحقاقه لها انما هو لاتصافه
بتلك الاوصاف ولذا ترك التصريح بالاسم وهو
الاعرف والاشهر او الوجه فيه ادعاء تعينه وان
الوهم لا يذهب بالاوصاف هذه الى غيره ثم الظاهر
انه عليه وآله السلام دليل وضعي وان كانت دلالته وضعية
لفظية لانه انسان كامل بعثه الله الى الخلق لتبليغ احكامه
وتبيين كلامه وتعيين مرامه يا ايها النبي انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه سراجا منيرا
ولما ضمنه معنى الهادي او الداعي عداه بالى والاولى
استعماله بعلى والى يتعلق به وفيه حذف وايصال
اى الى معرفتك ورضوانك وقربك وجنانك ودليل
الحذف هو العقل واما تعيين المحذوف فلان المقصود
الاصلي من بعثة الرسل او فيه تمثيل تخييلي على قياس

ما مرّ في الفقرة السّابقة يعرفه من له ادنى مسكة بالبيان
اذا تامّله والليل تاكيد على طريقة ظلّ ظليل وداهية
دهيا وشعر شاعر وحقيقته انّهم يشتقّون من لفظ
الشئ الّذي يريدون المبالغة في صفته ما يتبعونه تاكيدا
وتنبيها على تناهيه في ذلك وذلك انّه صلعم قد بعث
على فترة من الرّسل واختلاف من الملل وانقطاع من
السّبل ودروس من الحكمة وطموس من اعلام الهدى
والبيّنات فبلغ رسالة ربّه وصدع بامره وادّى
الحقّ الّذي عليه فهو دليل اليه وسلّم به يرتقى اليه ص
قال صاحب الدّعاء جعلت له الفداء بعث الله محمّدا
لانجاز عدته وتمام نبوّته ماخوذا على النّبيّين ميثاقه
مشهورة سماته كريمة ميلاده واهل الارض يومئذ
ملل متفرّقة واهواء منتشرة وطرائق متشتّتة بين مشبّه
لله بخلقه او ملحد في اسمه او مشير الى غيره فهداهم من

الضّلالة وانقذهم بمكانه من الجهالة انتهى واليه
يشير قوله جلّ وعلا هو الّذي بعث في الاميّين رسولا منهم
يتلو عليهم اياته ويزكّيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة و
ان كانوا من قبل لفي ضلال مبين وسياتي في ذلك
كلام ابسط من ذلك انتهى ثمّ وفي الكلام استعارة مصرّحة
حيث شبّه الفترة وما فيها من البدعة والجهالة والضّلالة
باللّيل لكونه جاعلا صاحبه كمن يمشي في الظّلمة فلا
يهتدي للطّريق ولا يامن ان ينال المكروه ثمّ ذكر
المشبّه به واراد به المشبّه وفيه دلالة على انّ هذا اللّيل
انّما ظهر من قبيلة ما كانوا من اهل العلم بل كان من
بلدة ما كان فيها احد من العلماء بل كانت الجهالة
غالبة عليهم فاذا خرج من هذه البلدة ومن مثل هذه
القبيلة انسان من غير ممارسة شئ من العلوم ولا
تلمّذ احد من العلماء ثمّ بلغ في معرفة ذات الله وصفاته

وافعاله واسمائه الى هذا المبلغ الذى عجز جميع الاذكياء
من العقلاء عن القرب منه بل اقر واطرا بانه لا يمكن
ان يزداد فى تقرير الدليل على ما ورد فى القران ثم ذكر
قصص الاولين وتواريخ المتقدمين بحيث لم يتمكن احد
من الاعداء ان يقول انه اخطأ فى شئ منها او طالع كتابا
او تلمذ استاذا وكانت هذه الاحوال الظاهرة معلومة
للاصدقاء والاعداء فكل من له قلب سليم وطبع مستقيم
اذا تامل ادنى تامل يعلم ان هذه الاحوال لا يتيسر الا
بالتعاليم الالهية والهدايات الربانية والى ذلك يشير بقوله

وَالْمَاسِكِ مِنْ أَسْبَابِكَ بِحَبْلِ الشَّرَفِ الْأَطْوَلِ

عطف على الدليل وكذا ما ياتى من الجملتين معطوفتان
عليه من باب عطف الصفات بعضها على بعض لاتحادها
فى المفهوم ويوجد فى بعض النسخ المتمسك يقال مسك به
وامسك ومسك وتمسك احتبس واعتصم به والمسكة

بالضم ما يتمسك به والمسيك كالبخيل وزنا ومعنى
من يمسك ما فى يده ولا يعطيه احدا وكلمة من تبعيضية
والسبب فى الاصل حبل يتوصل به الى الماء ثم استعير لكل
ما يتوصل به الى المطلوب من القدرة والعلم والالة
وغيرها وهذا معنى ما ورد فى بعض الادعية يا مسبب الاسباب
من غير سبب وآتيناه من كل شئ سببا وتقطعت
بهم الاسباب اى الوصل والمودات والعرب يشبه
النور الممتد بالحبل ومنه ما ورد فى صفة القران
كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض اى نور
ممدود يعنى نور هداه وفى خبر اخر وهو حبل الله
المتين اى عهده وامانه الذى يؤمن من العذاب
والحبل العهد والميثاق واضافة الحبل الى الشرف
اضافة الذهب الى الاصيل والشرف بفتحتين القدر
والقيمة والرفعة والعلو ومنه الاستشراف ويوان

تضع يدك على حاجبك وتنظر كالذي يستظل من الشمس
ليتبين الشيء كانه ينظر اليه من موضع مرتفع فيكون
اكثر لادراكه شرف ككرم وهو شريف وشرفه
تشريفا اعلاه واصله من الشرف وهو المكان المشرف
العالي ثم استعمل في القدر والمنزلة مجازا قال في
الاساس ومن المجاز لفلان شرف وهو علو المنزلة
وشرفه الله والمراد باطوليته انه اشرف من سائر الكتب
السماوية واجمع منها علما وبيانا ومعجزة دونها فهو
حبل وثيق عروته ومعقل منيع ذروته وفي الكلام
استعارة مصرحة حيث انه استعار له الحبل من
حيث ان التمسك به سبب للنجاة عن الردى كما ان
التمسك بالحبل سبب للسلامة عن الردى واستعار
للوثوق به والاعتماد عليه التمسك والاعتصام
ترشيحا للمجاز فاعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا هذا

اذا كان المراد بحبل الله كتابه واما اذا كان المراد به دينه
فشرافته واطوليته ظاهرة لانه لما كان خاتم النبيين
كانت شريعته الغراء وملته البيضاء باقية الى يوم الدين
او يقال ان الحبل الاطول كناية عما هو اقوى واحكم
في الايصال الى المطلوب والاول هو المتبادر
والمنساق الى الذهن وهو الاكمل

وَالنّاصِعِ الحَسَبِ في ذِرْوَةِ الكاهِلِ الأَعْبَلِ

الناصع الخالص من كل شيء ومن الالوان احسنها
ونصع الامر نصوعا وضح لونه واشتد بياضه و
يقال للذي فيه حمرة من الصفرة احمر ناصع والحسب
الاصل الشرف في الاباء وما يعده الانسان من
مفاخرهم وقيل الحسب والكرم يكونان في الرجل
وان لم يكن له اباء لهم شرف والشرف والمجد لا يكونان
الا بالاباء ومنه الحديث حسب الرجل نقاء ثوبه

اى انّه يوقّر لذلك حيث هو دليل الثروة والجِدّ و
بالجملة الحسب عبارة من شرف الانسان ومكارمه
ومناقبه كالشجاعة والسخاوة وحسن الخلق قال
رسول الله صم افة الحسب الافتخار اى انّ الافتخار
يهدم الحسب ولذا قال سيّد البشر على ما ورد عنه
فى الخبر انا سيّد وُلد ادم ولا فخر والذروة بالكسر
والضمّ اعلى سنام البعير وذروة كلّ شئ اعلاه و
منه الحديث على ذروة كلّ بعير شيطان وكاهل البعير مقدّم
ظهره وهو الذى يكون عليه المحمل والمذكور فى
كتب الادب انّه ما بين الكتفين ويجمع على كواهل
ويق فلان كاهل بنى فلان اى عمدتهم فى الملمّات
وفى القاموس الكاهل كصاحب الحارك او مقدّم
اعلى الظهر ممّا يلى العنق وهو الثلث الاعلى وفيه ستّ فقرا
او موصل العنق فى الصلب والعبل الضخم من كلّ شئ

والعبلاء حجارة بيض قال الشا كانّما الامتها الاعبل
فكانّما استعير البياض لخلوص الحسب والنسب والخلق
والخلق ولمّا كان الناصع ماضيا لم يعمل او يق انّه
مضاف الى الحسب بناء على تقدّم اعتبار الاضافة
على دخول اللام كما هو مذهب الفرّاء واضافة الذروة
لامية والاعبل صفة الكاهل والمعنى صلّ اللهمّ
على من وضحت وخلصت مفاخره الجسمانيّة والروحانيّة
من شائبة نقص وقدح حال كونها ثابتة فى اعلى محلّ و
اشرف موضع واحفظ مكان لا يمكن ان تنال له يد
طاعنة فتشبيه الحسب وهو من المعانى المعقولة بالاجسام
المحسوسة تشبيه معقول بمحسوس مبالغة فى وضوحه
وظهوره وعدم خفائه كانّه امر محسوس مشاهد و
كذا فى اسناد الخلوص والوضوح اليه وكونه فى ذروة
الكاهل ثمّ فى وصفه بالعبل عدة تاكيد ومبالغة

وعدم امكان انكاره والقدح فيه كيف وله بابي وامي
مفاخر غزيرة ومآثر كثيرة لا يحيط بها احد ولا يحصيها
عدّ فانّ البحر لا ينزف وسرّ الغيب لا يعرف منها
تسبيح الحصى وحنين الجذع واشباع الخلق الكثير من
الطعام اليسير وانشقاق القمر ونبوع الماء من
بين اصابعه وشكاية الناقة وشهادة الشاة المشوية
وتكلم الضب وظل الغمام ورؤيته من خلفه وسماع
الصوت نائما والتكلم بكل لسان والعلم بالسنة
الطيور والوحوش وكل ما يدب على الارض وما كان
من حال ابي جهل لعنه الله وصخرته حين اراد ان يضرب
على راسه وما كان من شاة ام معبد حين مسح على
ضرعها وانه ما كان للدنيا في قلبه وقع اصلا
وكان مع اهلها في غاية الترفع ومع الفقراء واهل
المسكنة والدين في غاية التواضع وكان في اعلى

مراتب الفصاحة والبلاغة حتى قال اوتيت جوامع الكلم و
لم يسمع منه لا في مهمات الدنيا ولا في مهمات الدين
كذب قط ولم يقدم على قبيح قط ولم يفر من عدوه
قط وكان عظيم الرافة امته حتى كاد ان يذهب نفسه
عليهم حسرات وكان في اعلى درجات السخاء حتى
عوتب بلا تبسطها كل البسط وقصة فداء عباس
لما اسر يوم احد ودعاء الشجرتين في قتال بني قريظة
لما اراد قضاء الحاجة وضمان الظبية من صيادها
وشفاء رمد ابن عمه صلوات الله عليهما والهما
يوم خيبر بريقه الى غير ذلك من مفاخره ومآثره
الغير المحصورة مشهورة وفي كتب السير والاخبار
مسطورة ويمكن ان يكون قوله صلوات الله عليه
في ذروة الكاهل الاعبل اشارة الى انه صلى الله
عليه واله مع انه كان خالص الحسب وواضح النسب كان

في ظل حماية عمه ابي طالب واسمه عبد مناف ولقبه
عمران وكفى في غايته وهو الذي تسود القريش بعد
ابيه عبد المطلب ودعى النبي ص حق رعايته وحماه
جدا وكف عنه اذى المشركين وشر المنافقين
فكان كاهل قومه وعمدتهم في الملمات وسندهم
في المهمات ففي الكافي في رواية صحيحة عندي
وحسنة على المشهور بابرهيم بن هاشم القمي عن ابن
ابي عمير عن هشام بن الحكم عن ابي عبد الله الصادق ع
بينا النبي ص في المسجد الحرام وعليه ثياب له جدد
فالقى المشركون عليه سلا ناقة فملؤا ثيابه بها
فدخله من ذلك ما شاء الله فذهب الى ابي طالب
فقال له يا عم كيف ترى حسبي فيكم فقال له
وما ذاك يا ابن اخي فاخبره الخبر فدعا ابو طالب
حمزة واخذ السيف وقال لحمزة خذ السلا ثم توجه

بينما ن

الى القوم والنبي ص معه فاتى قريشا وهم حول الكعبة
فلما راوه عرفوا الشر في وجهه ثم قال لحمزة امر السلا
على سبالهم ففعل ذلك حتى اتى على اخرهم ثم التفت
ابو طالب الى النبي ص فقال يا ابن اخي هذا حسبك
فينا وفيه عنه ع قال لما ولد النبي ص مكث اياما ليس له
لبن فالقاه ابو طالب على ثدي نفسه فانزل الله فيه
لبنا فرضع منه اياما حتى وقع ابو طالب على حليمة
السعدية فدفعه اليها وفيه عنه ع قال لما توفي
ابو طالب ع نزل جبرئيل على رسول الله ص فقال يا محمد
اخرج من مكة فليس لك بها ناصر وثارت قريش بالنبي ص
فخرج هاربا حتى جاء الى جبل بمكة يقال له الحجون
فصار اليه والاخبار والقصائد في ذلك من
طرق العامة والخاصة اكثر من ان تحصى روى الثعلبي
في سورة الانعام في تفسير قوله تعالى وهم ينهون عنه

وروينا عنه باسناده قال قال مقاتل نزلت في
ابيطالب واسمه عبد مناف وذلك ان النبي ص
كان عند ابيطالب يدعوه الى الاسلام فاجتمعت
قريش الى ابيطالب يريدون سوءا بالنبي فقال ابوطالب

والله لن يصلوا اليك بجمعهم حتى اوسد في التراب دفينا
فاصدع بامرك ما عليك غضاضة وابشر وقر بذاك منك عيونا
ودعوتني وزعمت انك ناصحي ولقد صدقت وكنت قبل امينا
وعرضت دينا لا محالة انه من خير اديان البرية دينا

والى ذلك اشار بقوله والناصع الحسب في ذروة الكاهل الاعلى
والثابت القدم على زحاليفها في الزمن الاول
الثبات القرار وعدم العثرة والقدم معروفة وهي
الرجل كما في ق مؤنث سماعي والالف واللام
فيها عوض عن المضاف اليه اى قدمه وحمل كلمة على
على معنى مع يعطي من المبالغة ما يعطيه حملها على

معناها يعرفه العاقل اذا تامله والزحاليف كالاساليب
والزحلوفة موضع تنزل فيه الاقدام ولا تكاد تثبت
بوجه وفي القاموس الزحلوفة مكان منحدر مملس
وفي المجمع البحرين الزحاليف جمع زحلوفة وهي المكان
المنحدر الاملس ومنه في وصفه الثابت القدم
على زحاليفها في الزمن الاول اى قبل النبوة والضمير
للدنيا وان لم يجر لها ذكر لمعلوميتها والكلام استعارة انتهى
والاضافة لامية والزمن لفظ مفرد مقصود منه
الزمان كعم وبم ولم وفي الزمن الاول يتعلق بالثابت
والمعنى صل اللهم على من كانت قدمه ثابتة
مع وجود مزالها في الزمن الاول فان حملت
القدم على ما هو المعروف منها وهو الرجل فالمراد
بالزمن الاول صدر الاسلام قبل شوكته كيوم الاحد
ويوم الاحزاب فانه ع كان قوي القلب فارسا كميا

شجاعاً في الحروب محامياً واثقاً بالله وبمواعيده لم يفرّ
من احد من اعدائه قطّ لا قبل النبوّة ولا بعدها وان
عظمت البليّة وشدّت المحنة الّا ما كان فيه
مأمورا من الله بالهرب والفرار لضرب من المصلحة
كهربه من قريش في ليلة الغار وعلى هذا فثبات
قدمه كناية عن شجاعته من باب ذكر الملزوم وارادة
اللازم فانّ ثبات القدم في المخاطر والمهالك اوّل
دليل واقوى امارة على الجرأة والشجاعة وقوّة
القلب والجسارة فهو كقولك زيد طويل النجاد
او كثير الرّماد تريد به طول قامته وغاية جوده و
سخائه وكثرة طبخه وضيافته وان حملتها على قدم
الذهن وثبات الفكر على سبيل الاستعارة بالكناية
والتخييل والترشيح فيحتمل ان يكون المراد بالزمن الاوّل
ما قبل بعثته فانّ هذا الزمان كان زمان فترة و

جاهليّة

جاهليّة والنّاس فيه كانوا عابدي اصنامهم عاكفين
عليها ساجدين لها وهو عليه وآله السّلم كان عارفا
بالله وبصفاته العليا واسمائه الحسنى ولم يسجد لصنم
اصلا كما قال انتهت الدعوى اليّ والى علي لم يسجد
احدنا لصنم فاتّخذني نبيّا واتّخذ عليّا وليّا
هكذا رواه المغازلي الشافعي في تفسير كريمة لا ينال
عهدي الظالمين وتفصيل هذه الجملة انّ الخلق
عند مقدمه ص كانوا بين من عليه اسم الشّرائع و
غيرهم امّا الاوّلون فاليهود والنّصارى والمجوس
وكانت اديانهم اضمحلّت من ايديهم وانّما بقوا من
متشبهين باهل الملل وقد كان الغالب عليهم
دين التّشبيه ومذهب التّجسيم كما حكى القرآن الكريم
عنهم وقالت اليهود والنّصارى نحن ابناء الله
واحبّاؤه وقالت اليهود عزير بن الله وقالت النّصارى

المسيح ابن الله والمجوس اثبتوا اصلين اسندوا الى احدهما
الخير والى الثاني الشر وسموهما النور والظلمة وبالفارسية
يزدان واهرمن وزعموا انه جرت بينهما محاربة ثم
ان الملائكة توسطت واصلحت بينهما على ان يكون
العالم السفلي خالصا لاهرمن الذي هو الظلمة
سبعة آلاف سنة ثم يخلي العالم ويسلمه الى يزدان
الذي هو النور الى غير ذلك من هذيانهم وخبطهم
واما غيرهم من اهل الاهواء المنتشرة والطرائق
المتشتتة فمنهم العرب اهل مكة وغيرهم وقد كان
منهم معطلة ومنهم محصلة نوع تحصيل اما
المعطلة فصنف منهم انكروا الخالق والبعث والاعادة
وقالوا بالطبع المحيي والدهر المضئ وهم الذين حكى
القرآن عنهم وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا نموت
ونحيى وما يهلكنا الا الدهر وقصروا الموت والحياة

المفني

على تحلل الطبائع المحسوسة وتركبها فالجامع هو الطبع
والمهلك هو الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون
وصنف منهم اقروا بالخالق وابتداء الخلق عنه و
انكر البعث والاعادة وهو المحكي عنهم في القرآن
الحكيم وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام
وهي رميم وصنف منهم اعترفوا بالخالق ونوع من
الاعادة ولكنهم عبدوا الاصنام وزعموا
انها شفعاؤهم عند الله ويعبدون من دون
الله ما لا يضرهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا
عند الله ومن هؤلاء قبيلة ثقيف وهم اصحاب
اللات بالطائف وقريش وبنو كنانة وغيرهم
اصحاب العزى ومنهم من يجعل الاصنام على
صور الملائكة ويتوجه بها الى الملائكة ومنهم
من كان يعبد الملائكة واما المحصلة فقد

كانوا في الجاهلية على ثلثة انواع من العلوم احدها
علم الانساب والتواريخ والاديان الثاني
علم تعبير الرؤيا الثالث علم الانواء وذلك مما
يتولاه الكهنة والقافة منهم وعن النبي من قال
مطرنا بنوء كذا فقد كفر بما انزل على محمد ومن
غير العرب البراهمة من اهل الهند ومدار مقالتهم
على التحسين والتقبيح العقليين والرجوع في كل
الاحكام الى العقل وانكار الشرائع وانتسابهم
الى رجل منهم يقال له براهام ومنهم اصحاب البدوه
والبدوه عندهم شخص في هذا العالم لا يولد و
لا ينكح ولا يطعم ولا يشرب ولا يهرم ولا يموت
ومنهم اصحاب الفكرة وهم اهل العلم منهم بالفلك
واحكام النجوم ومنهم اصحاب الروحانيات الذين
اثبتوا وسائط روحانية تاتيهم بالرسالة من عند الله

في صورة البشر من غير كتاب فتامرهم وتنهاهم و
منهم عبدة الكواكب ومنهم عبدة الشمس ومنهم
عبدة القمر وهؤلاء يرجعون بالآخرة الى عبادة
الاصنام اذ لا تستمر لهم طريقة الا بشخص حاضر
ينظرون اليه ويرجعون في مهماتهم اليه ولهذا كان
اصحاب الروحانيات والكواكب يتخذون اصناما
على صورها فكان الاصل في وضع الاصنام
ذلك اذ يبعد ممن له ادنى فطنة ان يعمل خشبا
او حجرا بيده ثم يتخذه الها الا ان الخلق لما عكفوا
عليها وربطوا حوائجهم بها من غير اذن شرعي
وبرهان من الله كان عكوفهم عليها وعبادتهم
لها اثباتا لالهيتها ووراء ذلك من اصناف الآراء
الباطلة والمذاهب العاطلة المزلة للاقدام اكثر
من ان تحصيها لسان الاقلام او يعلمها الا الله

العلام واليها الاشارة بقوله ع والثابت القدم على
زحاليفها في الزمن الاول ويمكن ان يكون المراد
بهذا الزمان بدو فطرته واول زمان خلقته
فانه اول من اقر بربوبيته تعالى ووحدانيته على ما دلت
عليه اخبار جمة منها ما روى عن ابي عبد الله ع
ان بعض قريش قال لرسول الله ص باي شيء سبقت
الانبياء وانت بعثت آخرهم وخاتمهم فقال اني
كنت اول من آمن بربي واول من اجاب حيث اخذ
الله ميثاق النبيين واشهدهم على انفسهم الست
بربكم فكنت اول نبي قال بلى فسبقتهم بالاقرار
بالله عز وجل ويحتمل ان يكون اشارة الى عصمته
وطهارته وعدم خطائه في امر الدين والدنيا من مهده
الى لحده والله اعلم بمقاصد اوليائه فان كلامهم صعب مستصعب
ذو وجوه ومخارج لا يعقلها الا العالمون العاقلون

وعلى آله الاخيار المصطفين الابرار

آل الرجل اهله وعياله وآل النبي ص عند الامامية
عترته الطاهرة من اهل العصمة عليهم السلام ولا وجه
لتخصيص الشهيد الثاني ره في شرحه على اللمعة
باصحاب الكساء وهم علي وفاطمة وابناهما الحسن
والحسين ثم قال ويطلق تغليبا على باقي الائمة
عليهم السلام اقول بل على غيرهم ايضا كما ورد عنه ص
ان كل تقي ونقي آلي لان آله كل من يؤول اليه اما
صوريا جسمانيا كالاولاد ومن يحذو حذوهم
من اقارب الصوريين الذين تحرم عليهم الصدقة في
شريعته او معنويا روحانيا كالاولاد الروحانيين
من العلماء الراسخين والاولياء الكاملين والحكماء
المتالهين المقتبسين من مشكوة انواره سبقوه
بالزمان او لحقوه ولا شك ان النسبة الثانية اكد

من الاولى واذا اجتمعت النسبتان كما فى الائمة
المشهورين من عترته الطاهرة عليهم صلوات الله
الزاكية النامية كان نورا على نور كما حرّم على اولاده
الصورية الصدقة الصورية حرّم على اولاده
المعنوية الصدقة المعنوية وهى تقليد الغير فى
العلوم والمعارف وفى نهج البلاغة عن معدن
الفصاحة سلام الله عليه انّ اولى الناس بالانبياء
اعلمهم بما جاؤا به ثمّ تلى انّ اولى الناس بابرهيم
للذين اتّبعوه وهذا النبى والذين امنوا والله ولىّ المؤمنين
ثمّ قال صلوات الله عليه انّ ولىّ محمّد ص من اطاع الله
وان بعدت لحمته وانّ عدوّ محمّد ص من عصى الله
وان قربت قرابته وللعامّة فى آله اختلافات
فقيل آله امّته وقيل عشيرته وقيل من حرّم عليه
الزكوة من بنى هاشم وعبد المطّلب وفى هذا الكلام

انا امتى

دلالة ظاهرة على انّ الخبر المشهور من فصّل بينى
وبين الى بعلى لم ينله شفاعتى لا صحّة له ولم نجده
فى اصل بل ولا فى كتاب معتبر ومنهم من قرء المكتوب
بصورة علىّ اسم وحمل الباء على السببية واراد من
فصّل بينى وبين الى بسبب عداوته وخصومته
لعلىّ ع فلم ينله شفاعتى والظاهر انّه على تقدير ثبوته
لابدّ من حمله على هذا اذ من المستبعد جدّا ان يكون
لمجرّد ايراد كلمة على بينه وبين اله يلزم الحرمان
من شفاعته كيف والمحروم كافر ويؤيّده ما فى رواية
اخرى من فرّق بينى وبين الى بعلى فرّق الله بين
راسه وجسده يوم القيمة وفيها ايماء لطيف الى
انّه ع من اكمل افراد آله واشرفهم حيث صار منهم
بمنزلة راسهم من جسدهم ويحتمل ان يكون هذا اشارة
الى قوله ص علىّ منّى بمنزلة راسى من جسدى على انّ

الادعية المنقولة عنهم عليهم السلام وخصوصا السجادية
منها ولا سيما ما نقل عنه ع من ملحقات الصحيفة الكاملة
من ادعية ايام الاسبوع مشحونة باعادة الخافض
والفصل بين النبي وبين آله بايراد كلمة على وهو المطابق لقواعد
اهل الادب قال فخر المحققين ولد العلامة طاب
ثراهما في جواب من سئله عن جماعة من اصحابنا
وفيهم من ينسب الى اهل العلم اذا ذكر بحضورهم
سيدنا رسول الله وقيل صلى الله عليه وآله بعلى
ينكرون ذلك غاية الانكار ويقولون لا يفصل
بين النبي ص وآله بعلى مع ان النحاة ذكروا ان العطف على
المخفوض بغير اعادة الخافض ضعيف فهل ورد
في هذا امر مخصوص يخالف ما عليه النحاة ام
لقول اصحابنا وجه لا وجه لهذا القول بل القول ما
قاله النحاة ولولا اتباع النقل لما جاز الا باعادة الخافض

على انه ورد في كثير من الادعية عنهم عليهم السلام
صلى الله على محمد وعلى آله انتهى وقال الفاضل
الاردبيلي ره في آيات احكامه ان العامة انما يذكرون
كلمة على بعد قوله صلى الله عليه وعلى آله عنادا او
تعصبا لان تركها شعار للرفضة فذكرها خير من
تركها انتهى وفيه دلالة على ان الشيعة يحافظون
على تركها ويلازمونه بحيث صار ذلك بمنزلة شعارهم
وهذا منهم كذب محض وافتراء عليهم وهم براء منه
قال صدر الدين محمد المشهور بسيد على المدني
واما ما زعمه بعضهم من ان الشيعة تلزم عدم اعادة
الخافض وهو على في مثل هذه العبارة لحديث
تاثرونه وهو من فصل بيني وبين آلي بعلى
فقد جفاني فزعم محض لا عين له ولا اثر اذ لا
تعرف الشيعة هذا الخبر ولم ترد به رواية من طرقهم

ولم يذكروه لا مسندا ولا منقطعا في شيء من كتبهم
كيف والادعية المأثورة من اهل البيت مشحونة
باعادة الخافض في مثل ذلك انتهى وقد فصّلنا
القول فيه في تعليقاتنا فليطلب من هناك **تنبيه**
واذ قد ثبت جواز الفصل بينه وبين الضمير باعادة
الخافض وهو على في غير صورة العطف على الضمير
المخفوض فجوازه في هذه الصورة اولى المنع جمهور
البصريين عن العطف على الضمير المخفوض من دون
اعادة الخافض وايجابهم اعادته فيه نعم ذهب الكوفيون
ويونس واخفش الى عدم وجوب الخافض في ذلك
واختاره الشلوبين وصححه ابن مالك وابو حيان
وجرى عليه ابن هشام في شرح الشذور والتوضيح
لثبوت ذلك في فصيح الكلام كقرائة حمزة واتقوا
الله الذي تسائلون به والارحام بخفض الارحام

عطفاً على الضمير المخفوض بالباء وحكاية قطرب
ما فيها غيره وفرسه بخفض الفرس عطفاً على
الهاء المخفوضة باضافة غير اليها وقول الشاعر
فاذهب فما بك والايام من عجب بخفض الايام
عطفاً على الكاف المخفوضة بالباء والى ذلك
اشار ابن مالك بقوله في الخلاصة وعود خافض لدى عطف على
ضمير خفض لازما قد جعلا وليس عندي لازما اذ قد اتى
في النظم والنثر الصحيح مثبتا والاخيار جمع خير بالتشديد
ككيّس واكياس او جمع خير بالتخفيف كعين و
اعيان وهما بمعنى واحد اي كثير الخير وقيل الخير
في الجمال والميسم والمشدد في الدين والصلاح
والاول هو الاشهر قال الجوهري رجل خير وخير
مخفف ومشدد انتهى والخير قيل هو شيء من اعمال
القلب نوراني زائد على الايمان وغيره من الصفات

المرضيّة يدلّ على ذلك حديث انس يخرج من النار
من قال لا اله الّا الله وكان فى قلبه من الخير
ما يزن مثقال ذرّة من خير وقيل هو الوجود ويطلق
على غيره وهو امّا خير مطلق كوجود العقل لانّه خير محض
لا يشوبه شرّ ونقص وامّا خير مقيّد كوجود كلّ من الصفات
المرضيّة وقيل هو ما يطلبه ويؤثره ويختاره كلّ عاقل
وهو ينقسم الى خير بالذات وخير بالعرض فالاوّل
هو الحقيقى ومرجعه الى الوجود البحت والموجود
بما هو موجود كالعلم والايمان الحقيقيّين والثانى
ما هو وسيلة الى الاوّل كالعبادة والزهد و
قيل هو ما يتشوّقه كلّ احد بلا مشوبيّة وهو المختار
من اجل نفسه والمختار غيره لاجله فانّ الكلّ
يطلب بالحقيقة الخير وان كان قد يعتقد فى
الشرّ انّه خير فيختاره فمقصده الخير ويضادّه الشرّ

وهو المجتوى من اجل نفسه والمجتوى غيره من اجله
والحقّ انّ الخير كلّى يندرج تحته جميع الاعمال
الصالحة كما يدلّ عليه قول امير المؤمنين علىّ ع
افعلوا الخير ولا تحقروا منه شيئًا فانّ صغيره كبير
وقليله كثير ويؤيّده ما فى بعض الاخبار يخرج
منها اى من جهنّم قوم لم يعملوا خيرًا قطّ وهؤلاء
الّذين ليس معهم الّا الايمان انتهى ويقابله
الشرّ فيكون كلّيًّا يندرج تحته جميع الاعمال السيّئة
والمصطفين جمع المصطفى اى المختار اسم مفعول
من اصطفى قلبت الياء الفًا وحذفت يعنى انّه تعالى
اختارهم للامامة والخلافة واذهب عنهم الرّجس
وطهّرهم تطهيرًا فكانوا خير امّة اخرجت للنّاس
يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر والابرار
امّا جمع برّ كارباب او جمع بارّ كاصحاب والبرّ هو

العطوف المحسن وقد يكون بمعنى الصادق ومنه
برّت يمين فلان اذا صدقت وصدق فلان و
برّ يقال برّ الرجل يبرّ برّا مثل علم يعلم علما فهو برّ
بالفتح وبارّ وهو خلاف الفاجر وقيل هو الكثير الخير
والاتّساع في الاحسان قال الطبرسي هو الذي
برّ الله بطاعته اياه حتّى ارضاه وهم عليهم السلام ابرار
بجميع هذه المعاني فانّهم من اصدق الناس لهجة
واعطفهم عليهم لطفا واحسانا والخير منهم معروف
وهم بالاحسان موصوف وقد برّوا الله بطاعتهم
اياه حتّى ارضوه ولمّا قدم الوسيلة على طلب الحاجة
تقربيا للمرام الى مقام المسئلة قال

وافتح اللهم لنا مصاريع الصباح بمفاتيح الرحمة والفلاح

عطف على صلّ اللهم وفي بعض النسخ لي وهو الانسب
بالفقرة الآتية الّا انّ التعميم في الدعا اقرب الى الاجابة

من التخصيص اذا دعا احدكم فليعمّ لانّه اوجب للدعاء
ثمّ لمّا كان من شرائط اجابته تسمية الحاجة انّ الله تبارك
وتع يعلم ما يريد العبد لكنّه يحبّ ان يبثّ اليه الحوائج
وكان هذا الدعاء موضوعا للاستفتاح في الصباح
صرّح بذلك اشارة الى ذلك والفتح ازالة الاغلاق
والمصرعان من الابواب والشعر ما كانت قافيتان في
بيت وبابان منصوبان ينضمّان جميعا مدخلهما
في الوسط منهما والمفتاح آلة الفتح وهي ما يفتح به
المغلاق والمفتح مثله وكانّه مقصور من الاوّل و
جمع الاوّل مفاتيح والثاني مفاتح بغير ياء ثمّ استعير لما
يتوصّل به الى الامر ومنه قوله تع عنده مفاتح الغيب
لا يعلمها الّا هو قال الراغب يعني ما يتوصّل به الى
غيبه المذكور في قوله تع عالم الغيب لا يظهر على غيبه احدا
والباء فيها للآلة كما في ضربت بالسوط وكتبت بالقلم

والفلاح البقاء والفوز والظفر وهو من افلح كانجح
من نجح وهذا التركيب وما يشاركه في الفاء والعين
نحو فلق وفلذ وفلي يدل على الشق والفتح وفي الكلام
استعارة بالكناية وتخييلية وترشيحية حيث شبه
اجزاء الصباح لكونها ظرفا بالمنزل والدار المقفول
بجامع عدم العلم بما فيه من الحوادث الاستقبالية
وطوى ذكر المشبه به مصرحا بالمشبه واثبت له المصاريع
والمفاتيح ثم ذكر الفتح ترشيحا للاستعارة او هو استعارة
تبعية والاضافة في الموضعين لامية او في الاول
لامية وفي الثاني بتقدير من كما في خاتم فضة او بيانية
ولا يخفى لطافة تشبيه الرحمة والفلاح بالمفتاح
فيكون من اضافة المشبه به الى المشبه ولعل المراد بمصاريع
طلوع قوس النهار قطعة قطعة اعني انقضاء اجزاء
النهار تدريجا ويمكن ان يق لما كانت الافاق

يختلف

يختلف قطعها باختلاف عروض البلدان ولذا تختلف
الليالي فيها فكان لكل افق منها صباح وله مصراع
جمعها بقوله مصاريع ويمكن اعتباره بالنسبة الى
الافاق الاستوائية لكن بالاضافة الى الاشخاص
لا بالنسبة الى الانواع ولما كانت الهداية والصلاح
مقولين بالتشكيك طلب اكمل افرادهما وافضل اصنافهما فقال

وَالبسنِي اللّهم مِن افضلِ خلعِ الهدايةِ والصّلاح

البسته الثوب فلبسه وهذا الفعل وما شاكله من
الافعال التي لا يتعلق معناها الحقيقي بالهداية
والصلاح من باب الاستعارة التمثيلية او شبه
ما يغشى الانسان عند كونه مهتديا صالحا من الفيوضات
الربانية والكرامات الرحمانية باللباس لاشتماله
على اللابس ثم استعير له اللباس فالاستعارة مصرحة
حيث اطلق اسم المشبه به على المشبه ويحتمل ان يكون تبعية

واضافة الخلع الى الهداية اضافة اللجين الى الماء او بيانية او فى تشبيه الهداية والصلاح باللباس مكنيتان واثبات الالباس والاخلاع لهما ترشيحتان وهم كثيرا ما يشبهون صلاح الرجل بشعاره وتقواه بدثاره واما هنا فجعل الهداية بمنزلة الشعار والصلاح بمنزلة الدثار وانما سمى اللباس المخصوص بالخلعة لانه يخلع عن البدن اى ينزع ليصان ويحفظ وفيه ايماء الى ان الصالح والمهتدى مكرمان عنده تع ومعظمان اذ الملك لا يخلع من عبيده الا من اراد اكرامه واعظامه اما تفضلا او لسابقة استحقاقه لذلك والهداية الدلالة على ما يوصل الى المطلوب او الدلالة الموصلة ولعل الاول اولى على ان نقدير فالمراد بها هنا الاهتداء اما من باب تنزيل المتعدى منزلة اللازم كما اشرنا اليه بقرينة عطف الصلاح اللازم

عليه او يكون بمعنى الاهتداء من هدى قال الجوهرى هدى واهتدى بمعنى وهو بهذا المعنى لازم والمراد بالاهتداء الاهتداء الى كل حق وصواب والقبول له والعمل به وعدم الرجوع معه الى باطل وخطاء قال الراغب الاهتداء يختص بما يتحراه الانسان من الهدى على طريق الاختيار اما فى الامور الدنيوية او الاخروية قال الله تع هو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها ويقال ذلك لطلب الهداية نحو قوله تع قد ضللت اذاً وما انا من المهتدين ولتحرى الهدى نحو واذ اتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون ويق المهتدى لمن يقتدى بعالم نحو ولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون تنبيها على انهم لا يعلمون بانفسهم ولا يقتدون بعالم وقوله تع فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه يتناول وجوه الاهتداء من

طلب الهداية ومن الاقتداء وتحريها وقوله تع واني
لغفار لمن تاب وعمل صالحا ثم اهتدى معناه ادام
طلب الهداية ولم يفتر عن تحريها ولم يرجع الى المعاصي
وقوله اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم
المهتدون اى الذين تحروا الهداية وقبلوها وعملوا
بها انتهى والصلاح ضد الفساد وهو خروج الشيء عن
الاعتدال اللايق به فالصلاح حصول الشيء على
الحالة المستقيمة النافعة وكلاهما يعمان كل ضار ونافع
لعل المراد به هنا الاوامر والنواهي الشرعية قال الزمخشري
في الاساس امر الله ونهى لاستصلاح العباد والصالح
قيل هو الخالص من كل فساد وقيل هو المقيم بما يلزمه
من حقوق الله وحقوق الناس وكذا قال الزجاج في
معاني القران الصالح هو الذي يؤدي ما افترض الله
عليه ويؤدي الى الناس حقوقهم ولما كانت للهداية

انواع مترتبة من افاضة القوى ونصب الدلائل القاطعة
وارسال الرسل وانزال الكتب وكشف السرائر على
القلوب واراءة الاشياء كما هي اما بالوحي او الالهام
طلب ان تكون خلعته التي هي الهداية من افضل الخلع
جواب لما
في هذا النوع لان استعمال افعل مضافا مشروط
بان يكون موصوفه بعضا مما اضيف اليه داخلا فيه
بحسب مفهوم اللفظ وان كان خارجا منه بحسب الارادة
تفضيل له
لان المقصود من استعماله هذا التفضيل موصوفه
على مشاركيه في هذا المفهوم العام وبالجملة المراد
بالهداية اما اهتداؤه او هداية الله له او هدايته
لغيره فيكون المراد بافضلها على الاول الثبات عليها
والرسوخ فيها وعلى المعنيين الاخيرين الايصال
الى المطلوب اذ كان الصحيح انها عبارة عن الدلالة
على ما من شانه الايصال الى البغية من غير ان يشترط

في مدلولها الوصول ولذلك كانت الدلالة التكوينية
المنصوبة في الآفاق والانفس والبينات الواردة
في الكتب السماوية على الاطلاق بالنسبة الى البرية
كافة برها وفاجرها هداية حقيقية فائضة من الله تع
ويحتمل ان يراد بافضلها هنا الهداية الخاصة وهي كشف
السرائر على قلب المهدي بالوحي او الالهام وهي مرتبة
صاحب الدعاء ع ومن هو في رتبته وكذا الكلام
في الصلاح المذكور في هذا المقام فلا يرد ان الصلاح
اول درجات الصالحين فكيف يليق بمن رتبته
الخلافة والامامة ان يطلب البداية واما قول يوسف
توفني مسلما والحقني بالصالحين فقد قالوا انه اراد
بالصالحين الصالحين من آبائه فظاهر وان اراد
الالحاق بعامة الصالحين فوجهه ان اجتماع
النفوس البشرية بالانوار الالهية له اثر عظيم و

فوائد جمة كالمرايا المستنيرة المتقابلة التي تنعكس
اضوائها وتتكامل انوارها الى حيث لا تطيقها العيون
الضعيفة وكلما كانت اكثر كان الاشراق اظهر
فلا يرد عليه نظير ما سبق ذكره فتأمل ولا يذهب عليك
انه تع قد اجاب دعوته ص هذه حيث جعله من صالح
المؤمنين كما اخبر عنه بقوله عز اسمه وان تظاهرا عليه
فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين للاتفاق
على ان المراد به في الآية سيدنا امير المؤمنين عليه السلام
وعلى ابنائه المعصومين ولما كان الخشوع من احسن
صفات الصالحين واشرف سمات المهتدين وكان
من اسباب اجابة الدعاء ادعوا ربكم تضرعا وخفية
يا موسى كن اذا دعوتني خائفا مشفقا وجلا وعفر
وجهك في التراب واسجد لي بمكارم بدنك واقنت
بين يدي في القيام وناجني حيث تناجيني بخشية من

قلب وجل التمسه عليه السلام منه تعالى بقوله عليه السلام فقال

واغرس اللهم لعظمتك في شرب جناني ينابيع الخشوع

غرس الشجر يغرسه غرسا وغروسا اثبته في الارض كاغرسه
كذا في القاموس والعظم في صفات الجسم كبر الطول و
العرض والعمق والله تع جل قدره عن ذلك وهو الذي
جاوز قدره وجل عن حدود العقول حتى لا يتصور الاحاطة
بكنهه وحقيقته فعظمته جلاله ورفعته وقدره وهو
منصرف الى عظم الشان وجلالة القدر وقيل ان عظمته تع
صفة اضافية ثابتة له تع بالقياس الى اعتقاد العبد
وتصوره واثباته لغيره عز وجل والا فليس لما سواه
في جنب وجوده تع وجود حتى يتصف بالعظمة بالقياس
اليه لكن الانسان يتصور لنفسه بقوته الوهمية وجودا
مستقلا وبواسطة وجوده الموهوم يثبت للعالم و
افراده وجودا مستقلا يقيس اليها وجود الحق فيصفه

بعظمته

بالعظمة ثم بقدر ما يظهر قصور وجوده وضعفه و
قصور الوجودات الامكانية وضعفها يزيد في نظره
عظمة الحق ولهذا قيل ان ظهور الانسان بسبب خفاء
الحق في هذا العالم فبقدر انكساره يظهر وجود الحق
وعظمته وكبريائه والشرب بالضم والكسر اسمان
وبالكسر الماء والحظ منه وفي التنزيل ولها شرب
ولكم شرب يوم معلوم والمراد به هنا العرق الذي به
تعمير القلب وحيوته وشبهه بالمعد لمصالحه وهو ظرف
للغرس والاضافة لامية والجنان بالكسر الجنة و
بالفتح القلب وهو المراد هنا سمي به لاجتنانه واستتاره
ونبع الماء نبعا ونبوعا خرج من العين والينبوع العين
او الجدول الكثير الماء وينابيع الخشوع مفعول اغرس
والاضافة اما بيانية او لامية او من قبيل اضافة
اللجين الى الماء والخشوع التذلل والخوف والخضوع

وعن النبيّ عليه واله السلام انه راى رجلاً يعبث بلحيته
في صلوته فقال اما انه لو خشع قلبه لخشعت جوارحه
فدلّ على انّ الخشوع كما يكون بالقلب يكون بالجوارح
وفي الصحاح خشع ببصره غضّه ولعله عليه السلام
شبّه جنانه بالجنان فاثبت له الشرب وشبّه الخشوع
بالاشجار فاثبت له الغرس ثم طلب لاسقائه وانما
الينابيع الّا انه جعلها من متعلقات الغرس توسعاً
او ضمّن الاغراس معنى الانباع او الايداع اي اغرس
منبعاً او مودعاً في شرب جناني او كان في الاصل
شجرات الخشوع بقرينة زفرات الدموع وفي بعض
النسخ اغزر اللّهم وهو من الغزارة بمعنى الكثرة يق
اغزر القوم اذا كثرت البان مواشيهم وهو قريب لكن
لا يناسبه التعليل بالعظمة وقد بلغنا انّ في نسخة
كانت بخطه عليه السلام كان فيها اغرس والاشكال انما هو فيها

اذ الغرس ليس من ملائمات الينبوع وانما الملائم لها
الغزارة والنبع وما شاكل ذلك ومن الناس من يقول
انّ اغرس محمول على التضمين بمعنى الاخراج بقرينة
ينابيع فانها ليست من متعلقات الغرس ولا يصحّ
ان يكون من معموله لانه فاستعماله مع الينابيع يوجب
التضمين اي اغرس مخرجاً وتعقبه بعضهم بانّ استعمال
الغرس على اصل وضعه الذي هو غرس الشجر مطلقا
في هذا المعنى بعيد جدّاً غير مانوس على انّ التضمين
بهذا المعنى غير مصرّح ويمكن ان يقال انه محمول
على التجريد فانّ الغرس اخراج التراب عن الارض
وادخال الشجر فيها فلو جرّد عن الثاني واستعمل
في الاول كان المعنى مستقيماً وانما لم يقل اخرج مكان
اغرس لكون الترشيح ابلغ بيانه انّ في قوله ينابيع الخشوع
استعارة مكنية وهي انه شبّه الينابيع باشجار رطبة

خضر فاستعير لها الينابيع واثبت له الاغراس الملائم
للاشجار المشبهة بها فهي تخييلية وترشيحية نظيره
فاذاقه الله لباس الجوع والخوف حيث لم يقل فكساها
لان الترشيح ابلغ قال صاحب الكشاف في لباس
الجوع والخوف استعارتان تصريحية وهي انه شبه
ما غشي الانسان عند الجوع والخوف من بعض الحوادث
باللباس لاشتماله على اللابس ثم استعير له اللباس
ومكنية وهي انه شبه ما يدرك من اثر الضر والالم
بما يدرك من طعم المر والبشع حتى اوقع عليه الاذاقة
بمنزلة الاظفار للمنية فتكون تخييلية ولا يخفى ما
في هذه التوجيهات والتاويلات من التكلف والاظهر
ان النسخة كانت في الاصل نبابيع الخشوع بتقديم
النون على الموحدة من النبع وهو شجر يتخذ منه القسي
قال ابن الاثير في النهاية قيل كان شجرا يطول ويعلو

فدعا عليه النبي فقال لا اطال الله من عود فلم يطل
وفي القاموس النبع شجر للقسي والسهام ينبت في قلة
الجبل وقولهم لو اقتدح بالنبع لاورى مثل لجودة الراي
لانه لا نار فيه وعليه فلا اشكال مع مناسبة التعليل
بالعظمة بخلاف ما سبق فانه لما اراد ان يطلب خشوعا
كاملا كثير الافراد بالغا طويلا غالبا على القلب و
على جميع الجوارح والاعضاء ليكون التوجه والاقبال
على الله تع والخوف منه والاعراض عما سواه دائما مستمرا
بحيث لا يشغله شان غير هذا الشان توسط صفة
العظمة ليجعلها وسيلة لطلب ما هو عظيم وهو الخشوع
المشبه بالنبع في طوله وعلوه وعروقه وكثرة جذوعه
واغصانه ثم لما اراد ان يبالغ في ذلك ليشعر بحرصه
وجده وجهده فيه جمعه ليكون اوفق بتاديه المرام
وادل على الغرض المسوق له الكلام والمراد استدعاءً

خالة تتمكن معها عظمته تعـ في القلب على وجه يغلب
الخوف والخشية على قلبه ويستولي عليه فيثمر بذلك خشوعه
واقباله على الله تعـ بكليته وذهابه اليه بجملته وانما خص الجنان
بموضعية الخشوع لانه بمنزلة السلطان والجوارح
بمنزلة العسكر فاذا توجه السلطان الى جانب توجه العسكر
اليه فمتى توجه القلب الى جناب الله تعـ توجه كل جارحة
اليه ولذا قال ع اما انه لو خشع قلبه لخشعت جوارحه
واعلم ان كلا من الفرح والحزن قد يوجب الدمع لان
الحاصل من الاول بارد ومن الثاني حار لان الفرح
كيفية تتبعها حركة الروح الى خارج البدن قليلا قليلا
طلبا للوصول الى الملذ فاذا تحرك الروح الى الخارج
انفصل اجزاء الشؤن والمفاصل بعضها عن بعض فخرج
الرطوبات الباردة المحتبسة في الدماغ والحزن كيفية
تتبعها حركة الروح الى الداخل قليلا قليلا هربا من المؤذي

فاذا انقبض الروح متراجعا نحو الدماغ عصر شيئا
من الرطوبات الباقية على سخونتها السابقة والى
هذا القسم اشار بقوله

وَاَجْرِ اللّهُمَّ لِهَيْبَتِكَ مِنْ اَمَاقِي زَفَرَاتِ الدُّمُوعِ

اذ الهيبة وهي السطوة والخوف يقال هاب الشيء
يهابه اذا خافه واذا وقره وعظمه يوجب انقباض الروح
كما في صورة الهرب من المؤذي وقيل الهيبة خوف
داع للخضوع عن استشعار تعظيم ولذلك يستعمل
في كل محتشم قال الشاعر اهابك اجلالا وما بك قدرة
علي ولكن ملاء عين حبيبها وقال العارفون الهيبة حالة
فوق الخوف مقتضيها غيبة القلب عن علم الغيب وما
يجري من احوال الخلق بل من احوال نفسه بما يرد عليه
من الحق اذا عظم الوارد واستولى عليه سلطان الحقيقة
قالوا وهي لا تسكن الا في كل قلب منيب اواب لانه

الا بساحة كل مصلح توّاب والموق بهمزة وغيره طرف
العين الذي يلي الانف وفي نهاية ابن الاثير موق
العين مؤخرها وماقها مقدمها وجمع الموق أماق
وهي متعلقة باجرو من ابتدائية والزفر النهر الكثير الماء
والاضافة بتقدير من او من قبيل اضافة الذهب الى
الاصيل حيث شبه الدموع بالزفرات ثم قدمت عليها
واضيفت اليها والدمع ماء العين من حزن وسرور
والجمع الدموع كالمنع والمنوع والدمعة القطرة منه
ولما كان البكاء الى الله سبحانه فرقا وخوفا وصفا
محمودا وفيه دلالة على رقة القلب التي هي دليل الاخلاص
وجمود العين من القساوة المؤذنة بالبعد من الله
يا موسى لا تطول في الدنيا املك فيقسو قلبك
وقاسي القلب مني بعيد وقد ورد ان بين الجنة والنار
عقبة لا يجوزها الا البكاؤن من خشية الله وما من شيء

الا

الا وله كيل او وزن الا الدموع فان القطرة تطفي بحارا
من النار فاذا اغرورقت العين بمائها لم يرهق وجهه
قتر ولا ذلة واذا افاضت حرمه الله تعالى على النار ولو
ان باكيا بكى في امة لرحموا وما من قطرة احب الى الله
من قطرة الدموع في سواد الليل مخافة من الله ولا يرا
به غيره ومن ذرفت عيناه من خشية الله كان له بكل
قطرة من دموعه مثل جبل يكون في ميزانه من الاجر و
كان له بكل قطرة عين من الجنة على حافتيها من المدائن
والقصور ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر استدعاه من الله عز وجل وطلبه منه
ولما كان الخشوع من اسباب الدموع ومن جملة عللها
فان من غفل قلبه عن الله كيف يدمع عينه مخافة منه
قدمه عليها وطلبه قبلها ليشعر بذلك وليكون
الكلام على طبق نظمه الطبيعي ويظهر منه فائدة الخشوع الشرعي

تنبيه قوله صلوات الله عليه من امانى صريح فى صحة
اطلاق صيغة الجمع على الاثنين حقيقة اذ الاصل فى
الاطلاق هو الحقيقة فما نقل عن صاحب الفتوحات
ومدعى الكشف والكرامات انه قال رايت رسول الله
فى بعض الوقائع فسئلته عن اقل مراتب صيغة الجمع وقلت
ذهب فريق الى انه ثلثة وفريق الى انه اثنان فقال عليه السلام
اخطأ هؤلاء وهؤلاء بل ينبغى ان يفصل ويقال الجمع اما
جمع الفرد او جمع الزوج فاقل مراتب الاول ثلثة واقل
مراتب الثانى اثنان اضغاث احلام وما نحن بتاويل الاحلام
بعالمين هذا ولما كان الفقر والفاقة وضيق المعاش
يشوش الانسان فيمنعه عن الخشوع والدموع بل قد
يحدث فيه طيشا وخفة فى عقله لغلبة قواه الحيوانية
عليه فيتجاوز بذلك بعض حدود الله ويرتكب محارمه اذا
لم يكن قانعا بما يصيبه من الدنيا وكانت القناعة كنزا

من خزائن الله عز اسمه استدعاه منه سبحانه ليكون
حاجزا له يكف به نفسه عن ذلك فقال

وَادِّبِ اللّٰهُمَّ نَزَقَ الْخُرْقِ مِنِّى بِاَزِمَّةِ الْقُنُوعِ

ادبه علمه فتادب والادب محركة حسن التناول ادب
كحسن ادبا فهو اديب كذا فى ق وقيل الادب رياضة
النفس ومحاسن الاخلاق وقال ابو زيد الانصارى
الادب يقع على كل رياضة محمودة يتخرج به الانسان
فى فضيلة من الفضائل وفى حواشى ملا عبد الغفور على
شرح الجامى (الادب - نگاه داشتن حد هر چيزى)
ولعله عليه السلام ضمنه معنى الازالة او المنع اى ادب اللهم
مزيلا او مانعا نزق الخرق منى وهو الانسب بالمقام
لان القوى الحيوانية لما كانت عاصية عن حكم الشرع
خارجة عن تحت حكم العقل فلابد لها من مانع يمنعها
عن ذلك ويقسرها على امره ونهيه وهو تاديب الله

ومنعه اياها بازمّة القنوع ولذا قال صاحب الدّعا
جعلت له الفدا الادب صورة العقل لانه يمنع العاقل
عن ارتكاب ما لا ينبغي ارتكابه وانّما رجّحنا تضمين
المنع على الازالة لانّ الاول مطابق للامر نفسه دون
الثاني فانّهم اختلفوا في الخلق فقيل هو غريزيّ من
جنس الخلقة لا يستطاع تغييره خيرا كان او شرّا كما قال
وما هذه الاخلاق الّا غرائز فمنهنّ محمود ومنها مذمّم
ولن يستطيع الدهر تغيير خلقه لئيم ولا يستطيعه متكرّم
ويدلّ عليه قوله ص من اتاه الله وجها حسنا وخلقا حسنا
فليشكر الله ومحال ان يمكن المخلوق تغيير فعل الخالق
فالتكليف بتهذيب الاخلاق تكليف بما لا يطاق
وقيل بل هو كسبيّ لقوله ص حسّنوا اخلاقكم فلو لم يكن
كسبيا لما امر به ولانا نرى كثيرا من الناس يزاولون و
يمارسون خلقا من الاخلاق حتى يصير ملكة وقيل

الحقّ انّ اصله غريزيّ وتمامه مكتسب وبيانه انّ الله
خلق الاشياء على ضربين احدهما بالفعل ولم يجعل
للعبد فيه عملا كالسّماء والارض والهيئة والثاني بالقوّة
وهو ما خلقه خلقا ما وجعل فيه قوّة ترشّح الانسان
لا كماله وتغيير حاله وان لم يرشّحه لتغيير ذاته كالنوى
الّذي جعل فيه قوّة النخل وسهل للانسان سبيلا ان
يجعله بعون الله نخلا وان يفسده افسادا قال والخلق
من الانسان يجري هذا المجرى في انّه لا سبيل الى
تغييره القوّة الّتي هي السجيّة والغريزة وجعل له سبيلا
الى اسلاسها ولذا قال تع وقد خاب من دسّيها ولو لم يكن
كذلك لبطلت فائدة المواعظ والوصايا والوعد
والوعيد والامر والنهي ولما جوّز العقل ان يقال
للعبد لم فعلت ولم تركت وكيف يكون هذا في الانسان
ممتنعا وقد وجدنا في بعض البهائم ممكنا فالوحشي قد

ينقل بالعادة الى التأنى والجامح الى السلاسة لكن الناس
فى غرائزهم مختلفون فبعضهم جبل جبلة سريعة القبول
وبعضهم بطيئة القبول وبعضهم فى الوسط وكل لا ينفك
عن اثر قبول وان قل ومنها ورد فى الادعية من طلب التوفيق
لمكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال وفى الاحاديث من
الامر بها والحث عليها اقول ويظهر من بعض الاخبار
ان الخلق منه غريزى ومنه كسبى مثل ما فى اصول الكافى
فى باب حسن الخلق عن اسحق بن عمار عن ابى عبد الله ع
ان الخلق منيحة يمنحها الله عز وجل خلقه فمنه سجية و
منه نية فقلت فايهما افضل فقال صاحب السجية هو
مجبول لا يستطيع غيره وصاحب النية يصبر على الطاعة
فهو افضل النية المكتسبة بقرينة المقابلة يقال نويته انويه نية اى قصدته
والاسم النية مثقلة والتخفيف لغة وهذا صريح
فى ان الخلق منه طبيعى غريزى خلقه الله فى بدو الفطرة

ومنه مكتسب بان يتمرن حتى يصير كالغريزة فيبطل
قول من قال امر غريزى لا مدخل للاكتساب فيه قال الراغب
وادعى ان من منع تغيير الخلق فانه اعتبر القوة نفسها
وهذا صحيح فان النوى محال ان ينبت الانسان منه
تفاحا ومن اجاز تغييره فانه اعتبر اظهار ما فى القوة الى
الوجود وامكان افساده باهماله نحو النوى فانه يمكن
ان يتفقد فيجعل نخلا وان يترك مهملا حتى يفسد
وهذا ايضا صحيح فاذا اختلاف فهما بحسب اختلاف نظريهما
انتهى وانت خبير بان كلام صاحب الدعاء جعلت له
الفداء صريح الدلالة على امكان تغيير الخلق واسلاسه
بالمعنى الذى سبق ولكن بفضل الله وحسن توفيقه
كما قال تع فبما رحمة من الله لنت لهم هذا والنزق والوثوب
والسرعة والتسابق والطيش والخفة عند الغضب
ومنه ما ورد فى رواية عبد الله بن سنان قال قلت

لابي عبد الله ع جعلت فداك انى لارى بعض اصحابنا
يعتريه النزق والحدة والطيش فاغتم لذلك غما شديدا
وارى من خالفنا فاراه حسن السمت قال لا تقل حسن
السمت فان السمت سمت الطريق ولكن قل حسن السيما
فان الله تع يقول سيماهم فى وجوههم قال قلت فاراه
حسن السيما له وقار فاغتم لذلك قال لا تغتم لما رايت
من نزق اصحابك ولما رايت من حسن سيما من خالفك
ان الله تع لما اراد ان يخلق ادم خلق تلك الطينتين
ثم فرقهما فرقتين فقال لاصحاب اليمين كونوا خلقا
باذنى فكانوا خلقا بمنزلة الذر يسعى قال لاهل الشمال
كونوا خلقا باذنى فكانوا خلقا بمنزلة الذر يدرج ثم
رفع لهم نارا فقال ادخلوها باذنى فاول من دخلها
محمد ص ثم اتبعه اولو العزم من الرسل واوصياؤهم واتباعهم
ثم قال لاصحاب الشمال ادخلوها باذنى فقالوا ربنا

خلقتنا

خلقتنا لتحرقنا فعصوا فقال لاصحاب اليمين اخرجوا باذنى
من النار فخرجوا لم تكلم منهم النار كلما ولم تؤثر فيهم اثرا
فلما راهم اصحاب الشمال قالوا ربنا نرى اصحابنا قد
سلموا فاقلنا ومرنا بالدخول قال قد اقلتكم فادخلوها
فلما دنوا واصابهم الوهج رجعوا فقالوا يا ربنا لا صبر
لنا على الاحتراق فعصوا وامرهم بالدخول ثلثا كل ذلك
يعصون ويرجعون وامر اولئك ثلثا كل ذلك يطيعون
ويخرجون فقال لهم كونوا طينا باذنى فخلق منه ادم ع
قال فمن كان من هؤلاء لا يكون من هؤلاء ومن
كان من هؤلاء لا يكون من هؤلاء وما رايت من
نزق اصحابك وخلقهم فما اصابهم من لطخ اصحاب
الشمال وما رايت من حسن سيماء من خالفكم ووقارهم
فما اصابهم من لطخ اصحاب اليمين انتهى وفيه اشياء
تظهر على من تامله واما الجبر الذى نرى من احاديث

الطينة فتوهم ضعيف وظن سخيف قد ذكرنا وجه ضعفه
وسخافته فى اواخر رسالتنا المعمولة لابطال الجبر
والتفويض فليطلب من هنالك واضافة الرزق الى الخرق
اما لامية او بيانية او كان فى الاصل ادب اللهم ارزق
والخرق منى فحذف العاطف واضيف الرزق الى الخرق
لشدة امتزاج بينهما فى المناسبة اللفظية والمعنوية
كما قال الشيخ الرضى ره فى نظائره وسمى هذا التركيب
شبيها بالمزجى والخُرق بالضم ضد الرفق ومنه ما ورد
الرفق يمن والخرق شوم وفى اخر من قسم له الخرق حجب
عنه الايمان وعن صاحب العدة جعلت له الفداء
من الخرق المعاجلة قبل الامكان والاناة بعد
الفرصة والخرق فيه بمعنى الجهل والحمق وان لا يحسن
الرجل العمل والتصرف فى الامور وهذا من جملة
معانيه كما صرح به علماء اللغة وعن النبى صلى الله عليه وآله لو كان

الخرق خلقا يرى ما كان شئ مما خلق الله اقبح منه
وفى القاموس الخرق الفقر واعلم ان الحدة غير الخرق
المذموم فان من الناس من يشاكل ظاهره ظاهر الشرير
فى الحدة والاستيلاء ويرجع باطنه الى قلب سليم منطو
على الخير وذلك من غلبة الصفراء على مزاجه وفى
الحديث الثناء عليه مثله قال ص خيار امتى احداؤها
وقال ص الحدة تعترى خيار امتى هذا وكلمة من
ابتدائية والازمة كالائمة جمع زمام وهو ما يعمل
ويجعل فى انف البعير ليقاد به والباء للملابسة او
السببية والظرف متعلق بادب والقنوع بالضم
السؤال والتذلل والرضا بالقسم ضد ومن دعائهم
نسأل الله القناعة ونعوذ به من القنوع وفى المثل
خير الغنى القنوع وشر الفقر الخضوع والقناعة
الرضا باليسير من العطاء وقد قنع يقنع قنوعا و

قناعة بالكسر اذا رضى وقنع يقنع بالفتح قنوعا اذا سأل
والى المعنيين المذكورين اشار من قال العبد حرّ ان
قنع فاقنع ولا تطمع فما شيء يشين سوى الطمع قنع
الاوّل بالكسر بمعنى رضى والثانى بالفتح بمعنى سئل
وقيل القناعة الرضا بما دون الكفاية وفسّرها
المحقّق الطوسى ره بعد ما عدّها من الانواع المندرجة
تحت العفّة الحاصلة من الاعتدال فى القوّة الشهويّة
بانّها رضا النفس فى الماكل والمشارب والملابس و
غيرها بما يسدّ الخلل من اىّ جنس اتّفق وقد ورد فى
شان القناعة والحثّ عليها من الكتاب والسنّة ما
لا خفاء فيه ولا تعجبك اموالهم ولا اولادهم ولا
تمدّنّ عينيك الى ما متّعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة
الدنيا وبالقناعة فسّر الرزق الحسن فى قوله تعالى
ليرزقنّهم الله رزقا حسنا وبها فسّرت الحيوة الطيّبة فى

قوله عزّ وجلّ لنحيينّه حيوة طيّبة وعن الباقر عليه السلم
من قنع بما رزقه الله فهو اغنى الناس بيان ذلك انّ
حاجات الناس كثيرة فاغنيهم اقلّهم حاجة لانّ الغنا
هو عدم الحاجة فلذلك كان الله سبحانه اغنى الاغنياء
اذ لا حاجة له الى شيء نقل انّ رجلا من حاشية سلطان
راى حكيما ياكل ما تساقط على راس ماء من البقل
فقال له لو خدمت السلطان لم تحتج الى اكل هذا
فقال الحكيم وانت لو قنعت بهذا لم تحتج الى خدمة
السلطان وقال خالد بن صفوان بتّ ليلة استمتع
بالمنى واقلب قلبى على حواشى الغنى فكبست البحر
الاخضر بالذهب الاحمر وجعلت ما بين كوفان
الى اسياف عمّان فاخرة اللباس سارحة النعم فاذا
الذى يكفينى له من ذلك رغيفان وطمران
وقال وهب خرج العزّ والغنا يجولان فلقيا القناعة

فاستقرا وقد فسرت في الاخبار بان تقنع بما تصيب
من الدنيا تقنع بالقليل وتشكر على اليسير وفي الحديث
القناعة كنز لا ينفد عز من قنع ذل من طمع وعن
صاحب الدعاء جعلت له الفداء لا كنز اغنى من
القناعة ولا مال اذهب للفاقة من الرضا بالقوت
ومن اقتصر على بلغة الكفاف فقد انتظم وتبوء
اخفض الدعة والرغبة مفتاح النصب ومطية
التعب والحرص والكبر والحسد دواع الى التقحم
في الذنوب والشر جامع مساوي العيوب شبه
قوى النفس الامارة بالسوء التي ينشا منها النزق و
ويصد عنها الشر وهي المفتقرة الى التاديب لنزقها
بالنوق بجامع عدم القيادة والسكون وترك الشهوة
فاثبت لها الازمة اما لتعددها او للاشارة
الى انها لا تنقاد ولا تطيع بزمام واحد ولاختلاف

متعلقات

متعلقات الشهوة واحتياج النفس في الكف عن كل
واحد منها بزمام وقناعة اخرى وصبر اخر ففيه استعارة
بالكناية وتخييل او ترشيح واضافة الازمة الى القنوع
اضافة اللجين الى الماء او الاضافة فيه بيانية او بتقدير
من او بتقدير اخر شبه نزق الخرق وهو من الكيفيات
النفسانية بالناقة المحتاجة الى التاديب بالازمة و
سكت عن ذكر المشبه به وذكر المشبه فالاستعارة
مكنية واثبات التاديب له تخييلية ثم شبه القنوع
بالازمة فانه كما يمنع الزمام نزق الناقة يمنع القنوع
نزق النفس ثم قدم المشبه به واضيف الى المشبه كما
في ذهب الاصيل ولجين الماء وحاصل المعنى وامنع
اللهم او سكن وثوب نفسي واضطرابها لاجل الفقر
وعدم الصبر بازمة القنوع ولما كان الخرق اي الفقر
منشا نزق النفس وقلقها اضافه اليه والاضافة مما

يكفيه ادنى ملائبسة كما فى كوكب الخرقاء او المراد ازل و
اذهب شدة الخرق منى بازمة القنوع واعطنى لين
العريكة باستعمال الرفق والخضوع **تذنيب** قد اجيب دعوته
هذه اذ لاخلاف بين الامة فى انه كان ازهد اهل
زمانه طلق الدنيا ثلثاً وكان يصوم النهار ويقوم
الليل وكان يفطر على جريش الشعير من غير ادم و
ختم لئلا يادمه الحسنان بسمن او زيت وكان اخشن
الناس ماكلاً وملبساً ولم يشبع من طعام قط وكا
يقول والله لدنياكم هذه اهون من عراق خنزير
فى يد مجذوم وكان يقول يا دنيا يا دنيا اليك عنى
ابى تعرضت ام الى تشوقت لا حان حينك هيهات
هيهات غرى غيرى لا حاجة لى فيك قد طلقتك
ثلثا لا رجعة فيها فعيشك قصير وخطرك يسير و
اهلك حقير وهذا شئ اختص به لم يشاركه فيه غيره

ولم ينل احد بعض درجته وكان نعلاه من ليف وكا
يرقع قميصه من جلد تارة ومن ليف اخرى وقل ان
يأتدم فان فعل فبالملح او الخل فان ترقى فبنبات الارض
فان ترقى فبلبن من كلامه وايم الله يميناً استثنى فيها
بمشية الله لاروضن نفسى رياضة تهش معها الى القرص
اذا قدرت عليه مطعوماً وتقنع بالملح مادوماً ولادعن
مقلتى كعين ماء نضب معينها مستفرغة دموعها
تمتلى السائمة من رعيها فتبرك وتشبع الربيضة من
عشبها فتربض ويأكل على من زاده فيهجع قرت
اذاً عينه اذا اقتدى بعد السنين المتطاولة بالبهيمة
الهاملة والسائمة المرعية الى اخر كلامه وهذا مذكور
فى نهج البلاغة صلى الله عليه واله وعلى من انتسب اليه بالزهد والقناعة

(۱) مطعوما (۲) [illegible]

الهى ان لم تبتدئنى الرحمة منك بحسن التوفيق
فمن السالك بى اليك فى واضح الطريق

الهى منادى بحذف حرف النداء اى يا مالوهى ومعبودى
اومفزعى وملجاى اومن يسكن اليه قلبى اومن اليه اتضرع
فى شدائدى والاله فى الاصل يقع على كل معبود
ثم غلب على المعبود بحق بحيث لا يطلق على غيره تعالى
وان للشرط فى الاستقبال وقد نص ارباب البيان
ان الاصل فيها ان لا يجزم بشئ من طرفى الشرط
لكنها قد يستعمل فى مقام الجزم لنكتة قال صاحب
التبيان قد يستعمل ان فى الجزم اما للاحتياط كما اذا
سئل العبد عن سيده هل هو فى الدار وهو يعلم انه فيها
فيقول ان كان اخبرك فيحتاط بالتجاهل خوفا من السيد
واما لتقرير وقوع الجزاء وتحققه نحو قول السلطان
لمن هو تحت قهره ان كنت سلطانا انتقمت منك
وعبارة الدعاء من هذا الباب والنكتة فيها اما
الاحتياط واما تقرير وقوع الجزاء وتحققه حيث علق

انكار من يسلك به اليه تعالى فى واضح الطريق بعدم
ابتداء الرحمة منه بحسن التوفيق فانه جازم بذلك وهو
امر محقق عنده كيف لا والهداية امر من لديه وجميع
اسبابه بعود اليه وهذا منه فزع الى الطاف الله تعالى جريا
على سنن الانبياء والاوصياء والصالحين فى قصر
نيل الخيرات والنجاة من الشرور على جناب الله عز وجل
وسلب القوى والقدر عن انفسهم ومبالغة فى استدعاء
لطفه تعالى فكانه ع قال لا تحل بيننا وبين انفسنا
بمنعك التوفيق واللطف عنا فنعجز عن سلوك طريق
معرفتك وسبيل طاعتك وفى هذا الكلام دلالة
على بطلان قول من قال بعدم مدخلية توفيق الله
وخذلانه فى افعال العباد وهم المشهورون بالمفوضة
اذ الانسان بمجرد جده وجهده لا يصل اليه ما
قدر وصوله اليه بالاجتهاد فان الجهد وحده

ليس بسبب موجب بل يحتاج وصوله الى شرائط اخر
وحسن التوفيق عبارة عن اجتماع جميع تلك الشرائط وسوء
التوفيق عبارة عن فقدانها كلاً او بعضاً والرحمة
النعمة ومن ابتدائية اى الرحمة المبتدئة من جنابك
من غير استحقاق منى والاضافة اما بيانية او من
اضافة الصفة الى الموصوف اى توفيق حسن والتوفيق
لغة جعل الشئ موافقا الاخر وعرفاً جعل الله فعل العبد
موافقاً لما يحبه ويرضاه وهو وان كان فى الاصل
موضوعاً على وجه يصح استعماله فى السعادة والشقاوة
ولذلك قيده ع بان يكون حسناً لا قبيحاً الا انه
قد صار متعارفاً فى السعادة فقط ولعل المراد بقولهم
التوفيق توجيه الاسباب نحو المطلوب الخير وقيل هو
الدعوة الى الطاعة والمآل واحد والتوفيق مما لا يستغنى
الانسان عنه فى كل حال كما قيل لحكيم ما الشئ الذى

لا يستغنى

لا يستغنى عنه فى كل حال فقال التوفيق والمراد بتوفيقه
تع له ع تسديده وتذكيره ولطفه به والهام القيام
بما اتاه من اداب الاوصياء واخلاق الاصفياء من صدق
الانقطاع اليه والتوكل عليه وقوة اليقين به و
اطمينان القلب بفضله فلم يلتفت الى غيره ولا الى نفسه
وهكذا من كان دائم المراقبة لربه مدققاً للحساب
على نفسه قد قام منها على ساق مقام الخصم الالد
عند الشقاق كان مستوجباً للعصمة من ربه مطرحاً
خبر لقوله من كان
لاشعة انوار لطفه ومحبته هذا ويق سلك الطريق
سلوكاً من باب قعد اى ذهب فيه وفى القاموس
سلك المكان سلكاً وسلوكاً وسلكه غيره وفيه و
اسلكه اياه وفيه وعليه ويده فى الجيب واسلكها ادخلها
فيه ولعله عليه السلم ضمنه معنى الهداية ولذا عداه بالى
والسلوك الى الله تع هو التقرب اليه بالاعراض عن الدنيا

وحطامها وما فيها ثم باتيان الفرائض على وجهها ثم
النوافل فانها قربان كل تقي ثم بمراعاة الآداب والسنن
ثم الصبر على البلايا والمحن وملازمة الذكر ومداومة
الفكر والتخلي عن الشهوات النفسانية والهواجس الشيطانية
وجعل الهموم هما واحدا مع اخلاص النية وصفاء الطوية
والعمل بما يتعلمه شيئا فشيئا ومراقبة النفس آنا فآنا
الى ان يصير العلم عيانا بعد يقين ويترقى من علم اليقين
الى عين اليقين ومنه الى حق اليقين وقد اشار اليه
صاحب الدعاء جعلت له الفداء عند ذكر السالك
على ما هو المذكور في نهج البلاغة حيث قال قد احيى
عقله وامات نفسه حتى دق جليله ولطف غليظه
وبرق له لامع كثير البرق فبين له الطريق وسلك به
السبيل وتدافعته الابواب الى باب السلامة ودار
الاقامة وثبتت رجلاه بطمانينة قلبه في قرار الامن

والراحة بما استعمل قلبه وارضى ربه انتهى كلامه صلوات الله
عليه وسلامه ويحتمل ان يكون المراد بابتداء الرحمة منه تعالى
بحسن التوفيق اي التوفيق على السلوك اليه احداث الشوق
في السالك واهتياج قلبه وجذبه الى ارادته ومحبته
والمواظبة عليه فان الشوق وهو ادراك لذة المحبة اللازمة
لفرط الارادة الممتزجة بالم المفارقة يكون في حال السلوك
بعد اشتداد الارادة ضروريا وربما كان حاصلا
قبل السلوك وذلك اذا حصل الشعور بكمال المطلوب ولم تنضم
اليه القدرة على السير وقل الصبر على المفارقة وكلما
ترقى السالك في سلوكه كثر الشوق وقل الصبر حتى يصل
الى المطلوب فتخلص لذة نيل الكمال من الالم وتنتفي
الشوق كذا افاده المحقق الطوسي قدس سره في بعض
رسائله والاضافة في واضح الطريق من اضافة الصفة
الى الموصوف وفي الكلام استعارة تحقيقية تصريحية

حيث شبه العبادات والرياضات والمجاهدات الشرعية
بسلوك الطريق ثم ذكر المشبه به واريد به المشبه والمراد
بوضوحه انه تع خلق الانسان بشرا سويا مكلفا ونصب
لهم الادلة على ربوبيته ووحدانيته واستحقاقه الطاعة
والعبادة لما ركب فيهم وفي غيرهم من عجائب خلقته و
غرائب صنعته وشهدت بها عقولهم التي ركبها فيهم و
جعلها مميزة بين الضلالة والهداية لكن هذا الطريق
على وضوحه مخوف وفيه مهالك ومواقع والسالك فيه
يحتاج الى العنايات الربانية والهدايات السبحانية
فانه ما دام في سيره الى الحق يكون مضطربا غير مستقر
الخاطر لخوف العاقبة وما يعرض في اثناء السير والسلوك
من العوارض العائقة كالانحراف عن القصد في عبادة
الله واستيلاء القوى الشهوانية بحسب مجرى العادة
في استعمال الشهوات المالوفة فان هذه وامثالها

تصد السالكين عن السلوك الى الله وهم على خوف منها
ومن خواطر الشيطان كما قيل السالك الى الله تع خائف
من قطع الطريق من الشيطان وهولا يامن ان ياتيه من
اي جهة امكن منها الاتيان فليس للتخلص منه مساغ
الا بان يلتجأ الى الله سبحانه ويسئله الحفظ من جميع الجهات
فاذا هبت نسيم العناية الازلية وارتفعت الحجب الحائلة
الظلمانية تنور القلب بنور العيان وحصلت الراحة
والاطمينان وزال الخوف وظهرت تباشير الامن والاماني
كما سبق انفا في كلام صاحب الدعا جعلت له الفداء
وهذا المقام من مقام اصحاب النهايات لا من احوال
ارباب البدايات الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون

وَاِنْ اَسْلَمَتْنِى اٰنَاتُكَ لِقَائِدٍ وَالْمُنَى فَمِنَ الْمُقْبِلِ (الاوامل)
عَثَرَاتِي مِنْ كَبَوَاتِ الْهَوَى ﻫ كبوة

بق اسلم فلان فلانا اذا القاه في الهلكة ولم يحمه من عدو

وهو عامّ في كلّ من اسلمته الى شيء لكن غلب عليه الالقاء
في الهلكة ومنه الحديث اني ذهبت غلاما لخالتي فقلت
لا تسلمه حجاما ولا صائغا ولا قصابا اي لا تعطه لمن يعلّمه
احدى هذه الصنائع والاناة على وزن حصاة
اسم من تأنّى في الامر اذا تمكث ولم يعجل والمراد بها
هنا الحلم وتاخير العقوبة والاستدراج ولمّا كان
الغرض في العناية الالهيّة سوق كلّ ناقص الى كماله
اقتضت عنايته سبحانه عدم معاجلة العباد بالعقاب
والانتقام والاخذ بالذنوب والمعاصي في هذه
الحيوة الدنيا ليراجعوا التوبة ويرجعوا الى الانابة و
لذلك انظرهم ببقاء الدنيا وامّلهم مدّة حيوتهم فيها
وقاد البعير جرّه خلفه بقي قاد الدابة قودا من باب
قال اذا تقدّمها آخذا بقيادها وهو خلاف السوق
ومنه قائد الجيش لاميرهم كانه يقودهم وجمعه قادة

وقوّاد

وقوّاد وقد يقال للدليل ايضا قائد بهذا الاعتبار
ومنه قائد الغرّ المحجّلين والاضافة بتقدير من وامّا
الامل متعلّق باسلمته ولعلّ اللام فيه بمعنى الى واحتمال
كونها لام التقوية للعمل بعيد فانّها انّما تزيد لتقوية
عامل ضعيف كالمصدر وشبهه فانه لكونه فرعا في
العمل عن الفعل ضعيف فاحتاج الى التقوية والعامل
هنا فعل متعدّ فاية حاجة له اليها فتامّل والامل
محرّكة الرجاء وحقيقته ابتهاج النفس لانتظار ما هو
محبوب عندها فهو حالة لها تصدر عن علم ويقتضي
عملا وقال بعضهم اكثر ما يستعمل الامل فيما يبعد
حصوله فانّ من عزم الى سفر الى بلد بعيد يقول
امّلت الوصول اليه ولا يقول طمعت الّا اذا قرب منه
فانّ الطمع لا يكون الّا فيما قرب حصوله وقد يكون الامل
بمعنى الطمع والرجاء بين الامل والطمع فانّ الراجي

قد يخاف ان لا يحصل ماموله ولهذا يستعمل بمعنى
الخوف فانّ قوي الخوف استعمل استعمال الامل وعليه
قول زهير ارجو وامل ان تدنو مودّتها ومنشأ الامل
الحرص على الاسباب الدنيويّة وجمع القينات الفانية
وثمرته الاعراض عن الامور الاخرويّة الموجبة لاشقى
الشقا ولذلك قال صاحب الدعا جعلت له الفدا
انّ اخوف ما اخاف عليكم اثنان اتّباع الهوى
وطول الامل امّا اتّباع الهوى فيصدّ عن الحقّ و
امّا طول الامل فينسى الآخرة بيان ذلك انّ طول
توقّع الامور الدنيويّة المحبوبة يوجب دوام ملاحظتها
ويستلزم دوام اعراض النفس عن ملاحظة احوال الآخرة
وهو سبب مستعقب لانمحاء ما تصوّر في الذهن منها
وذلك معنى النسيان لها وبذلك يكون الهلاك
الابديّ والشقاء السرمديّ وقد ورد من الآثار

والاخبار في التحذير من طول الامل والتنفير عنه ما
تضيق عنه دائرة الاحصا وتقصر عن قطع مسافته
قدم الاستقصا وكفى في ذلك قوله تعالى ربما يودّ الذين
كفروا لو كانوا مسلمين ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل
فسوف يعلمون فنبّه على انّ ايثار التلذذ والتنعّم وما
يؤدّي اليه طول الامل من اخلاق الكافرين لا من
صفات المؤمنين وعنه يا اباذر ايّاك والتسويف
باملك فانّك بيومك ولست بما بعده فان يكن لك
غد فكن في الغد كما كنت في اليوم وان لم يكن غد لم
تندم على ما فرّطت في اليوم يا اباذر كم من مستقبل يوما
لا يستكمله ومنتظر غدا لا يبلغه يا اباذر لو نظرت
الى الاجل ومسيره لابغضت الامل وغروره يا اباذر
كن كانّك في الدنيا غريب او عابر سبيل وعدّ نفسك
من اصحاب القبور يا اباذر اذا اصبحت لا تحدّث نفسك

بالمساء واذا امسيت فلا تحدث نفسك بالصباح وعن
انس ان النبي صـ خط خطاً وقال هذا الانسان وخط
الى جنبه خطاً وقال هذا اجله وخط اخر بعيداً منه
فقال هذا الامل فبينما هو كذلك اذ جائه الاقرب
وفي خطبة لصاحب الدعاء جعلت له الفداء اعلموا
ان الامل يسهي العقل وينسي الذكر فاكذبوا الامل
فانه غرور وصاحبه مغرور فنهى عن الامل وبين شروره
وضروده وفي حديث قدسي يا موسى لا تطول في الدنيا
املك فيقسو لذلك قلبك وقاسي القلب مني بعيد
هذا ومنى الشئ قدره لان المتمني يقدر حصول ما
يتمناه والتمني تشهي حصول الامر المرغوب كحصول ما
يحتاج اليه من اهل ومال وادوات واسباب وحديث
النفس بما يكون وبما لا يكون ومنه ما قال صاحب الدعا
جعلت له الفدا لا تتكل على المنى فانها بضاعة النوكى

والاصل في من ان يطلب به الامر الذي يعرض لذي
العلم فيفيد تشخصه الا انه هنا استعمل بمجرد الاستبعاد
والاستنكار كما في قولك من ذا فعل كذا اي ليس
لعثراتي مقيل دونك والاقالة التجاوز عن الذنب و
اصلها من اقال عثرته اذا رفعه من سقوطه ومنه الاقالة
في البيع لانها رفع العقد ومنه اقيلوني فلست بخيركم
وعلي فيكم وفي الحديث اقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم
وفي رواية اخرى ذوي المروات واقالة العثرة استعارة
للتجاوز عن الذنوب والعثرة السيئة والخطيئة من
عثر يعثر من باب قتل يقتل عثاراً بالكسر اذا كبا و
سقط لانها سقوط في الاثم وقيل هي المرة من العثار
في المشي وهي الزلة ومنه العاثور المكان الوعث
الخشن لانه يعثر فيه ومنه قول ابي يوسف يعقوب
المعروف بابن السكيت وكان من اكابر علماء العربية

وعظماء الشيعة وهو من اصحاب الجواد والهادي عليهما السلام

في التحذير من عثرات اللسان يصاب الفتى من عثرة بلسانه

وليس يصاب المرء من عثرة الرجل فعثرته في القول تذهب راسه

وعثرته في الرجل تبرء عن مهل قيل فاتفق ان المتوكل العباسي

الزمه تاديب ولديه المعتز والمؤيد فقال له يوما

ايّما احب اليك ابناي هذان ام الحسن والحسين

فقال والله ان قنبر خادم علي خير منك ومن ابنيك

فقال المتوكل للاتراك سلوا لسانه من قفاه ففعلوا فمات

وهذا من غريب ما وقع منه رحمه الله هذا والكبوة العثرة

ومنه الجواد قد يكبو ومن ابتدائية والاضافة من اضافة

الصفة الى الموصوف والهوى مقصور وهو الذي

يميل اليه القلب من المحبوبات والمشتهيات هوى امر الركب

اليمانين مصعد والتحقيق ان الهوى ما يحكم الطبع

بملائمته ولا يراعى فيه المآل بل يخالف العقل والشرع

بمعونة الوهم والخيال فيختار العاجل ولو كان فانيا

دون الآجل ولو كان باقيا فلا تتبع الهوى فيضلك

عن سبيل الله وفي الحديث ابغض اله عبد في الارض

الهوى والشيطان واما من خاف مقام ربه ونهى

النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى

فعاص هوى النفس التي ما اطاعها اخو ضلة الا هوى من عقابه

والمعنى ان الفتنة اتاتك وتاخير عقوبتك وحملك الى

قائد من جنس الامل والمنى يقودني ويجرني الى حيثما

يجرني فتكثر عثراتي فمن المقيل عثراتي المبتدأ من الهوى

الكابية العاثرة فتشبيه النفس الامارة بالسوء المبتالة

الى الشر بالشخص الاعمى الجامع عدم البصيرة والاهتداء

الى طريق الصواب استعارة بالكناية واثبات القائد

له تخييل واسناد الاسلام الى الاناة مجاز عقلي و

تشبيها لاغلاط الناشئة من زلة قدم النفس بفعل

المنهيات وترك المأمورات الموجبة لكونها دهينة
بذلك مفتقرة الى الاقالة بالعثرات في المشي استعادة
مصرحة او هو تشبيه للمعقول بالمحسوس وكذلك تشبيه
الهوى بالناقة الخابطة العاثرة مكنية اخرى واثبات
الكبوة له تخييل آخر وهذه الفقرة الجليلة من ادق
الكلام وافصحه فيها دلالة على ان تعجيل بعض عقوبات
الدنيوية نعوذ بالله منه ومن موجباته لطف من الله
على عباده يوجب تنبيههم على سيئات اعمالهم واعراضهم
عن الدنيا واقبالهم على الآخرة وان تاخيرها استدراج
يغشاه منه الآمال والاماني وانهما يقودان لصاحبهما
الى المهالك ثم يلقيانه فيهما وادنى ما يترتب عليهما
نسيان الآخرة وتاخير التوبة واقباله على الدنيا واموره
مستغرقا فيها الى ان يختطفه الموت وهو غافل عنه غير مستعد
له فطول في الآخرة حسرته وندامته تذنيب قوة الفكر

٢ يختطفه ن

بين

بين العقل والهوى والعقل فوقها والهوى تحتها فمتى
ارتفعت الفكرة ومالت نحو العقل صارت رفيعة فولدت
المحاسن واذا اتضعت ومالت نحو الهوى صارت وضيعة
فولدت المقابح ومن شان العقل ان يرى ويختار ابدا
الافضل والاصلح في العواقب وان كان على النفس في
المبدء منه مؤونة ومشقة والهوى على ضد من ذلك
فانه يؤثر ما يدفع به الموذي في الوقت وان كان يعقب مضرة
من غير نظر منه في العواقب كالصبي الرمد الذي يؤثر اكل
الحلاوات واللعب في الشمس على اكل الهليلج والحجامة
ولذا قال ع حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات
وايضا فالعقل يرى صاحبه ما له وعليه والهوى يريه
ما له دون ما عليه ويعمي عليه ما يعقبه من المكروه ولهذا
قال ع حبك الشيء يعمي ويصم فعلى العاقل ان يتهم رايه
ابدا في الاشياء التي هي له لا عليه ويظن انه هوى لا عقل

ويلزمه ان يستقصى النظر فيه قبل امضاء العزيمة حتى
قيل اذا عرض لك امران فلم تدر ايهما اصوب فعليك
بما تكرهه لا بما تهواه فاكثر الخير في الكراهة قال تعالى
عسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وقال تع ويجعل الله
فيه خيرا كثيرا ولذا قال الاحنف بن قيس كفى بالرجل
رايا اذا اجتمع عليه امران فلم يدر ايهما الصواب ان ينظر
اعجبهما اليه واغلبهما عليه فيحذره هذا وللانسان
مع هواه ثلث احوال الاولى ان يغلبه الهوى فيستعبده
كما قال تع افرايت من اتخذ الهه هواه افانت تكون عليه
وكيلا اما الثانية ان يغالبه فيقهره مرة ويقهر مرة واياه
قصد بمدح المجاهدين وعناه صلى الله عليه واله
بقوله وقد سئل اى الجهاد افضل جهادك هواك وقال
جاهدوا اهوائكم كما تجاهدون اعدائكم والثالثة
ان يغلب هواه كالانبياء والاوصياء وكثير من صفوة

الاولياء وهذا المعنى قصد النبي ص بقوله ما من احد
الا وله شيطان فقيل يا رسول الله ولا انت فقال
ولا انا الا ان الله قد اعانني على شيطاني حتى ملكته
فان الشيطان يتسلط على الانسان بسبب الهوى

وَاِنْ خَذَلَنِي نَصْرُكَ عِنْدَ مُحَارَبَةِ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ فَقَدْ
وَكَلَنِي خِذْلَانُكَ اِلَى حَيْثُ النَّصَبِ وَالْحِرْمَانِ

خذله من باب قتل خذلا ترك نصره واعانته فهو
خاذل والاسم الخذلان بالكسر والاسناد فيه وفي
وكلني مجازيان عقليان وفي الاول تجريد فان الخذلان
هو ترك النصر كما سبق وخذلانه تع نعوذ به منه ان
يترك المرء بنفسه لسوء استعداده وشناعة صنيعته
فيمنع منه الطافه الخاصة وفيه دلالة على مدخليته
سبحانه في افعال عباده بالتوفيق والخذلان بحيث
لا يصل الى حد الالجاء في شيء منهما فقول المعتزلة

لاصنع لله اصلاً فى فعل العبد لا اصل له والمحاربة
كالمجادلة مصدر من باب المفاعلة واقع بين اثنين
فصاعداً يفعل كل مع صاحبه ما يفعل هو به وهي من
الحرب مستعارة من المجاهدة وهي الجهاد الاكبر
المشار اليه بقوله عليه وآله السلام رجعنا من الجهاد الاصغر
الى الجهاد الاكبر وهي مجاهدة النفس الامارة بالسوء
لشهوة البطن والفرج والغضب وسائر الآفات والعيوب
وهي اعدا عدو المرء ويستخدمها عقول كثير من الناس
فيأمرهم بما يأمرهم والمحاربة معها بالمجاهدة والرياضة
وتصفية الباطن واركانها الجوع ثم السهر ثم العزلة ثم
الصمت ثم ذكر الله تع وهو عند اهل السلوك كلمة
التوحيد والمحاربة مضافة اما الى الفاعل او المفعول
اى محاربتهما اياى ومحاربتي اياهما او محاربة كل مع الاخر
على ان يكون المراد بالنفس النفس اللوامة والملهمة

وعلى الاولين الامارة بالسوء المائلة الى الشر فانها فى
حال الشهوة بهيمة وفى الغضب سبع وفى المصيبة طفل
وفى النعمة فرعون وفى الشبع تراها مختالة وفى الجوع
مجنونة ان اشبعتها بطرت وان اجعتها صاحت وجزعت
ومن رذائلها وجهلها انها اذا همت بمعصية وانبعثت
لها شهوة لو تشفعت اليها بالله تع ثم برسوله وبجميع
انبيائه وكتبه ورسله والملائكة المقربين وتعرض
عليها الموت والقبر والقيمة والجنة والنار لا تعطى
القيادة فلا تسكن ولا تترك الشهوة ثم انك تستغلبها
بمنع رغيف واعطاء رغيف فتسكن وتترك شهوتها
وتعلم خستها ورذائلها وجهلها وغفلتها والغفلة فاياك
عنها طرفة عين ابدا واعلم ان المحققين على ان النفس
الانسانية اى النفس الناطقة شئ واحد فاذا مالت
الى العالم العلوي كانت مطمئنة واذا مالت الى الشهوة

والغضب سميت امّارة وهذا في اغلب احوالها لالفها
بالعالم الحسّي وقرارها فيه فلاجرم اذا خليت وطباعها
انجذبت الى هذه الحالة فلهذا قيل انّها من حيث ذاتها
امّارة بالسّوء وان كانت منجذبة تارة الى العالم العلوي
وتارة الى العالم السفلي سميت لوّامة ومنهم من ذهب
الى انّ المطمئنّة هي النّاطقة بالعلوم والنفس الامّارة
منطبعة في البدن تحمله على الشّهوة والغضب وسائر
الاخلاق الرّذيلة وفيه ايماء الى قدرة العبد وكونها
مؤثّرة فيما يصدر عنه من الافعال والتروك والّا لم
يتصوّر منه المحاربة والمدافعة مع اعدى عدوّه و
خاصّة في حال شكيمته وعتوّه فقول الجبريّة لا مؤثّر
في الوجود الّا الله باطل فقد اشار بهذا الكلام الى ان لا
جبر ولا تفويض بل امر بين امرين وقد فصّلنا القول
فيه في بعض رسائلنا المعمولة لشرح قوله عليه السّلم

وقد سئل عن قولهم لا حول ولا قوّة الّا بالله انّا لا نملك
مع الله شيئًا ولا نملك الّا ما ملّكنا فمتى ملّكنا ما هو املك
به منّا كلّفنا ومتى اخذه منّا رفع تكليفه عنّا فليقف من هنا
من اراد الوقوف عليه والشّيطان وهو عدوّك ومترصّد
صرف قلبك عن الله حسدًا لك عن مناجاته والشّيطان
فيعال من الشّطن وهو البعد لبعده عن الله تعـ او عن
الخير يريد ابعاد المتقرّب الى الله لكونه ابعد من اجله
او فعلان من الشّيط وهو البطلان والهلاك والاحتراق
لانّه باطل في نفسه مبطل لمصالحه ومصالح من ابطل
من اجله هالك باللّعنة يريد اهلاك من لعن لاجله
محترق غضبًا عليه اذا راه يتقرّب الى ربّه والالف واللّام
فيه للجنس فيدخل فيه جنوده ولو جعل للعهد جاز
ويدخل فيه جنده تبعا والمثبتون لوجود الشّياطين
اختلفوا في حقيقتهم فالمتكلّمون منهم قالوا هي اجسام

شفافة متشكل باى شكل شائت وتقدر على الولوج
في بواطن الحيوان وتنفذ في منافذها الضيقة نفوذ
الهواء المستنشق وظاهر بعض الاخبار يعضده وقال
قوم هى النفوس الارضية المدبرة للعناصر وقيل هى النفوس
الناطقة البشرية المفارقة ابدانها فتتعلق بالنفوس
البشرية وتعاونها على الشر والفساد وقيل هى نفوس
مجردة تتصرف بالتعلق وتدرك بآلة هى كرة الاثير
واوّل به خلقهم من النار وقال جمهور الفلاسفة ان
الشيطان عبارة عن الوهم المعارض للعقل وجنوده
سائر القوى التابعة له فى معارضة العقل في اشخاص
الكفار والفاسقين عن اوامر الله سبحانه والوهم رئيس
القوى البدنية فهى اذا عند معارضتها ومتابعتها جنود
ابليس وقبيله قالوا والمراد بكونه خلق وقبيله من النار
ان الارواح الحاملة لهذه القوى اجسام لطيفة تتكون

عن لطافة الاخلاط وهى حارة جدا مائلة الى الافراط والنارية
والهوائية عليها اغلب وتولدها عنهما اسهل وهى احر اجزاء
البدن وكذلك القلب الذى هو منبعها فكانت تلك
الارواح كالابدان لهذه القوى فلذلك نسبوا الى
النار تذنيب فان قلت كيف يتصور المحاربة بين الانسان
والشيطان وهو لا يراه على العيان ولا يشاهده فى المكان
قلت قد ظهر جوابه على مسلك الفلاسفة واما طريقة
المتكلمين فمحاربة الشيطان للانسان عبارة عن تسويله
ووسوسته وتزيينه له ما حرمه الله عليه ودعوته الى
ذلك رجاء ان يغلبه بذلك فيهلكه كما قال وما كان
لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى
وحقيقة محاربته ان الانسان بين ما هو ذاهل عن
الشئ ذكره ذلك فيحدث له ميل جازم يترتب الفعل
على حصول ذلك الميل فمحاربته ذلك التذكير واجابته

حصول ذلك الميل الذي هو من شان النفس ولذلك
قال المحققون الشيطان الاصلي هو النفس وذلك ان الانسان
اذا احس لشيء او ادركه يترتب عليه شعوره بكونه ملائما
له او منافرا ويتبع هذا الشعور الميل الجازم الى الفعل
او الترك وكل هذه الاشياء من شان النفس ولا مدخل
للشيطان في شيء من هذه المقامات الا بان يذكره
شيئا مثل ان الانسان كان غافلا عن صورة امراة
فيلقي الشيطان حديثها في خاطره قال امين الاسلام
الطبرسي في الاية المذكورة دلالة على ان الشيطان
لا يقدر على اكثر من الدعاء والاغواء وانه ليس عليه
عقاب معاصيهم وانما هو عليه عقاب الدعوة فحسب
ومحاربة الانسان للشيطان عبارة عن كفه نفسه
عن اطاعته واجابته الى ما يدعوه اليه ويسوله له
وذلك انما يكون بتوفيق الله ونصرته على فعل الطاعة

وترك المعصية وعدم الالتفات الى ما يلقيه اليه الشيطان
من خطراته فانه بذلك يقهره ويغلبه ومما يطرد اللعين
عن الانسان ذكر الله تع كما ورد عن النبي ص ان الشيطان
واضع خطمه على قلب ابن ادم فاذا ذكر الله خنس وان نسي
التقم قلبه والخطم من كل طائر منقاره ومن كل دابة مقدم
انفه وفمه وعنه صلى الله عليه واله ان الشيطان ليخطم
على قلب بني ادم له خرطوم كخرطوم الكلب اذا ذكر العبد
الله عز وجل خنس اي رجع على عقبيه واذا غفل عن ذكر
الله تع وسوس وعن ابن عباس ان الله جعل الشيطان
يجري من بني ادم مجرى الدم قيل وجريانه اما حقيقي
فانه لطيف من نار لا يمتنع سريانه كالدم او مجازي
لكثرة وسوسته وعلاجه سد المجاري بالجوع وقيل
انه يلقي الوسوسة في مسام لطيفة فتصل الى القلب و
قيل معنى جريانه مجرى الدم انه لا يفارق ابن ادم ما دام

حيًّا كما لا يفارقه دمه وهذا على ضرب المثل والجمهور
حملوه على ظاهره قالوا انّ الشيطان جعل له هذا القدر
من التطرّق الى باطن الآدمي بلطافة هيئته فيجري في
العروق التي هي مجرى الدم الى ان يصل الى قلبه فيوسوس
على حسب ضعف ايمانه وقلّة ذكره وكثرة غفلته و
يبعد عنه ويقلّ تسلّطه وسلوكه الى باطنه بمقدار
قوّته وتيقّظه ودوام ذكره واخلاص توحيده وقيل
انّ ابليس قال يا ربّ خلقت آدم وجعلت بيني وبينه
عداوة فسلّطني عليه فقال جعلت صدورهم مساكن لك
فقال ربّ زدني فقال لا يولد ولد لآدم الّا ولد لك
عشرة فقال ربّ زدني فقال تجري منهم مجرى الدم
فقال ربّ زدني قال اجلب عليهم بخيلك ورجلك و
شاركهم في الاموال والاولاد فشكى آدم الى ربّه
فقال يا ربّ انك خلقت ابليس وجعلت بيني وبينه

عداوة وبغضا وسلّطته عليّ وانا لا اطيقه الّا بك فقال
الله تع لا يولد لك ولد الّا وكّلت به ملكين يحفظانه
من قرناء السوء قال ربّ زدني قال الحسنة بعشر
امثالها قال ربّ زدني قال لا احجب عن احد ولدك
التوبة ما لم يغرغروا والغرغرة تردّد الروح في الحلق وفي
الكافي بسند صحيح عن احدهما عليهما السلم قال انّ آدم
عليه السلم قال يا ربّ سلّطت الشيطان عليّ واجريته منّي
مجرى الدم فاجعل لي شيئا فقال يا آدم جعلت لك
ان همّ من ولدك بسيّئة لم يكتب عليه فان عملها كتبت له
سيّئة ومن همّ منهم بحسنة فان لم يعملها كتبت له حسنة
وان عملها كتبت له عشرا قال ربّ زدني قال جعلت
لك انّ من عمل منهم سيّئة ثمّ استغفر غفر له قال يا ربّ
زدني قال جعلت لهم التوبة وبسطت لهم التوبة حتّى
تبلغ النفس هذه قال يا ربّ حسبي هذا وقوله فقد

وكلني اى الجأني ومنه وكلت امري الى فلان اى الجأته
اليه واعتمدت فيه اليه كذا فى نهاية ابن الاثير وفى القاموس
وكل الامر اليه وكلا ووكولا سلمه وتركه وحيث ظرف
المكان بمنزلة حين وهو ظرف الزمان ويجوز ان يكون
مستعارا للزمان وهو على المشهور بين اكثرهم مبنى
على الضم اضيف الى الجملة كما فى قولك قعد زيد حيث
قعد عمرو ام الى المفرد كما فى حيث النصب والحرمان اما
على الاول فلمشابهته بالظروف والغايات فى حذف
المضاف اليه لان الجملة المضاف هو اليها لما كانت ما اوله
الى المفرد كانت كانها محذوفة واما على الثانى فلان
اضافته الى المفرد لما كانت نادرة والنادر كالمعدوم
حكما حكموا عليه بالبناء واجروا عليه حكم الاغلب والاكثر
خلافا لبعضهم حيث ذهب الى انه فى هذه الصورة
معرب لانتفاء ما يوجب بنائه فعلى الاول حيث هنا

مضموم وعلى الثانى مجرور والنصب التعب ومنه فاطمة
بضعة منى ينصبنى ما انصبها اى يتعبنى ما اتعبها
والحرمان مصدر حرمه الشئ حرمانا بالكسر منعه والمحروم
الممنوع من الخير ووجهه ظاهر فان عداوة الشيطان للانسان
بالجبلة والذات فاذا وجد معاونا وهو النفس الامارة
بالسوء غلب عليه وظفر به وخاصة عند خذلانه تعالى و
تركه نصره فيأسره ويستعبده ويستخدمه فى مراداته المشاكلة
لافعاله القبيحة واعماله السيئة وتصير تلك الاشياء عادة
للانسان وجبلة فيه وطبيعة ثانية فتصير النفس الناطقة
التى هى جوهرة شريفة ودرة نفيسة شيطانة فتكون
من الهالكين محشورة مع الشياطين محترقة بنار الجحيم
لهم فى عذاب الجحيم فنعوذ بالله من الشيطان الرجيم
الهى اترانى اتيتك من حيث الآمال ام علقت باطراف حبالك
حين باعدتنى ذنوبى عن دار الوصال

الهی اخبرنی [illegible] ام علقتنی باطراف حبالک ام باعدتنی ذنوبی عن دار الوصال

حرف النداء محذوف كما فی یوسف اعرض عن هذا یعنی
اخبرنی یا الهی عن حالی هل اتبنك وقت الامال وكلمة
ام متصلة ویكون لطلب تعیین احد الامرین وعلامتها
ان تكون معادلة لهمزة الاستفهام كما فی قولك ادبس
فی الاناء ام عسل ویجوز ان تلیها الجملة والمفرد بخلاف المنقطعة
ای اخبرنی ای الفعلین كان واقعا والهمزة لانكار الفعل
ای لم یقع شئ منهما ولكن ما كان ینبغی عدم وقوعهما
وهذا معنى التوبیخ والتنبیه على الخطاء لترتدع وتنزجر
عما كانت تفعله فیما مضی ففی هذا الاستفهام تقریر
بمعنى التحقیق والتثبیت فان عدم وقوعهما امر ثابت
محقق وانكار بمعنى انه ما كان ینبغی ان یكون ما كان
و یوجد فی بعض النسخ لفظة لا بعد قوله اتبنك و
قوله باطراف حبالك والاظهر عدمها لانه علیه السلام
فی مقام الاعتراف بعدم رجوع النفس عن المعاصی

والذنوب

والذنوب والاقرار بعدم انقلاعها عن المساوی والعیوب
وفی صدد توبیخها وتهدیدها بانها مع كونها ذات
امال وذنوب لا تاتی الله لاجل الامال بل تاتی غیره و
لا تعلق باطراف حباله حین باعدتها ذنوبها عن
الوصال بل لا ترجع ولا تتوب عما صدرت عنها من
الذنوب ولا تتنبه على قبائح اعمالها وشنائع اقوالها
وهذا من خصائص النفس الامارة واما على النسخة
الاخرى فلعله اشارة الى مقام النفس اللوامة بانها
لا تاتی الله الا من جهة الامال ولا ترجع الیه
الا وقت البعد عن دار الوصال واما فی غیرها من
الحالتین فلا وهذا ایضا قبیح مذموم واجب تركه
بل ینبغی عبادته والنظر مقطوع عن جلب النفع ودفع
الضرر كما اشار الیه خیر البشر ما عبدتك خوفا من نارك
ولا طمعا فی جنتك بل وجدتك اهلا للعبادة فعبدتك

والاولى ان يكون اصل الكلام صادرا عن اللوامة او اللوم
فيه متوجها الى الامارة وكلمة من تعليلية مثلها في قوله تعالى
مما خطيئاتهم اغرقوا فادخلوا نارا وقوله يغضى حياء ويغضى من مهابته
وقوله يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب اى كما
الامال والحبل الرباط والرسن والعهد والذمة والامان
والجمع حبال قوله تعالى فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم
انها تسعى وانما اسند التعلق الى اطراف الحبال
دون نفسها اظهارا للعجز والقصور والمراد بها هنا
التوبة والانابة والندامة على ما مضى ونية ترك المنهيات
وفعل المامورات فيما ياتي من زمان التكليف فانها
اسباب اذا علق المذنب باطرافها توصله الى دار
الوصال وتقربه الى ما هو منتهى الامال والدار المحل
يجمع البناء والعرصة ففي الكلام استعارة تصريحية
او تشبيه للمعقول بالمحسوس فان دار وصاله تعالى عبارة

عن محل الزلفة لديه حيث تناله غواشي رحمته وفضله
وكرامته الدائمة الذي لا يتغير صاحبه لعلة القهر
ولا يزول عنه بالستر والحجاب فهو كناية عن القرب منه
والرفعة عنده بواسطة نيل الثواب تشبيها بالقرب
المكاني وليس المراد به الملاصقة في المساكن ولا بالكون
اتصال شئ بشئ كما يتوهمه المجسمة ومن يحذو حذوهم
تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا بل المراد التبتل والانقطاع
الى الله والتجافي عن دار الغرور والترقي الى عالم النور
والانس بالله والوحشة عما سواه وتصيير الهموم
هما واحدا بجعل الفكر مستغرقا في اسرار الملكوت
وقصر الحواس على اجتلاء انوار الجبروت فان العارف
اذا جلس متخليا بربه يلقى ذلك راحة لنفسه وفراغا لسره
ودعة لعقله وطمانينة لقلبه ونورا مشرقا فمن جلاله
وتاج بهاء تكلله وصار جليسا لربه ودثارا لخالقه

ومقترحاً على رازقه ومنادماً لمالك دار الفناء ودار
البقاء ومشرفاً بحضرة سلطان السماء وتتوق نفس المريض
الى العافية والشفاء والعطشان الى لذيذ الشرب الماء
قيل لراهب ما اصبرك على الوحدة قال انا جليس ربي
واذا شئت ان يناجيني قرات كتابه واذا شئت ان اناجيه
صليت وفي كتاب التوحيد عن الصادق عليه السلام
ان روح المؤمن لاشد اتصالاً بروح الله من اتصال
شعاع الشمس بها وفي مصباح الشريعة عنه ع
العارف شخصه مع الخلق وقلبه مع الله لو سهى قلبه عن
الله طرفة عين لمات شوقاً اليه والعارف امين
ودائع الله وكنز اسراره ومعدن نوره ودليل رحمته
على خلقه ومطية علومه وميزان فضله وعدله
قد غنى عن الخلق والمراد والدنيا ولا مونس له سوى
الله ولا نطق ولا اشارة ولا نفس الا بالله من الله

مع الله فهو في رياض قدسه متردد ومن لطائف فضله
متزود والمعرفة اصل فرعه الايمان وعن العسكري ع
من انس بالله استوحش من الناس وعلامة الانس
بالله الوحشة من الناس وسئل الصادق ع ما بال
المتهجدين احسن الناس وجهاً قال لانهم خلوا بالله
سبحانه فكساهم من نوره وعنه ع عن ابيه قال كان
فيما اوحى الله الى موسى بن عمران كذب من زعم انه
يحبني فاذا جنه الليل نام يا ابن عمران لو رايت الذين
يصلون لي في الدجى وقد مثلت نفسي بين اعينهم
يخاطبوني وقد جليت عن المشاهدة ويكلموني و
قد عززت عن الحضور يا ابن عمران هب من عينك
الدموع ومن قلبك الخشوع ومن بدنك الخضوع
ثم ادعني في ظلم الليل تجدني قريباً مجيباً وعن سيد
الساجدين في مناجاته للمحبين الهي من ذا الذي

ذاق حلاوة محبتك فرام منك بدلاً ومن ذا الذي
انس بقربك فابتغى عنك حولاً الهي فاجعلنا ممن اصطفيته
لقربك واخلصته لودك وشوقته الى لقائك وارضيته
بقضائك ومنحته بالنظر الى وجهك وحبوته برضاك
واعذته من هجرك وقلاك وبوأته مقعد الصدق في
جوارك وهذا الكلام منه اشارة الى الجنة العقلية
التي للمقربين وهي جوار الله وحضرته المشار اليها
بقوله سبحانه ان المتقين في جنات ونهر في مقعد
صدق عند مليك مقتدر فلا يبعد ان يراد بدار
الوصال هذه الجنة والمجاورة قال صاحب عرائس
البيان وصف الله سبحانه بقوله هذا منازل
الذين اقبلوا على الله بنعت المعرفة والمحبة وخرجوا
مما دونه من البرية وتلك المنازل عالم الشهادة
ومقاماته العندية جناتها رفارف الانس وانوارها

انوار

انوار القدس اجلسهم الله على بساط الزلفة والمدانات
التي لا يتغير صاحبها بعلة القهر ولا يزول عنها بالحجاب
والستر لذلك سماه مقعد صدق اي محل كرامة
دائمة وقربة قائمة ومواصلة سرمدية وزلفة ابدية
انتهى وسئل ابو جعفر الشاشي عن الغريب الذي
يطلبه رضوان في الجنة فلا يجده ويطلبه مالك في
النار فلا يجده ويطلبه جبرئيل في السموات فلا يجده
ويطلبه ابليس في الارض فلا يجده فقال له اهل
المجلس وقد تفطرت قلوبهم يا ابا جعفر فاين يكون
هذا الغريب فقال في مقعد صدق عند مليك
مقتدر قال بعض العارفين من اصحابنا ان هؤلاء
الاصفياء وان كانوا من جهات هوياتهم العقلية
مقربين منه تعالى جالسين في مقعد الصدق تحت قبة
الجبروت ولكنهم من جهة نفوسهم المطيعة لامر الله

المسلمة لحكمه يسرحون في مراتع اللذات ويتنعمون بنعيم
الجنان فلارواحهم التي هي عقول بالفعل جنان
معنوية من المعارف والعلوم ولانفسهم جنان صوريّة
من اللذات والشهوات تنالها من طريق قواها
الحسية والعملية من اكل وشرب ونكاح وغيرها جزاء
بما صبرت في الدنيا من لذاتها وحبست عن قواها
من شهواتها والملائكة يدخلون عليهم من كل باب
سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار هذا ولما كانت
الذنوب المعوّقة عن دار الوصال من دواعي النفس الامارة
بالسوء ومشتهيات البهيمة السبعية من الكبر والحسد
والغل والغرور والحرص والجاه والمال وماشاكلها
ذمها وفرع على الفقرة الماضية

فبئس المطية التي امتطت نفسي من هواها

فان الهوى ما دام متمكنا في ارض النفس لا يمكن حسم

مواد هذه الآفات عنها رأسا بل كلما دفعتها عادت الى
ما كانت اولا والا لزم تخلف المعلول عن علته التامة
والمطية فاعل فعل الذم والموصول بصلته صفة للمخصوص
بالذم وهو المطية المحذوفة المعينة بصفته المطية المذكورة
لان اللام فيها للعهد الذهني وهي لواحد غير معين يصير
معينا بذكر المخصوص ففي الكلام تفصيل بعد الاجمال
فيكون اوقع في النفس ومن هواها بيان للمطية المخصوصة
بالذم فهو المخصوص بحقيقة لانه لما قال فبئس المطية
واجمل فكانه سئل عنها وقيل ما هي فقال هي هوى نفسي
الذي امتطته اي جعلته مطية لها تمتطي بها في السير
اي تمد وتسرع ولا تقف الى حد وهذا بعينه حال
الهوى فانه سريع السير مديد الذهاب جدا لا يقف
موقفا اصلا ولذلك شبهه بالمطية وبينها به والمطية
الناقة التي تركب مطاها اي ظهرها ويقال مطى اذا جد

في السّير واسرع وهذا مقام النفس اللوّامة والذم فيه
يتوجه الى الامارة فدل الكلام على انه عليه السلام
كان ماقتا عليها نادما عما صدرت عنها من الذنوب
تائبا عما ارتكبته من المساوي والعيوب وهذا من اجل
المقامات واشرف الصفات واحسن السمات روى
ان عابدا عبد الله سبعين عاما صائما نهاره قائما
ليله فطلب الى الله حاجة فلم تقض فاقبل نفسه فقال
من قبلك أُتيت لو كان عندك خيرا قضيت حاجتك فانزل
الله اليه ملكا فقال يا ابن ادم ساعتك التي ازدريت
فيها على نفسك خير من عبادتك التي مضت **تذنيب**
توبيخ النفس ومعاتبتها باب عظيم في ابواب المرابطة
في سبيل الله ومرابطتهم مع انفسهم مقامات خمس
وهي المشارطة ثم المراقبة ثم المحاسبة ثم المعاتبة ثم
المعاقبة وضربوا لذلك مثالا فقالوا ينبغي ان يكون

حال الانسان مع نفسه كحاله مع شريكه اذا اسلم اليه
مالا ليتجر به فالعقل هو التاجر في طريق الآخرة ومطلبه
وربحه تزكية النفس اذ بها فلاحها كما قال تع قد افلح
من زكيها فالعقل يستعين بالنفس في هذه التجارة اذ
يستسخرها فيما يزكيها كما يستعين الانسان بشريكه
وكما ان الشريك يصير خصما منازعا يجاذبه في الربح
فيحتاج ان يشارطه اولا ويراقبه ثانيا ويحاسبه ثالثا
ويعاتبه رابعا ويعاقبه خامسا فكذلك العقل يحتاج
الى هذه المقامات الخمس الاولى المشارطة وهي ان
يشارط النفس اولا فيوظف عليها الوظايف ويأمرها
بسلوك طريق الحق ويرشدها اليه ويحرم عليها سلوك
غيره كما يشترط التاجر على شريكه الثاني المراقبة وهي
ان لا يغفل عنها لحظة فلحظة عند خوضها في الاعمال
ويلاحظها بالعين الكالئة فان الانسان ان غفل

عن نفسه واهملها لم ير منها الا الخيانة وتضييع
راس المال كالعبد الخائن اذا انفرد بمال سيده الثالث
المحاسبة وهي ان يحاسبها بعد الفراغ من العمل ويطالبها
بالوفاء بما شرط عليها اولا فان هذه تجارة
ربحها الفردوس الاعلى فتدقيق الحساب في هذا
اهم من التدقيق في ارباح الدنيا لحقارتها بالنسبة
الى نعيم الاخرة فلا ينبغي ان يترك مناقشتها في ذرة
من حركاتها وسكناتها وخطراتها ولحظاتها فان
كل نفس من انفاس العمر جوهرة نفيسة لا عوض لها
يمكن ان يشترى بها كنز من كنوز الاخرة لا يتناهى
نعيمه ولا ينقطع مقيمه قالوا وينبغي للانسان ان
يخلو عقيب فريضة كل صبح بنفسه ويقول لها
اى نفس مالي بضاعة الا العمر ومهما فنى فقد فنى
راس مالي ووقع الياس من التجارة وطلب الربح و

هذا يوم جديد قد امهلني الله فيه ولو توفاني لقلت
رب ارجعوني لعلي اعمل صالحا فيما تركت فاحسبي انك
توفيت ثم رددت فاياك وتضييع هذا اليوم والغفلة فيه
الرابعة المعاتبة والتوبيخ وقد علمت ان لك نفسا امارة
بالسوء ميالة الى الشر وقد امرت بتقويمها وقودها
بسلاسل القهر الى عبادة ربها وطاعة خالقها
فسبيل المعاتبة والتوبيخ ان تعد على النفس عيوبها
وتذكرها ما هي عليه من الجهل في ارتكاب المعاصي
وانحرافها عن سلوك سبيل الله لتذل وتنكسر وتضعف
سورة شهوتها وتستعد بذلك الى استنزال رحمة الله
ورافته قال بعض العارفين النفس شرود جموح فان
اهملتها لم تظفر بها بعد ذلك وان لازمتها بالتوبيخ
والمعاتبة والملامة كانت نفسك هي النفس اللوامة
الخامسة المعاقبة والمجاهدة وذلك اذا راى نفسه قد قارف

معصية او همت بها فينبغي ان يعاقبها بالتضييق عليها
في الامور المباحة وباخذها بالصبر عنها واذا راها
توانت وكسلت عن شيء من الفضائل وورد من الاوراد
فينبغي ان يؤدبها بتثقيل الاوراد عليها ويلزمها
فنونا من الطاعات جبرا لما فات

وواها لها لما سولت لها ظنونها ومناها

اي تلهفا او توجعا او تعجبا فان واها في الاصل
من الاصوات الجارية على لفظ الانسان ثم نقل
الى باب المصادر ولزمته المصدرية من غير ان يصير
اسم فعل فحكمه حكم المصادر وهو للتعجب وفي الحديث
من ابتلى وصبر واها واها قيل معنى هذه الكلمة التلهف
وقد توضع موضع الاعجاب بالشيء يقال واها له
وقد ترد بمعنى التوجع يقال فيها اها ومنه حديث ابي الدردا
ما انكرتم من زمانكم فيما غيرتم من اعمالكم ان يكن خيرا

فواها واها وان يكن شرا فاها اها وفي كتب الادبية
في افعال التعجب واها كلمة تستعمل في التعجب منصوبة
على المصدرية ولم يجئ فعلها عند الاكثر وقال الجوهري
تعجبت عن طيب الشيء فقلت واها له اي ما اطيبه
والتسويل تحسين الشيء وتزيينه وتحبيبه الى الانسان
ليفعله او يقوله يقال سولت له نفسه كذا وسول له
الشيطان اغواه وفي التنزيل بل سولت لهم انفسهم ما
كانوا يعملون وانما اسند التسويل الى ظنونها ومناها
ليدل بذلك على خستها وغرورها بانها تظن امرا
وتتمناه فيصير بذلك عندها محبوبا مستحسنا مقبولا
فاستاثرته فتفعله وهي على غير بصيرة ويقين منه
فانها مثلا تتمنى البقاء في الدنيا ولا بقاء فيها فتخلد
في تحصيل ما يحتاج اليه من اهل ومال وادوات واسباب
وتؤخر التوبة والاقبال على الامور الاخروية الى الكهولة

ومنها الى الشيخوخة وهكذا من وقت الى وقت ومن
يوم الى يوم ومن شهر الى شهر ومن سنة الى سنة وهذا
منها مجرد تسويل شيطانى وتغرير نفسانى مستندا
الى ظنونها ومناها فانها ليست على يقين من بقائها
الى الكهولة فربما ياتيها موتها من ساعتها بغتة
فيتخطفها وهى غافلة عنه غير مستعدة له مستغرقة فى
الدنيا وامورها فتطول حسرتها وندامتها فى الاخرة
وهذا منه غريب عجيب بيت

توقع هجوم الموت فى كل ساعة · فانك لا تدرى متى الموت نازل
فما عد من يلهو وقد شاب راسه · وقد نفدت اياما وهو غافل

وتبا لها لجراتها على سيدها ومولاها

التب النقص هو الخسار والقطع والهلاك تبت يدا ابى لهب
يقال تب يتب تبا فهو منصوب بفعل مضمر متروك
الاظهار اى تبت نفسى تبا لجراتها بالاقدام على

معصية سيدها والاحجام عن طاعته فالمضاف محذوف
واضافة الجراة الى الضمير لقصد تعظيم شان المضاف او
اظهار التاسف والتحسر على عدم الطاعة وانقياد امره
والتعبير عنه بانه سيده ومولاه ادخل فى المقصود والاضافة
اخصر الطرق الموصلة اليه او للتنبيه بانه ما كان ينبغى للعبد
ان يجترى على سيده ولا سيما سيد السادات ومالك
الملوك الذى اوجده وانعم نعمة ظاهرة وباطنة غير
متناهية وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها والجراة بالضم
الشجاعة وهى صيرامة القلب على الاهوال وربط الجاش
فى المخاوف وهى فضيلة بين التهور والجبن فالتهور
هو الثبات المذموم فى الامور المعطبة والجبن هو الفزع
من الامور المعطبة فان قلت كيف يجوز على امام معصوم
ان تسول له نفسه ويغلب عليه هواه الى ان يجترى على سيده
ومولاه قلت هذا من باب تعبيرهم بالفعل عن مشارفته

[illegible]

اى شارفنا ان تسول نفسى لا ان التسويل قد وقع فهو
من قبيل وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا
خافوا عليهم اى شارفوا ان يتركوا اليصح وقوع خافوا جزاء
لانتفاء الخوف بعد الموت ومنه قول الشاعر

الى ملك كاد الجبال لفقده　تزول وزال الراسيات من الصخر

فان المراد شارفت الزوال لا ان الزوال وقع وعلى هذا
فلا بعد فى ان يقال ان المعصوم لما كان فى قالب بشرى
وجلباب ناسوتى وكانت له قوى جوانية متجاذبة
متداعية الى الشر والضر شارفت ان تسول له المعصية
والجراة عليها وليس فى ذلك ما ينافى العصمة او يكون
هذا من باب عدهم للاشتغال بالمباحات ذنبا و
اعتقادهم كونه خطيئة مع ما فيه من كمال الخضوع والخشوع
له تعالى والاعتراف بالمعصية بالتقصير اذ كانوا لا يخرجون
انفسهم من حد التقصير ابدا فى جميع الطاعات والعبادات

وسياتى فيه كلام ابسط او يكون هذا من باب تعليمهم
الامة والرعية كيفية الطاعة والعبادة والخضوع
والخشوع هذا والمولى اسم يقع على جماعة كثيرة والمراد
به هنا اما الرب او المالك او المنعم او المعتق بالكسر
او السيد فالعطف تفسيرى ولما تنبه لسوء حاله وشناعة
ماله وذمائم افعاله وقبائح اقواله واستشعر منه خوفا
وندما عما كان منه رجع الى قرع باب الرجا والهرب
من كثرة الاهواء فقال

الهى قرعت باب رحمتك بيد رجائى وهربت اليك
لاجئا من فرط اهوائى

ما لى سوى قرعى لبابك حيلة　فلئن رددت فاى باب اقرع

القرع الدق والضرب قرع نافته ضربها بسوطه ومنه

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم　بهن فلول من قراع الكتائب

ومنه من قرع الباب ولج ولج ومنه ما ورد فى الخبر

متى تكثر قرع الباب يفتح لك والرجاء بالفتح والمد حالة
نفسانية موجبة لفرحها بسبب توقع امر مطلوب مظنون
حصوله وبق لجأت الى فلان اذا استندت اليه واعتضدت
به والفرط من افرط فى الامر اذا جاوز فيه الحد اى من
كثرة اهوائى وتجاوزها الحد وبيد رجائى متعلق بقرعت
وفيه استعارة بالكناية وتخييل وكذا فى تشبيه الرحمة
بالنفائس المصونة فى دار مغلق بابها استعارة واثبات
الباب تخييل والقرع ترشيح والبواب الديار الفاتح لنا
الرحمة هو المخاطب جلت عظمته وعمت رحمته ومن فرط
اهوائى متعلق بهربت والاضافة لامية واليك متعلق
بلاجئا وهو منصوب على الحالية من ضمير المتكلم اى وليت
عنك مستندا اليك ظهرى ومعتضدا بك ظهرى

فتشبيه الاهواء المفرط بالاعداء المهلكة والهرب منهم
والالتجاء الى الله تعالى استعارة بالكناية وترشيح وفيه

دلالة على غالبية تلك الاهواء الطاغية ومغلوبية
النفس الضعيفة وافتقارها فى الغلبة عليها وجعلها
منقادة تحت قلم العقل الى اعانة الله تعالى ونصرته والاعتصام بحضرته

وَعَلِقَتْ بِأَطْرَافِ حِبَالِكَ أَنَامِلُ وِلَائِي

محبتى اياك فالاضافة لامية والاستعارة مكنية و
تخييلية وترشيحية حيث شبه الولاء بالشخص الانسانى
ثم اثبت له الانامل والعلاقة او عبوديتى او معتقيتى
لك لانك منعم متبرعا ولم تتبرأ من ضمان جريرتى
وليس لى وارث سواك والانملة رؤس الاصابع و
فيه اسناد العلاقة الى الاطراف نوع اشعار بالعجز
والقصور كما سبق فى نظيره والولاء بالفتح اصله القرب
والدنو ويطلق على ولاء العتق وهو تقرب احد
الشخصين بالاخر على وجه يورث الارث بغير نسب
ولا زوجية وفى اطراف حبالك استعارة تصريحية و

ترشيح او تخييل ولمّا اعترف بمساويه واقرّ بذنوبه و
معاصيه ثمّ التجأ الى الله قارعاً باب رحمته عالقاً باطراف
حباله وهو تع حثّ على التوبة والندم وكتب على نفسه
الرّحمة والكرم فقال توبوا الى الله جميعاً انّ الله هو التوّاب الرّحيم
انّ الله يغفر الذنوب جميعاً فرّع على ذلك قوله
فاصفح اللّهمّ عمّا كان اجرمته من زللي وخطائي
ايماء الى انّ الاعتراف بالذنوب والاقرار بالمعاصي
والعيوب موجب لغفرانها سبب لكتمانها باعث لسترها
ففي الكافي عن الباقر ع اما والله ما اراد الله من النّاس الّا
خصلتين ان يعترفوا بالنعم فيزيدهم وبالذنوب فيغفرها لهم
وعنه ع والله ما ينجو من الذنوب الّا من اقرّ بها وقال
الصّادق ع والله ما خرج عبد من الذنب الّا بالاقرار و
في الاقرار به خمس فوائد الانقطاع الى الله والانكسار
للقلب وفيه من الفضيلة ما لا يخفى انّ الله عند المنكسرة

قلوبهم

قلوبهم وربّما يحصل عنده رقّة القلب وهي دليل الاخلاص
وعنده تكون الاجابة وربّما كان سبب البكاء وهو
سيّد الاداب الخامس موافقة امر الباقر بن علي عليهما السلام
والصّفح العفو والتجاوز واصله من الاعراض بصفحة
الوجه كانّه يعرض توجّهه من ذنبه ومنه الصّفوح في
صفة الله وهو العفوّ من ذنوب العباد والمعرض عن عقوبتهم
تكرّماً وقيل الصّفح هو ان تعرض عن الشيء وتولّيه بصفحة
وجهك وتبقى له اثراً ما والعفو ان تعفو فلا تبقى
له اثراً وقيل العفو ان لا تؤاخذ والصّفح الاعراض
وعدم التثريب والاعتراض فهو من حيث شموله
ولعلّه لذلك اثره ع والعفو ابلغ
لعدم تذكّر الجناية كان ابلغ من وجه آخر وهو المحو
بالكلّيّة من عفى الرّسم اذا ذهب اثره ومنه
رسم عفى من بعد ما قد امّحى   فذكا من طول البلاء انمصح
وكلمة ما عبارة من الذنوب والمعاصي وكان تامّة و

لفظة من تعليلية اى عن الذنوب التى وقعت وصدرت
منى لاجل زللى وخطائى ويحتمل ان يكون مبهمة مفيدة
للعموم مفسرة بمدخول من فلفظة من بيانية والزلل
الخطاء والذنب فالعطف للتفسير واصله من زلت
القدم اذا زلقت ولم تثبت ففيه استعارة مصرحة
او تشبيه المعقول بالمحسوس وقال الزمخشرى هو نوع
من انتقال الجسم من مكان الى مكان يق زل عن مكانه
زلا من باب ضرب تحى والاسم الزلة بالكسر والزلة
بالفتح المرة ثم استعير للزوال عن الحق والصواب
والخطاء مهموزا بفتحتين ضد العمد وهو ان تفعل
شيئا من غير ان تقصد فعله ومنه دفع عن امتى
الخطاء والنسيان وما استكرهوا عليه وقيل انه العدول
يحسن ارادته فيفعله وهو الماتى براو يريد ما
عن الصواب بان يريد غير ما يحسن فعله ولكن يقع له
خلاف ما يريد او يريد ما لا يحسن فعله ويتفق منه خلافه

فهو مخطئ ارادة مصيب فعلا فهو مذموم بقصده
غير محمود بفعله وقد يطلق على المعصية وان كان فاعلها
متعمدا من حيث انها ضد الصواب والخطاء الذنب
والاثم يقال خطأ فى دينه خطاء اذا اثم فيه

وَاَقِلْنِى اللّٰهُمَّ مِنْ صَرْعَةِ رِدَائِى

الصرعة بضم الصاد وفتح الراء الذى يصرع الناس
ولا يصرعونه وبفتح الصاد وسكون الراء مصدر صرعه
اذا رماه والقاه على الارض ومنه المصروع وهو المختبل
الفاسد العقل لمرض يعرض له فى العقل والفكر
فيورثه اضطرابا كالجنون فيلقيه على الارض والعامة
يزعمون ان الشيطان يخبطه فيصرع وبعضهم يظنون
ان الجن يمسه فيختلط عقله والرداء بالمد معروف
وهو الثوب او البرد الذى يضعه الانسان على عاتقه
وبين كتفيه وفوق ثيابه شبه به الخطيئة والذنوب

والآثام والعيوب مبالغة في كثرتها واحاطتها وثقلها
وغلبتها من قبيل قوله تع بلى من كسبت سيئة واحاطت
به خطيئته او اشعاراً بلزومها وعدم انفكاكها
من باب حديث صاحب الدعاء جعلت له الفداء
من اراد البقاء ولا بقاء فليخفف الرداء فالانعاق
تحقيقية تصريحية او يكون من الردى بالقصر الهلاك
كما يوجد في بعض النسخ واراد به هنا الوقوع في الاثم
فانه يوجب الهلاك الابدي والشقاء السرمدي
والاضافة من اضافة الصفة الى الموصوف او لامية اي
اقلني ذنوبي واثامي الصادرة والاول اوفق بالفقرة
الماضية والثاني بالتالية **انك سيدي ومولاي**
تعليل للدعاء ومزيد استدعاء للاجابة فان العبد
اذا جنى خطاء فديته على سيده ومولاه فكيف اذا كانت
الجناية بالاضافة الى المولى وتاكيد الجملة لغرض كمال قوة

يقينية

يقينية فانك تحذف حرف الجر وهو قياس مطرد واوتي
لما كان مضمون الخبر مظنة التردد والانكار حسن فيه
التاكيد والقول بان المخاطب به هو الله تع وهو لا يتردد
في سيادته ومولويته كيف وهو سيد السادات و
مولى الموالي يجاب بان امثال هذه الخطابات من
قبيل اسمعي يا جارة واكثر ما يخاطب الله به العباد
مما فيه التاكيد من هذا القبيل وقد ذكر الزمخشري و
عبد القاهر ان له فوائد اخرى غير دفع الشك ورد
الانكار منها الاهتمام بمضمون الكلام وتقريره
واظهار كمال العناية به كما في انا فتحنا وانا اعطيناك
وكم مثلها والمولى اسم يقع على جماعة كثيرة الرب و
المالك والسيد والمنعم والمعتق والناصر والمحب
والتابع والجار وابن العم والحليف والعقيد والصهر
والعبد والمنعم عليه والاولى بالتصرف ومنه

من كنت مولاه فعلي مولاه اي من كنت اولى منه بنفسه
فيضاف كل واحد الى ما يقتضيه المقام وسياق معنى السيد
ومعتمدي لاني لا اعتمد الا بك ولا اثق الا بصفحك
واقالتك ولا التفت الى شيء من الوسائط بيني وبينك
فاوردت رجائي عليك مسترفدا فضلك متلبسا بالاعتماد
على وفائك بما وعدتنا الراجين لك من انجاح مطالبهم
واسعاف مآربهم قالوا من عرف الله بجوده وكرمه و
غناه قصده ورجاه وعلامة رجائه رغبته في عبادته
وجده لطاعته والاعتماد على فضله وخيره وعدم الالتفات
الى غيره واليه اشار بقوله ورجائي لاني لا ارجو
الا فضلك والرجاء قيل ظن يقتضي حصول ما فيه
مسرة وقيل تعلق النفس بحصول محبوب في المستقبل
وهو على اقسام رجاء المغفرة مع عدم التوبة عن السيئات
ورجاء لقبول الحسنات ورجاء للتفضل والمصدر بمعنى

المفعول

المفعول اي مرجوي ففيه مبالغة كما في قوله انما هي
اقبال وادبار وقوله هواي مع الركب اليمانين مصعد
فالمجاز لغوي ويمكن ابقاء المصدر بحاله على ما هو
حقيقته بجعل التجوز في الاسناد وفيه وفق بما عليه ائمة
المعاني حيث رجحوا التجوز العقلي في انما هي اقبال وادبار
على المجاز اللغوي قالوا لم نرد بالاقبال والادبار غير
معناهما الحقيقي حتى يكون مجازا في الكلمة وانما المجاز
في ان جعلها لكثرة ما تقبل وتدبر كانها تجسمت من
الاقبال والادبار فهو سبحانه لما كان حقيقا بان
يكون رجاء كل راج في كل ما يرجو محسنا كان ام مسيئا
فكانما صار رجاء بحتا فالتجوز في الاسناد ينبغي ان
يكون الرجاء معادلا للخوف كما ورد ان ليس من عبد
مؤمن الا وفي قلبه نوران نور خيفة ونور رجاء لو وزن
هذا لم يزد على هذا ولو وزن هذا لم يزد على هذا قال

بعض الاصحاب وذلك لان المؤمن لا يخلو من تصوّر
اسباب الخوف والرجاء وتجويز وقوع كل واحد منهما
بدلاً من الآخر بحيث لا يرجح احدهما على الآخر اذ لو رجح
الرجاء لزم الامن في غير موضعه فامنوا مكر الله فلا
يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون ولو رجح الخوف
لزم اليأس الموجب للهلاك انه لا ييأس من روح الله
الا القوم الكافرون ومنه ظهر ان الخوف غير القنوط
وانه والرجاء ينبغي ان يكونا متساويين مطلقا و
اما الرجاء الصرف البحت فمذموم قيل لسيدنا الصادق
ان قوما من مواليك يلمّون بالمعاصي ويقولون نرجوا
فقال كذبوا ليسوا لنا بموال اولئك قوم ترجحت بهم
الاماني من رجا شيئا عمل له ومن خاف شيئا هرب منه
وقال بعض العارفين الرجاء والخوف كجناحي الطائر
اذا استويا استوى الطائر وتم طيرانه واذا نقص احدهما

كان

كان جاذباً له فسقط على راسه واذا ذهب هلك الطائر
وقال ابو عثمان المغربي من حمل نفسه على الرجاء تعطل ومن
حمل نفسه على الخوف قنط ولكن ينبغي ان يخاف العبد راجيا
ويرجو خائفا وغاية مُناى وذلك ان لكل
احد مطلوبا في حوائجهم حتى ينتهي اليك فليس فوقك
مطلوب او يطلبون منك الحوائج بعد يأسهم عن
المخلوقين وطلبهم منهم والحاصل ان الغاية تطلق
على المدى والنهاية وعلى امتداد المسافة وعلى الغرض
والمقصود من الشيء وعلى الراية والعلامة وهذه
العبارة تحتمل وجوها الاول ان تكون الغاية بمعنى
الغرض والمقصود اي هو جل وعز مقصود من جعله
مقصودا وذريعة من جعله ذريعة اي كل من لم يطلب
وعجز عن تحصيله بسعيه يتوسل اليه تع الثاني
ان يكون المراد بها النهاية اي الرب تع غاية آمال

الخلق يدعونه عند الشدائد باسمائه العظام الثالث
ان يكون المقصود انه تعالى غاية افكار من جعله غاية
وتفكر فيه ولكن ذاته غير ما هو غاية افكارهم مصنوع
عقولهم اذ غاية ما يصل اليه افكارهم ويحصل في اذهانهم
موصوف بالصفات الزائدة الامكانية وكل موصوف كذلك فهو مصنوع
في منقلبي ومثواي في وقت رجوعي عن الدنيا الى الآخرة
بعد الموت وقراري في قبري او الجنة بعد الحساب
او بعد النجاة عن العذاب والمنقلب الانقلاب من السفر
والعود الى الوطن ومنه دعاء السفر اعوذ بك من كآبة
المنقلب وهو بفتح اللام مصدر ميمي بمعنى الانقلاب
وهو الرجوع مطلقا اي مرجعي يعني انه يعود كل روح بعد
مفارقة البدن الى وطنه الاصلي ومقامه الحقيقي
وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون والمثوى المقام
والمسكن والمنزل من ثوى بالمكان يثوي اذا اقام فيه

والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام
والنار مثوى لهم والله يعلم منقلبكم ومثواكم والجار
بمجروره اما متعلق بكل من الفقرات الثلاث او مقصور
على الاخيرة منها اي انت غاية مناي في انقلابي
من سفري هذا واقامتي في جوارك وديارك ولما
طلب منه عز اسمه الصفح عن ذنوبه والاقالة من صرعة
عيوبه ورام الاقامة في جواره ودياره وكان الوهم يزاحم
العقل في ذلك زعما منه انه يطرده ويرده ويخيبه عما

قصده استبعد منه ذلك فقال

الهي كيف تطرد مسكينا التجا اليك من الذنوب هاربا
الاصل في كيف ان يسئل به عن الحال اي عن كيفية الشيء
وصفته التي هو عليها وهي هنا للاستفهام الا بمعنى
الانكار الواقع كما في قوله تعالى كيف تكفرون بالله و
كنتم امواتا الآية بل بمعنى انكار الوقوع والتعجب منه

كما في قوله تعالى كيف يكون للمشركين عهد عند الله
وعند رسوله الآية وفي توجيه الانكار الى كيفية
طرده تعالى المسكين الملتجي اليه من المبالغة ما ليس في
توجيهه الى نفس طرده بان يقول اطرد مسكينا التجا اليك
لان كل موجود يجب ان يكون وجوده على حال من الاحوال
فاذا انتفى جميع احوال وجوده فقد انتفى وجوده على
الطريق البرهاني وهي اعني كيف في محل النصب على
التشبيه بالحال او الظرف اى على اى حال او في اية
حال وصفة نطرد مسكينا والطرد الدفع والابعاد
طردت الرجل طردا اذا ابعدته فهو مطرود وطريد
وطردته اي دفعته والمسكين من المسكنة وهي الذلة
والافتقار وهو مفعيل من السكون ويطلق على
من لا كسب له ولا مال يفي بمؤنته وهل هو اسوء
حالا ام الفقير خلاف والحق انه اسوء حالا لما ورد

في الصحيح عن ابي عبد الله ع انه قال الفقير الذي لا يسئل
الناس والمسكين اجهد منه والبائس اجهدهم والمراد
به هنا من لا حسنة له ولا قدرة له على كسب حسنة بل
هو مغمور في بحار الذنوب مستور في حجب العيوب
فهو اسوء حالا من الفقير ولذا اثره عليه في الكلام
استعارة تحقيقية تصريحية او استعارة تمثيلية
وجملة التجا اليك منصوبة محلا صفة له والالتجاء الاستناد
والاعتضاد يقال لجأت الى فلان والتجأت وتلجأت
اذا استندت اليه واعتضدت به اي التجا الى رحمتك
ومغفرتك وعفوك وصفحك بحذف المضاف و
هاربا حال من ضمير الفاعل ومن الذنوب متعلق به
والهرب الفرار وهما مترادفان وفرار العبد الى الله تع
على مراتب فاولها الفرار من بعض اثاره الى بعض
كالفرار من اثر غضبه الى اثر رحمته كما قال تع حكاية

عن المؤمنين في التضرع اليه ربنا لا تحملنا ما لا طاقة
لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا الآية فكانهم
لم يروا الا الله تع وافعاله ففروا من بعضها الى بعض
الثانية ان يفنى العبد عن مشاهدة الافعال ويترقى
في درجات القرب والمعرفة الى مصادر الافعال و
هي الصفات فيفر من بعضها الى بعض كما ورد عن
زين العابدين اللهم اجعلني اسوة من قد انهضته
بتجاوزك عن مصارع المجرمين فاصبح طليق عفوك من
اسر سخطك والسخط والعفو صفتان فاستعاذ
باحديهما من الاخرى الثالثة ان يترقى من مقام
الصفات الى ملاحظة الذات فيفر منها اليها كقوله تع
لا ملجا من الله الا اليه وكما ورد في الدعاء في القيام
الى الصلوة منك وبك ولك واليك اي منك بدو
الوجود وبك قيامه ولك ملكه واليك رجوعه ثم

اكد ذلك بقوله لا ملجا ولا منجا ولا مفر منك الا اليك
وقد جمع الرسول هذه المراتب حين امر بالقرب
في قوله تع واسجد واقترب فقال في سجوده اعوذ
بعفوك من عقابك واعوذ برضاك من سخطك و
اعوذ بك منك فاستعاذ اولا ببعض افعاله من
بعض ثم ترقى الى مصادرها فاستعاذ ببعض صفاته
من بعض ثم ترقى الى ملاحظة الذات فاستعاذ به
منه فهذه ثلث مراتب للفرار الى الله تع والمرتبة
الثالثة هي اول مقام الوصول الى ساحل العزة
ثم للسباحة في لجة الوصول درجات لا تتناهى
كذا عن بعض العارفين ولا يخفى ان ما نحن فيه
من القسم الاول اذ المراد انه فر من عقاب الذنوب
وهو اثر الغضب الى كنف حمايتك وهو اثر الرحمة
فتامل وعلى هذا التقدير فكلمة من ابتدائية والمضاف

محذوف اي هرب من عذابها او خوفها اليك وهذا
التقدير متحتم اذ لا معنى للهرب من ذات الذنوب
فان قلت هلا حملت من على معنى التعليل ليكون
المعنى هرب اليك من اجل الذنوب قلت يعين
كونها ابتدائية مقابلتها بالى قال الرضي رح و
تعرف من الابتدائية بان تحسن في مقابلتها الى
نحو تبرأت من فلان الى فلان على انه قال من التعليلية
نحو لم اتك من سوء ادبك كانها ابتدائية لان ترك
الاتيان حصل من سوء الادب انتهى وتشبيه الذنوب
بالعدو الغالب لجامع الاهلاك والاضرار استعارة
مكنية والهرب منه الى الله تع ترشيح ثم انه عليه السلام
التفت بعدما استبعد من التكلم الى الغيبة حيث
لم يقل كيف تطردني تفننا في الكلام واستعطافا
بالمسكنة والذلة واشعارا بان المسكين الملتجي لا ينبغي

طرده فهو على طريقة قوله الهي عبدك العاصي اتاكا
مقرا بالذنوب وقد دعاكا فان تغفر فانت لذاك اهل
وان تطرد فمن يرحم سواكا فان في ذكر المسكنة وكذا الاسترشاد
والالتجاء من استحقاق الرحمة وترقب الشفقة ما ليس في
تطردني وتخيبني وتردني وهو ظاهر

أَمْ كَيْفَ تُخَيِّبُ مُسْتَرْشِدًا قَصَدَ إِلَى جَنَابِكَ سَاعِيًا

خاب يخيب خيبة حرم وخيبه الله لم ينل ما طلب وفي المثل
الهيبة خيبة وبق خيبة لزيد بالرفع والنصب دعاء عليه
ومنه الحديث خيبة لك ويا خيبة الدهر والرشد بالضم
والسكون وبفتحتين والرشاد الهدى والاستقامة
وقال الواحدي الرشد اصابة الخير وهو خلاف الغي
ومنه ارشاد الضال اي هدايته الطريق وتعريفه
وقال الراغب الرشد عناية الهية تعين الانسان عند
توجهه في اموره فتقويه على ما فيه صلاحه فتفتره عما

فيه فساده واكثر ما يكون ذلك في الباطل نحو قوله تع
ولقد اتينا ابرهيم رشده من قبل وكنا به عالمين
فالمسترشد من يطلب الرشد والهداية ساعيا وجاهدا
فهدايته على الله تع واجب لقوله والذين جاهدوا فينا
لنهدينهم سبلنا وقصدت الشيء وله واليه من باب ضرب
طلبته بعينه وقصدت قصده نحوت نحوه والجملة
في محل النصب على الوصفية والسعي العدو والمبالغة
في الذهاب والمشي والكد فيه والجد والتصرف في
كل عمل ويعدى بالمعنى الاول بالى وبالمعنى الثاني
باللام وفي محكم اللغة السعي الكسب وكل عمل من خير او
شر سعي قال الفيومي في المصباح اصل السعي التصرف
في كل عمل وعليه قوله تع وان ليس للانسان الا ما سعى
وساعيا منصوب على الحالية او التميزية فتشبيه الطالب المحتاج
جل عز ذلك بالملك الكريم المنجح النعيم استعارة بالكناية

واثبات الجناب وهو الفناء والرحل والناحية له تخييل
او ترشيح والمراد انه نزه سره عما يشغله عنك وتبتل
بشراشره اليك لترشده مراشد الحق واليقين وتنظمه
في سلك الاولياء المتقين ام كيف ترد ظمانا وردا الى حياضك شاربا
الرد المنع يقال رده عنه ردا وهو كناية عن الحرمان ومنع
المعروف ومنه رد السائل اذا حرمه ولم يعطه شيئا والظماء
شدة العطش ومنه قول القاضي عبد العزيز الجرجاني
يقولون لي فيك انقباض وانما ... راوا رجلا عن موقف الذل احجما
اذا قيل هذا مورد قلت قد ارى ... ولكن نفس الحر تحمل الظما
والظمآن كالعطشان وزنا ومعنى ويقابله الريان و
فيه استعارة تحقيقية تصريحية حيث شبه العاصي المحتاج
الى الرحمة والمغفرة بالظمآن ثم ذكر المشبه به واريد به
المشبه وتقول وردت الماء اردة ورودا اذا حضرته لتشرب
وبقي وردد زيد علينا اي حضر واصل الورود بلوغ الماء

الماء وموافاتها اياه ثم استعمل في غيره مجازا قال في الاساس
وردعليه امر لم يطقه واوردت على ما غمني وهذا يدل انه
مستعمل بعلى فلعله ضمنه معنى التوجه فعداه بالى او الحوض
معروف وما يجمع فيه المياه وحياضك بحذف المضاف
اى حياض رحمتك وعفوك ومغفرتك ففيه استعارة
بالكناية وتخييل والورود ترشيح وشاربا منصوب على الغاية
اى ليشرب او الحالية اى قاصدا للشرب كما قالوا نظيره
في قوله تعالى فتبسم ضاحكا من ملائمات المشبه به
تذنيب كلمة ام متصلة لطلب التصور وتعيين احد الامرين
مع العلم بثبوت اصل الحكم وعلامتها ان تكون معادلة
لهمزة الاستفهام وقرينة لها كما في قولك ءدبس في
الاناء ام عسل ويجوز ان تليها الجملة والمفرد ومنقطعة
لطلب التصديق ولا تليها الا الجملة وهي كبل في الاضراب
عن الاول ومثل الهمزة للشك في الثاني والواقع قبلها

يجتمع فيه

اما خبر كقولك انّ القطيعة التي اراها لابل ام شاة فانك
لما علمت انها ليست بابل اعرضت عن هذا الاخبار ثم
شككت في انها شاة او شيء اخر فاستفهمت عنها بقولك
ام شاة اى بل هي شاة واما استفهام كقولك ازيد عندك
ام عمرو اى بل عمرو حين تقصد الاضراب عن الاستفهام
الاول بالاستفهام الثاني ثم لما ظهر له انه غرّ اسمه يجيب
المسترشدين القاصدين الى جنابه اضرب عنه ثانيا فاستفهم
ثالثا ثم لما علم انه جل جلاله لا يرد الشاربين الواردين الى حياضه
انكر ذلك ايضا بقوله

كلا وحياضك مترعة في ضنك المحول

حاشاك وسبحانك وانزهك ان اصفك بهذه الصفات
او انسبك الى تلك السمات فانها صفات واجب تنزيهك
عنها وكلا ردع في الكلام وتنبيه وزجر ومعناه انتبه
لا تقل انه تعالى متصف بها منسوب اليها فهو رد على من

وهم اتصافه تعالى كما سبق اليه الايماء الا انه لما اضرب
عن الاولين خص الانكار بالثالث ولذا قال وحياض فضلك
مترعة مملوّة ومنه قوله   ابا قبة معن كيف واديت جوده
وقد كان منه البر والبحر مترعا   واترعت الحوض ملأته والضنك
الضيق ومصدر يستوي في الوصف به المذكر والمؤنث
ومنه قوله تعالى ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا
والاضافة من باب جرد قطيفة واخلاق ثياب والمحول
كالفحول جمع محل وهو الجدب وفي الاصل انقطاع المطر
ارض محل وزمن محل وماحل والحاصل انه كيف اصفك
بهذه الصفات وحياض جودك وكرمك مملوّة من مياه
العفو والاحسان والرحمة والغفران في سنوات مجدبة
مقطوعة المطر مبيسة العشب ففي الكلام استعارة تمثيلية
او استعارة مكنية وتخييلية وترشيحية حيث شبه الجود
والفضل والكرم والمغفرة والنعم بحذف المضاف بالمياه

ثم

ثم اثبت لها الحوض والاتراع بشارة هذا الكلام منه
اشارة الى ان خزائن رحمة ربه جل وعز لا تنفد وبحار
مغفرته وفضله لا تنزف فاستوسع ايها المذنب الغافل
والمدبر اللاهي رحمة ربك تعالى ولا تقنط من رحمته ومغفرته
ان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم انه يغفر الذنوب
جميعا انه هو الغفور الرحيم وورد في الخبر عن سيد البشر عليه الصلاة والسلام
عدد قطرات المطر انه قال ليغفرن الله تعالى يوم القيمة
مغفرة ما خطرت قط على قلب احد حتى ان ابليس ليتطاول
لها رجاء ان تصيبه بيان تقول تطاولت لها تساورت
وحرصت عليها حتى ابتدات واظهرت وجهي وتصديت
لذلك ليتذكرني وفي الكافي عنه عليه السلام لولا انكم تذنبون
وتستغفرون الله لخلق الله خلقا حتى يذنبوا ثم يستغفروا الله
فيغفر لهم ولكن لا بد لمن يرجوها من عمل خالص معد
لحصولها بترك الانهماك في المعاصي المزيل لهذا الاستعداد

او لا تنظر الى حال الانبياء والاوصياء والاولياء واجتهادهم
فى الطاعات وصرفهم العمر فى العبادات ليلهم ونهارهم
اما كانوا يرجون الله عفوه ورحمته واحسانه ومغفرته
بل انهم كانوا اعلم بسعة رحمته وارجى لها ولكنهم علموا ان
رجاء المغفرة من دون سابقة العمل غرور محض وسفه بحت
فصرفوا فى العبادات اعمارهم وقصروا على الطاعات ليلهم و
نهارهم فاياك ان يغرك الشيطان ويثبطك عن العمل
ويقنعك بمحض الرجاء ومجرد الامل وقد عرفت ما قيل
لسيدنا الصادق عم وما قال ع فى جوابه فتذكر واعلم انه قد
جاء فى الخبر عن الرضا ع ان الله تع ينزل ملكا الى سماء الدنيا
كل ليلة فى الثلث الاخير وليلة الجمعة فى اول الليل
فيامره فينادى هل من سائل فاعطيه سؤله وهل من
تائب فاتوب اليه هل من مستغفر فاغفر له يا طالب الخير
اقبل ويا طالب الشر اقصر فلا يزال ينادى بها حتى

يطلع الفجر فاذا طلع عاد الى محله من ملكوت السماء حدثنى
بذلك ابى عن جدى عن ابائه عن رسول الله صلعم والى ذلك اشار ع بقوله

وبابك مفتوح للطلب والوغول

الباب مدخل الشئ واصله مداخل الابنية كباب المدينة
والدار ثم تجوز فيه فاستعمل فيما يتوصل به الى الشئ ومنه
انا مدينة العلم وعلى بابها يعنى به يتوصل اليه وابواب
المغفرة هى الاسباب التى بها يتوصل اليها اى باب رحمتك
وفضلك واحسانك وجودك وامتنانك بحذف المضاف
ففيه مكنية وتخييل وترشيح او شبه المخاطب جل طوله
وعم نوله بالمنعم الجواد المحسن الكريم فاثبت له بابا مفتوحا
لطلب الطالبين ودخول الراغبين ليستفيضوا من كرمه
وينتفعوا من نعمه جلت نعماؤه وعظمت الاؤه او يقال
بابه تع عبارة عما يتوصل به الى تحصيل نعمه من الاسباب
اذ كان الباب فى الاصل كما سبق مدخل الدار الذى يتوصل

منه اليها ثم استعير لكل ما يتوصل به الى شئ وذكر
الفتح تخييل او ترشيح وتشبيه ان يكون هذا جوابا عما يقال
من اين علمت انه لا يطرد المساكين ولا يخيب المسترشدين
ولا يرد الظمآن فقال لان بابه مفتوح للداخلين وجوده
مباح للطالبين هر كه خواهد گو بيا وهر چه گويد گو بگو
كبر وناز وحاجب ودربان درين درگاه نيست قال محمود الوراق
شاد الملوك قصورهم وتحصنوا من كل طالب حاجة او راغب
فارغب الى ملك الملوك ولا تكن يا ذا الضراعة طالبا من طالب
حكى ان رجلا قال لرابعة العدوية اني قد عصيت الله
افترينه يقبلني ان انا تبت قالت ويحك انه يدعو المدبرين
عنه فكيف لا يقبل المقبلين عليه والوغول الدخول في الشئ ومنه
حديث المقداد فلما ان وغلت في بطني اي دخلت
وقد وغل يغل وغولا **وانت غاية السؤل ونهاية المأمول**
ان كان جمع سائل كالقعود والجلوس والفسوق جمع قاعد

وجالس وفاسق فالمراد انه تعالى غاية سؤال السائلين
بحذف المضاف ونهاية آمال الآملين على ان يكون
المفعول بمعنى المصدر كالمفتون في قوله تعالى بأيكم المفتون
وان كان مصدرا كالفلول والغموض والحدوث فهو
بمعنى المفعول كالخلق والعكس ويوجد في بعض النسخ
المسؤل على هيئة المفعول وهو الاظهر لتوافق القرينتين
والمراد كما سلف ان لكل احد في حوائجهم مطلوبا حتى
ينتهي اليه تعالى فليس فوقه مطلوب فهو الغاية والنهاية
وهذا وان كان خبرا لفظا الا انه انشاء معنى اي ينبغي
لكل احد ان يجعل الله تعالى غاية مطالبه ونهاية مآربه
بان ينوي مثلا باكله وشربه ولبسه وجماعه الى غير ذلك
تقوية جسمه على عبادة الله من حيث انه مستحق للعبادة
ولو قال في اول نهاره اللهم ما عملت في يومي هذا
من خير وهو لا بتغاء وجهك وما تركت فيه من شر

فتركه لنهيك عنه ثوابا وان ذهل عن النية في بعض الافعال
او التروك وكذا يقول في اول ليلة وتجزي نية اعمال
متصلة في اولها ولا يحتاج الى تجديد لافرادها وان
كان كل واحد منها مباينا لصاحبه كالتعقيب الواقع
بعد النية وبالجملة كلما كان لله سبحانه من الافعال
والتروك حتى المباحات لو قصد فيها الله تع وجعل توصلا
الى عبادته فهو تع غايته ولما كان الله عز اسمه علة
في كل شيء جواهره واعراضه التي هي من فعله او من فعل
العباد من حيث الخلق والاقدار والتمكين والامر والنهي
كان كل شيء صالحا لان يكون الله تع غايته فالاعتبار
اذن بالقصد والملاحظة وبهذا التقرير يظهر ان الالف
واللام في المسئول والمامول للاستغراق الافرادي ويحتمل
ان يكون المراد كما سبق انهم يطلبون منه تع حوائجهم
بعد يأسهم عن المخلوقين قال ذريعة بن محمد كان رجل

بالمدينة وكانت له جارية نفيسة فوقعت في قلب
رجل واعجب بها فشكى ذلك الى ابي عبد الله فقال
تعرّض لرؤيتها فكلما رأيتها فقل اسئل الله من فضله
ففعل فما لبث الا يسيرا حتى عرض لوليها سفر فجاء الى
الرجل وقال يا فلان انت جاري واوثق الناس عندي
وقد عرض لي سفر وانا اودعك فلانة جاريتي لتكون
عندك فقال الرجل ليس لي امرأة ولا معي في منزلي امرأة
فكيف تكون جاريتك عندي فقال اقومها عليك
بالثمن وتضمنه لي وتكون عندك فاذا انا قدمت
فبعنيها اشتريتها وان نلت منها نلت ما تحل لك ففعل
وغلظ عليه في الثمن فخرج الرجل فمكثت عنده ومعه
ما شاء الله حتى قضى وطره منها هذا ولما شبه ع
النفس في جموحها بالناقة واثبت لها الازمة وهي امر
محسوس جعلها مشارا اليها بالاشارة الحسية فقال

الهي هذه ازمة نفسي عقلتها بعقال مشيتك

هذه مبتدا وازمة نفسي خبره وعقلتها جملة مستانفة
كان المخاطب عرّاسه قال باي شيء عقلتها حتى تسكن وتنقاد
لك في امر دينك ودنياك قال عقلتها بعقال مشيتك
او هذه مبتدا وازمة نفسي بدل منه وعقلتها بعقال
مشيتك خبره والعقل الشد والحبس والمنع عقل البعير
يعقل عقلا شد وظيفه الى ذراعه ومنه العقل لانه
يعقل العاقل ويمنعه عن ارتكابه الامور التي لا ينبغي ارتكابها
والعقال الحبل الذي يعقل به البعير ومنه قوله
ربما تكره النفوس من الامر له فرجة كحل العقال
واضافته الى المشية اضافة اللجين الى الماء او بيانية او
لامية بتشبيه المشية بشخص له عقال يعقل الجموح
ثم تشبيه النفس بالبعير الجامح استعارة بالكناية والازمة
والعقل والعقال كلها من ملائمات المشبه به وقد تبق

ان

ان في العدول عن الزمام الى الازمة ايماء لطيف الى
انها لا يكفي لها زمام واحد بل لا بد في انقيادها و
اطاعتها من ازمة متعددة هي تسليط القوة العقلية
على القوى النفسانية المتضادة واهوائها المتنازعة
المتداعية الى الشرور والغرور وجعلها منقادة تحت
قلم العقل وذلك انما يحصل بدوام الذكر والفكر وقصر
النظر في عواقب الامور والتبتل عن دار الغرور والتوصل
الى عالم النور كما هو من شان صاحب الدعاء ومن في
مرتبته سلام الله عليهم وعقل زمامها بعقال مشية الله
كناية عن تفويض امرها اليه والتوكل في اصلاحها عليه
والتبتل عن غيره والذهاب بشراشره اليه وفيه دلالة
على انها امارة بالسوء ميالة الى الشر لولا ان يتداركها
رحمة من الله والطافه الخاصة فتوهم الجبر مدفوع
ولمشية الله تع معنيان احدهما متعلق بالشيء وهو

صفات الذات قديمة هي نفس ذاته سبحانه وهي كون ذاته
بحيث يختار ما هو الخير والصلاح وهي نفس علمه الحق
بالمصالح والخيرات وثانيهما متعلق بالمشاء ومن
صفات الفعل حادث بحدوث المخلوقات ولا تتخلف
المخلوقات عنه وهو ايجاده سبحانه اياها بحسب اختياره
وليست زائدة على ذاته تع وعلى المخلوقات بل هي نسبة
بينهما تحدث بحدوث المنتسبين

وَهٰذِهِ اَعْبَاءُ ذُنُوبِي دَرَأْتُهَا بِرَحْمَتِكَ وَعَفْوِكَ وَرَأْفَتِكَ

اى ما اشير اليه اشارة عقلية او حسية فهو امر مبهم
يفسره الاعباء فصحة الحمل وافادته باعتبار ابهام الموضوع
وتعين المحمول كما في هذا زيد والحاصل انه لما شبه
الذنوب بماله مقدار وحجم يحتاج الى فراغ يشغله
اخترع له الاعباء وهي امر محسوس مشاهد فجعلها
مشارا اليها بالاشارة الحسية على قياس ما سبق والعباء

ضرب من الاكسية الواحدة عباءة وعباية وقد
يقع على الواحد لانه جنس فالاعباء اما جمع او جمع جمع
والمراد به هنا صحائف الاعمال ففيها استعارة تحقيقية
تصريحية او هذه اشارة الى الصحائف وهي المشبه والاعباء
بحذف اداة التشبيه هي المشبه به والاضافة لامية اى صحائف
اعمالى كاعباء الذنوب فيكون من تشبيه المعقول بالمحسوس
كتشبيه الحجة بالشمس وتشبيه الذنوب وهي الاعراض الغير
المتحيزة بالذات بالاجسام المتحيزة بالذات الملائمة للمكان
ثم اثبات الاعباء لها وهي الاعباء مكنية وتخييل والقول
بتجسم الاعمال على تقدير ثبوته انما هو في النشأة الاخرة
ولعله عليه السلام يشير بذلك الى قوله تع وكل شيء فعلوه في
الزبر وكل صغير وكبير مستطر وقد ورد في الخبر ان لكل انسان
معه ملكان بين كتفيه فلمهما لسانهما ودواتهما فمهما
ومدادهما ريقهما وصحيفتهما فؤادهما فيكتبان عمله الى موته

ودراتها برحمتك مستانفة كان المخاطب جل قدره
قال فما تفعل وهذه الذنوب الكثيرة وان عذابي
لشديد قال دراتها برحمتك السابقة غضبك والباء
اما سببية او آلية او استعطافية والدرء الدفع ومنه
ادرؤا الحدود بالشبهات والحديث الاخر اللهم انى
ادرا بك في نحورهم ويمكن ان يكون هذه اشارة الى
الذميمة والاخلاق الردية الحالة او الملكة في النفس فان كلما
يدركه الانسان بحواسه يرتفع منه اثر الى روحه ويجتمع
في صحيفة ذاته وخزانة مدركاته وكذلك كل مثقال ذرة
من خير او شر يعمله يرى اثره مكتوبا ثمة وخاصة ما رسخت
بسببه الهيئات وتاكدت به الصفات وصار خلقا وملكة
فان ذلك مما يوجب خلود الثواب والعقاب فكل انسان
نفسه صحيفة اعماله وهو كتاب مكتوم عن مشاهدة الابصار
وانما يكشف بالموت ورفع ما توردها الشواغل الحسية

المعبر

المعبر عنها بقوله واذا الصحف نشرت فاذا كان حين ذلك
وهو يوم تبلى السرائر صار الغيب شهادة والسر علانية
والخبر عيانا فيقال لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك
غطاءك فبصرك اليوم حديد هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق
انا نستنسخ ما كنتم تعملون فمن كان في غفلة من حساب
سره فاذا وقع بصره على ذلك والتفت الى صحيفة باطنه
وصحيفة قلبه يقول مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة
ولا كبيرة الا احصاها قال الله تعالى وكل انسان الزمناه
طائره في عنقه ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقيه منشورا
اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا

وهذه اهوائي المضلة وكلتها الى جناب لطفك وكرمك

كالتفسير لما سبق ولما شبه هواه بالشخص المضل فكانه
جعله امرا محسوسا فاشار اليه بما يشار اليه ووكلت
فلانا الى فلان من باب وعد الجانه اليه وفوضت امره اليه

فجعلته متوكلاً ومعتمداً عليه ومنه لا تكلني الى نفسي
طرفة عين وكلها جملة مستأنفة او خبر على قياس ما سبق
من اختها والجناب الفناء والرحل والناحية اى صرفت
امرها الى ناحية لطفك لتلطف بي وتعينني عليها وتحفظني
عن اختلالها ففي الكلام استعارة تمثيلية او مكنية
وتخييلية حيث شبه الهوى بالشخص المضل ثم اثبت له
الاضلال وكذا الحال في تشبيه اللطف بالفضاء الواسع
او بالشخص القادر على اصلاح الفاسد وترويج الكاسد
بارشاد الضال وصرفه عن الضلال ثم اثبات الناحية
والجناب له ترشيح الاستعارات المذكورة ولطفه تعالى
علمه بدقائق المصالح وغوامضها وما دق منها و
لطف ثم ايصالها الى المستصلح بالرفق دون العنف و
قيل هو تصرفه في الذوات تصرفاً خفياً بفعل الاسباب
المعدة لافاضة كمالاتها وقيل هو اجراء القضاء على

وفق

وفق الارادة وايصال نفع فيه ويمكن ان يراد به هنا
المعنى العرفي المشهور وهو ما يقرب به العبد الى الطاعة ويبعد
عن المعصية واللطف في اللغة البر والتكرمة وفلان
لطيف بالناس بارّهم ببرّهم ويلطفهم وفي بعض الاخبار
في جواب زنديق اللطيف منا على حد اتخاذ الصنعة
او ما رايت الرجل يتخذ شيئاً يلطف في اتخاذه فيقال
ما الطف فلاناً فكيف لا يقال للخالق الجليل لطيف اذ خلق
خلقاً لطيفاً جليلاً وركب في الحيوان منها ارواحها و
خلق كل جنس متبايناً من جنسه في الصورة لا يشبه
بعضه بعضاً فكل له لطف من الخالق اللطيف الخبير
في تركيب صورته ثم نظرنا الى الاشجار وحملها اطايبها
المأكولة وغير المأكولة فقلنا عند ذلك ان خالقنا
لطيف لا كلطف خلقه في صنعتهم الحديث ولما
فوض امره اليه تعالى واقر بكثرة الذنوب والمعاصي والهوى

اخذ في التضرّع والاستغاثة والدعاء فقال

فاجعل اللهمّ صباحي هذا نازلاً عليّ بضياء الهدى

لفظة هذا اشارة الى الصباح الحاضر فهي امّا بدل منه
او تأكيد كما في قولك اخي هذا امير البلد والباء للملابسة
وهي بمدخولها متعلقة بنازلاً منصوبة محلاً على الحالية
من ضمير نازلاً والمراد بملابسته للهدى وقوعه فيه
بان يكون ظرفاً للحسنات والطاعات دون المعاصي
والسيّئات واضافة الضياء الى الهدى اضافة اللجين
الى الماء فشبّه الهدى بالنور في الدلالة على المطلوب
والتقدير وهدى كالنور ثمّ قدّم المشبّه به واضيف اليه كما في
والريح تعبث بالغصون وقد جرى ذهب الاصيل على لجين الماء
وهذا تشبيه متداول بينهم حتّى انّهم شبّهوا السنّة
وكلّما هو علم وهداية بالنور تخيّلاً منهم انّهما ممّا له
بياض واشراق والبدعة وكلّما هو جهل وضلالة

بالظلمة

بالظلمة ظنّاً منهم انّهما ممّا له سواد وظلام والنزول هنا
مجاز اذ الصعود والنزول مستلزمان للحركة وهي من خواص
الاجسام والصباح كما علم سابقاً ليس منها ففي الكلام
استعارة مكنيّة وتخييليّة ولعلّه صلوات الله عليه
عبّر عن استضاءة الاجسام المقابلة لضياء النيّر الاكبر
في اوّل النهار الذي هو عبارة عن الصباح بنزول
الضوء منها اليها او هو مبنيّ على كون الضوء جسماً متحركاً
من المضيء الى المستضيء كما ذهب اليه قوم من الاوائل والاواخر
وان كانوا على بطلانه الّا انّ ادلّتهم كلزوم كونه ساتراً
وكون ما هو اشدّ ضوءاً اشدّ ستاراً لا تقوم عليه حجّة
فانّ بعض الاجسام الشفّافة غلظته وكثرته موجبة لزيادة
ظهور ما خلفه والقول بانّ غلظة صفحة من البلّور
جدّاً موجبة لما تحتها ستراً لا يدلّ على انّ كلّ شفّاف كذلك
فانّ كرتي الهواء والنار وافلاك ما تحت الثوابت مقدارها

على ما بيّن في الابعاد والاجرام يزيد على خمسة عشر
الف الف فرسخ ولا يورث ما خلفه سترا ثمّ على تقدير
جسميّة الضوء يجوز ان لا يصل تخته الى حدّ يستر ما خلفه
لا بدّ لنفيه من دليل والسلامة في الدين بفعل المامورات
وترك المنهيّات والدنيا بجلب المنافع و
دفع المضارّ ومنه ترك الدنيا بل ترك الآخرة فانّ الدنيا
حرام على اهل الآخرة والآخرة حرام على اهل الدنيا
وهما حرامان على اهل الله تع قال صاحب الدعاء و
سيّد الاوصياء وسند الاصفياء عليهم سلام الله ما بقيت
الارض والسماء ولقد كان في رسول الله صلعم ما يدلّك
على مساوي الدنيا وعيوبها اذ جاع فيها مع خاصّته
وزويت عنه زخارفها مع عظيم زلفته فلينظر ناظر بعقله
اكرم الله محمّدا بذلك ام اهان فان قال اهانه كذب والله العظيم
وان قال اكرمه فليعلم انّ الله تع قد اهان غيره حيث

بسط الدنيا له وزواها عن اقرب الناس منه فتاسّى
متاسٍّ بنبيّه واقتصّ اثره وولج مولجه والّا فلا يامن الهلكة
فانّ الله جعل محمّدا علما للساعة ومبشّرا بالجنّة ونذيرا
بالعقوبة وخرج من الدنيا خميصا وورد الآخرة سليما لم يضع
حجرا على حجر حتّى مضى لسبيله واجاب داعي ربّه فما
اعظم منّة الله علينا حين انعم علينا به سلفا نتّبعه وقائدا
نطأ عقبه والله لقد رقعت مدرعتي هذه حتّى استحييت من
راقعها ولقد قال لي قائل الا تنبذها عنك فقلت
اغرب عنّي فعند الصباح يحمد القوم السرى ومن طريق
العامّة والخاصّة انّه صلعم قال عرض عليّ ربّي ان يجعل لي
بطحاء مكّة ذهبا فقلت لا يا ربّ ولكن اشبع يوما
واجوع يوما فاذا جعت تضرّعت اليك وذكرتك واذا
شبعت شكرتك وحمدتك وعن صاحب الدعاء عليه
الفداء النفس تبكي على الدنيا وقد علمت انّ السلامة فيها

ترك ما فيها وقال بابى وامى ص لما بلغه كلام حكيم من الحكماء
كل من تلقاه يشكو دهره   ليت شعرى هذه الدنيا لمن
انما الدنيا لمن طلقها   واكتفى فيها بقوت وكفن
فان بذلك يسلم دينه ودنياه فلا منافات بين ما طلبه
هنا وما روى عنه سلام الله عليه ان الدنيا والاخرة
عدوان متفاوتان وسبيلان مختلفان فمن احب الدنيا
وتولاه ابغض الاخرة وعاداه وهما بمنزلة المشرق والمغرب
وماش بينهما كلما قرب من واحد بعد عن الاخر وهما
بعد ضرتان ان ارضيت احديهما اسخطت الاخرى
وبيان ذلك ان الطالب لاحديهما بقدر توجهه فى
طلبها وامعانه فى تحصيلها يكون غفلته عن الاخرى
وبعده وانقطاعه عنها وليعلم ان الناس فى امر الدين
والدنيا على ثلثة اصناف صنف منهم يكون فى الدنيا
بلا التفات منهم الى مراعات الدين وهم عبدة الطاغوت

وشر الدواب وصنف يراعون امر الدين من غير التفات
منهم الى مصالح الدنيا وصنف متوسط وفوا الجانبين
حقهما وهم عند الحكماء هم الافضلون لان بهم قوام
امر الدين والدنيا وقال بعض المحققين من اصحابنا ان
ترك الدنيا بالكلية ليس هو مطلوب الشارع من الزهد
فيها والتخلى عنها لان الشارع يراعى نظام العالم باشتراك
الخلق فى عمارة الدنيا وتعاونهم على المصالح ليتم بقاء
النوع الانسانى وترك الدنيا واهمالها بالكلية يهدم
ذلك النظام وينافيه بل الذى يامر به الشارع الحكيم
القصد فى الدنيا واستعمال متاعها على القوانين
التى وردت به الرسل والوقوف فيها عند الحدود
المضروبة فى شرائعهم دون تعديها وقد كان رسول
الله وعلى عليهما السلام وجماعة من اكابر الصحابة
اميل الى طريق التقشف لكن مع مشاركتهم لاهل الدنيا

في تدبير احوال المدن واصلاح العالم غير منقطعين عن
اهلها ولا معتزلين عن هذا وهذا عطف على الضياء
وسلم يسلم من باب تعب سلامة خلص من الآفات النفسانية
والآراء الفاسدة والعقائد الباطلة مثل الكفر والكبر
والحسد والنفاق في الدنيا ومن العقوبة في الآخرة
والسلامة لغة الخلوص من الآفات واصطلاحا هيئة
تكون بدن الانسان في مزاجه وتركيبه بحيث تصدر
عنه الافعال كلها صحيحة سليمة فهي بهذا المعنى مرادفة
للصحة فيكون اسنادها الى الصباح مجازا والمراد ان
يكون صاحبه فيه سالما في دينه ودنياه فالالف واللام فيه
عوضا عن الضمير وتقديم الدين على الدنيا اما
للاهتمام او لرعاية الفاصلة والدين في اللغة الطاعة
وفي العرف الشرعي هو الشريعة الصادرة بواسطة
الرسل عليهم السلام ولما كان اتباع الشريعة طاعة

مخصوصة

مخصوصة كان ذلك تخصيصا من الشارع للعام باحد
مسمياته ولكثرة استعماله صار حقيقة دون سائر المسميات
لانه المتبادر الى الفهم حين اطلاق لفظ الدين وقال
الراغب الاصفهاني الملة كالدين وهما اسمان لما
شرع الله لعباده على لسان الانبياء ليتوصلوا بها الى
جوار الله والفرق بينهما ان الملة لا تضاف الا الى النبي
الذي تستند اليه نحو اتبعوا ملة ابرهيم حنيفا ولا تكاد
توجد مضافة الى الله ولا الى آحاد امة النبي ولا تستعمل
الا في جملة الشرائع دون آحادها فلا يقال الصلوة
ملة الله كما يقال دين الله انتهى وفي عدم اضافتها الى الله
نظر قد بيناه وجهه في رسالتنا المسماة بجامع الشتات
فليطلب من هناك وقيل الملة والدين يتحدان بالذات
ويختلفان بالاعتبار فان الشريعة من حيث يجتمع عليها
تسمى ملة ومن حيث انها نطاع بها تسمى دينا والدنيا

اسم لهذه الحيوة الفانية فهو فعلى من الدنو سميت بها
لدنوها وبعد الآخرة عنها ومنه السماء الدنيا لقربها
من ساكني الارض ولما اختص كونها صفة بحال التعريف
اذ لا يقال دار دنيا مع عدم اختصاص الصفة بحالة واحدة
بل تكون تارة نكرة واخرى معرفة كان كونها صفة كلا صفة
ولذا حكم عليها بالاسمية قال ابن جني الدنيا وان كانت
صفة الا انها خرجت الى مذهب الاسماء

ومأتي جنة من كيد العدى

عطف على صباحي وترك الاشارة هنا للاشارة
الى عدم قابليته للاشارة لعدم حضوره بعد فان
اسم الاشارة ان يشار به الى محسوس مشاهد والمعدوم
يستحيل احساسه ومشاهدته فيمتنع الاشارة الحسية اليه
ومأتي مفعول اول للجعل وجنة ثان له وهي بالضم
الستر والوقاية ومنه الصوم جنة من النار والجمع الجنن

بضم الجيم وفتح النون ومنه سميت الترس جنة لانه يواري
حامله ويستره ويقيه عما يؤذيه من الضربات والطرقات
وهذا هو المراد به هنا ففي الكلام تشبيه بليغ اي اجعله
كجنة واقية تدفع بها عني ما ينزل من كيد العدى الداخلة
والخارجة او الاعم والاوسط لتكون الفقرة التالية
تاسيسا لانه خير من التاكيد ولا يخفى لطافة تشبيه المأتي
بالجنة لجامع الستر والتواري بينهما ومن كيد العدى
متعلق بالجنة والاضافة لامية والكيد المكر والخدعة
والاحتيال والاجتهاد وبه سميت الحرب كيدا وقيل
هو ارادة متضمنة لاستتار ما يراد عمن يراد به لكن
اكثر ما يستعمل ذلك في الشر وبالجملة هو السعي في افساد
الحال على جهة الاحتيال وقال بعض العلماء الكيد
ارادة مضرة الغير خفية وهو من الخلق الحيلة السيئة
ومن الله تعـ التدبير بالحق بمجازاة اعمال الخلق والمكر

جانب العبد ايصال المكروه الى الانسان من حيث لا يشعر
ومن جانب الحق هو ارداف النعم مع المخالفة وابقاء الحال
مع سوء الادب واظهار الكرامات من غير جهد و
قيل الكيد مبداه السعي في الحيلة والخديعة ونهايته
القاء الانسان من حيث لا يشعر في امر مكروه لا سبيل
الى دفعه والعدى بالكسر الغرباء والاجانب والاعداء
واما بالضم فهو الاعداء خاصة وهو الاوفق بالمقام
لقوله الهوى والدنيا والشيطان والنفس الامارة
بالسوء وهذه الاربعة مجموعة في دعائهم عليهم السلام
ثم واغوثاه
فيا غوثاه بك يا الله من هوى قد غلبني ومن عدو
قد استكلب علي ومن دنيا قد تزينت لي ومن نفس امارة
بالسوء الا ما رحم ربي فانظر الى هذا الدعاء كيف خرج
عند ذكر هؤلاء مخرج الاستغاثة ولا يكون الاستغاثة
الا ممن يخاف على نفسه من اشد الاعداء القهر والابتلاء

ومن استسلم في قبض عدوه هلك لا محالة فعليك بالدعاء
والتضرع واحياء الليلة لعلك تنجو من تلك المهالك
قال بعض اصحابنا العدو ضربان باطن لا تدرك ذاته
بالحاسة وهو اثنان احدهما الشيطان وهو اصل
كل عدو يعادي معاداة جوهرية وقد حذرنا الله
سبحانه منه غاية التحذير فقال ان الشيطان لكم عدو
فاتخذوه عدوا الى غير ذلك من الايات الثاني النفس الامارة
المشار اليها بقوله تعالى ان النفس لامارة بالسوء الا ما
رحم ربي وظاهر يدرك بالحاسة اعني الانسان و
هو ضربان ضرب هو مضطغن للعداوة قاصد الى
الاضرار اما مجاهرة واما مساترة وذلك اثنان
واحد يعادي كل احد وهو كل احد سبعي الطبع
خبيث الطينة مبغض لكل ما لا يحتاج اليه في العاجل
بغيض الى كل نفس يهارش كل من يخافه وهو الذي

عنى الله بقوله شياطين الانس و الثاني خاص العداوة
وذلك اما بسبب الفضيلة والرذيلة كمعاداة الجاهل
للعاقل واما بسبب تجاذب نفع دنيوي كالتجاذب
في رياسة ومال وجاه واما بسبب محبة او مجاورة ومودة
للجسد كمعاداة بني الاعمام بعضهم لبعض وذلك في
كثير من الناس كالطبيعي قال رجل لشبيب بن شبة انا
والله احبك يا ابا معمر قال اشهد على ذلك صدقك قال وكيف قال لانك
لست بجار قريب ولا بذي رحم نسيب ولا مشاكل في
صناعة واكثر العداوة بين الناس تتولد من شيء من
ذلك وضرب عدو غير مضطغن للعداوة لكن يودي
بالانسان الى ان يقع بسببه في مثل ما يقع من كيد
عدوه فسمي عدوا لذلك كالاولاد والازواج و
على ذلك قال تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا
لكم فاحذروهم وقال صلعم ليس عدوك الذي ان قتلته

اجرك الله في قتله وان قتلك ادخلت الجنة ولكن اعدى
عدوك نفسك التي بين جنبيك وامراتك التي تضاجعك
واولادك الذين من صلبك هذا والمراد بالمسا ما يقابل
الصباح وهو الشفق الذي يظهر في افق المغرب بعد الغروب
وهما متشابهان شكلا ومتقابلان وضعا لان الصبح يبتدئ
اولا بضيا ضعيف طولاني ثم ينبسط ذلك الضيا على الافق
ثم يميل الى الحمرة الى ان يطلع الشمس والشفق بالعكس
لان بعد الغروب يظهر في الافق حمرة منبسطة ثم بياض
عريض ثم بياض دقيق طولاني الى ان ينتفي بالكلية

وَوِقَايَةً مِنْ مُرْدِيَاتِ الهَوَى

اشارة الى طلب الستر والصيانة عن الاعداء الداخلة
كما ان سابقتها ايماء الى طلب الوقاية والاعانة عن
الاعداء الخارجة وهو عطف على جنة والظرف متعلق
بالوقاية وهي الستر والصيانة وحفظ الشيء مما يؤذيه

ويضره بق وقيت الشئ اقيه وقيا ووقاية اذا صنته وحفظته
من الاذى قال الله تعالى فوقيهم الله شر ذلك اليوم واضافة
المرديات الى الهوى اضافة الجرد الى القطيفة اى من
اهوائي المردية المهلكة الموقعة في قعر بئر الخطيئة المرسية
في لجة السيئة فيكون من قبيل قوله وهذه اهوائي
المضلة او يكون من باب خاتم فضة اى مرديات التي
هي من جنس الهوى وقد سبق شرح الردي والهوى
والمراد بالوقاية مما يترتب على الهوى من السيئات
وتبعاتها وهي الوقاية التي يسئلها حملة العرش و
من حوله للمؤمنين بقولهم وقهم السيئات ومن تق
السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم
ولما كان من شرائط اجابة الدعاء ومن ادابه اعتقاد الداعي
قدرة الله على فعل مطلوبه كما ورد في الخبر عن سيد البشر
بقول الله عز وجل من سئلني وهو يعلم اني اضر وانفع استجيب له قال ع

انك

انك قادر على ما تشاء

اي طلبت منك ما طلبت لانك قادر على ما تشاء ان
تعطيه لمن تشاء والقادر من يصح منه الفعل والترك
او الذي ان شاء فعل وان لم يشا لم يفعل والقدرة
التمكن من ايجاد الشئ وقيل صفة تقتضي التمكن وقيل
قدرة الانسان هيئة بها يتمكن من الفعل وقدرة الله
عبارة من نفي العجز عنه واشتقاق القدرة من القدر
لان القادر يوقع الفعل على مقدار قدرته على ما تقتضيه
مشيته وفيه دلالة على عموم قدرته تعالى وكونها شاملة لعامة
الممكنات وهو كذلك لان علة المقدورية وهي الامكان عامة
فالقدرة عامة ففيه رد على الثنوية والديصانية وساير الفرق
المباينة لنا في هذا الاصل الذي هو من اعظم اصول الاسلامية و
لذا اتى بالجملة الاسمية المصدرة بحرف التاكيد واما افعال
العباد فهي وان كانت مقدورة له تعالى الا ان مشيته الحتمية لا تتعلق بها

لمنافاته الحكمة والتكليف

تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ

كالدليل على قدرته تعـ ولذا ترك العطف والمعنى انك تعطى
ما تشاء منهما من تشاء وتسترد كذلك قال صاحب الكشاف
فيه وفى الحديث القدسى انا الله الملك ملك الملوك قلوب الملوك
المؤمنين ونواصيهم بيدى فان العباد اطاعونى جعلتهم
عليهم رحمة وان العباد عصونى جعلتهم عليهم عقوبة
فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الى اعطفهم عليكم
وهو معنى قوله صـ كما تكونون يولى عليكم وقيل المراد بالملك النبوة
ونزعها نقلها من قوم الى قوم

وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ

فى الدنيا والاخرة او الاعم بالنصر والادبار والتوفيق
والخذلان بق اعزه الله اى جعله عزيزا منيعا لا يغلب و
لا يقهر واعزه ايضا اكرمه واحبه وفى الحديث الصحيح عنه

من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر خفضه الله وروى
ثقة الاسلام فى الصحيح عن ابى عبد الله ع انه قال ان فى السماء
ملكين موكلين بالعباد فمن تواضع لله رفعاه ومن تكبر
وضعاه وعن النبى صـ ان التواضع يزيد صاحبه رفعة
فتواضعوا يرفعكم الله وعن عمرو بن شيبة قال كنت
بمكة بين الصفا والمروة فرايت رجلا راكبا بغلة وبين
يديه غلمان فاذا هم يعنفون بالناس ثم عدت بعد حين فدخلت
بغداد فكنت على الجسر فاذا انا برجل حاسر طويل الشعر
فجعلت انظر اليه واتامله فقال لى ما لك تنظر الى فقلت
ما فعل الله بك فقال انى رفعت فى مواضع يتواضع فيه
الناس فوضعنى الله حيث يترفع الناس واعزازه تعـ من
يشاء عبارة عن جعله اياه معظما موقرا بحيث يميل
القلوب الى تعظيمه وتوقيره ومحبته واجتناب اذلاله و
اهانته والاستخفاف به ظاهرا وباطنا والذل بالضم

شبهتك برجل رايته بمكة ووصفت له الصفة فقال انا ذلك الرجل فقلت

ضدّ العزّ ويعبّر عنه بالمهانة والضعة والحقارة وذلّله
تذليلاً صيّره ذليلاً كاذلّه اذلالاً قال الجوهري اذلّه وذلّله كل بمعنى

بيدك الخير انّك على كلّ شيء قدير

ذكر الخير وحده لانّه المقتضى بالذات والشرّ مقتضى بالعرض
فانّ الشرور الذاتيّة وهي الاعدام بما هي اعدام لا يستدعي
مبدءاً موجوداً مؤثّراً بل علّتها عدم الوجود وامّا الشرور
العرضيّة فهي وان استدعت علّة موجودة الّا انّ هذا
الاستدعاء انّما هو من حيث كونها شروراً بخصوصها
من المبدأ الذي هو واجب الوجود بالعرض والشيء بحسب
مفهومه اللغوي يقع على كلّ ما يصحّ ان يعلم ويخبر عنه
كائناً ما كان على انّه في الاصل مصدر شاء اطلق على
المفعول واكتفى في ذلك باعتبار تعلّق المشيّة به من
حيث العلم والاخبار به فقط فيتناول الممكن والواجب
والممتنع وقد يختصّ بالممكن موجوداً كان ومعدوماً

كما هنا يقتضيه اختصاص تعلّق القدرة به اذ المراد
بها التمكّن من الايجاد والاعدام الخاصّين به وذهب
القاضي وجمع من الاشاعرة الى انّ الشيء يختصّ بالموجود
وانّ المعدوم لا شيء ولا ذات ولا ماهيّة وهو ايضاً
مذهب الحكماء قالوا الشيء اسم لما هو حقيقة الشيئيّة
ولا يقع على المعدوم والمحال ولا علم بالمحال اصلاً اذ لا
شيئيّة له ولا هو ممّا يتمثّل في ذهن او يتصوّر في وهم
وانّما المعلوم المتصوّر المتمثّل في الذهن عنوان المفهوم
من لفظه وهو ممكن ما من الممكنات ليس بازائه حقيقة
من الحقائق وشيء من الاشياء ابداً والى الاوّل ذهب
المعتزلة وجماعة من الاشاعرة وقال الزمخشري والبيضاوي
الشيء اعمّ العامّ كما انّ الله اخصّ الخاصّ يجري على الجوهر
والعرض والقديم والحادث بل على المعدوم والمحال
وهذا العامّ مخصوص بدليل العقل فمن الاشياء ما لا يتعلّق

القدرة به كالمستحيل والواجب وجوده لذاته وقال
القطب العلامة كل من قال بان الوجود عين المهية مثل
الاشعري واتباعه قال بان المعدوم ليس بشيء لانتفاء
المهية عند العدم ومن قال بان الوجود غيرها فهم
قد اختلفوا في ذلك والنزاع انما هو في المعدوم الممكن
لا في المعدوم الممتنع فانه ليس بشيء عند الفريقين انتهى
وهذا لا يرد على ما صرح به الزمخشري والنيسابوري
لان كلامهما بحسب مفهومه لغة وما ذكره من النزاع
انما هو في الشيئية بمعنى التحقق منفكا عن صفة الوجود
لا في اطلاق الشيء على مفهومه فانه بحث لغوي لا ينبغي
ان يقع بين المحققين لان مرجعه الى النقل والسماع هذا
ومعنى كونه تعالى على كل شيء قدير ان قدرته تعالى لا تعجز عما يمكن
تعلق القدرة به من كل مهية امكانية او شيئية تصورية
واما الممتنعات فلا مهية لها ولا شيئية حتى يصح كونها

مقدورة له تعالى وليس في نفي مقدوريتها نقض على عموم القدرة كما سبق

تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل

هذه كسابقتها في البيان والدليل والولوج الدخول
في مضيق وايلاجهما ادخال احدهما في الاخر بالزيادة
والنقصان كما في الصيف والشتاء او المراد ايلاج كل في
اخر حال ايلاجه فيه في وقت واحد بحسب اختلاف الافاق
لانه في كل وقت ادخل الليل في النهار مثلا في بقعة
من البقاع فقد ادخل النهار في الليل في مقابلها
كالشمالية عن خط الاستواء والجنوبية عنه فان
صيف احدهما بعينه شتاء الاخر قال الشيخ الجليل امين الاسلام
الطبرسي في مجمع البيان قيل في معناه قولان احدهما
انه ينقص من الليل فيجعل ذلك النقصان زيادة في النهار
وينقص من النهار فيجعل ذلك زيادة في الليل على قدر
طول النهار وقصره والاخر يدخل احدهما في الاخر

باثباته بدلاً في مكانه وقال البيضاوي ايلاج الليل في
النهار ادخال احدهما في الآخر بالتعقيب والزيادة و
النقصان وقال بعض اصحابنا انظر ايها العارف
المتعمق في اسرار حكمة الله تعالى وجوده انه لو لم يخلق هذه
الاجرام النيرات على الوضع الذي يقع به التفاوت
بين الليل والنهار بان تلج مدة من هذا في ذاك ومدة
اخرى بالعكس ويقدر التعاقب بينهما على نظام محكم و
نسق مضبوط لما صلحت احوال الخلائق والبلاد وادّت
امزجة الحيوان والنبات الذي به قوامه الى الفساد الم تر
كيف خلق الله تعالى اوضاع النيرات العلوية ومناطق
حركاتها ومدارات سيرها على نحو تنتظم به احوال
الكائنات وتنتفع به السفليات فلو ثبتت انوارها
او تحركت ولكن لزمت دائرة واحدة لاثرت بافراط
فيما يقابلها وتفريط فيما وراء ذلك ولو لم تكن لها

حركة لفعلت ما يفعله السكون واللزوم ولو لم تكن
تارة سريعة وتارة بطيئة ولم تجعل الحركات البطيئة
وسموتها مائلة عن سمت الحركة السريعة لما مالت تلك
الانوار الى النواحي شمالاً وجنوباً فلم تنتشر آثارها ومنافع
ضوئها على بقاع الارض ولولا حركة الشمس على هذا
المنوال من مخالفة سمت حركتها الذاتية لسمت حركتها
لما حصلت الفصول الاربعة التي يوجبها تفاوت ازمنة
الليالي والايام ولولا حصولها لما تم النظام ولا صلحت امزجة
العباد وفسدت الحرث والنسل في البلاد وقد علمت ان
نشاة الآخرة من الدنيا وان الدنيا فطرة الآخرة وفي
فساد الفطرة قبل العبود بطلان العبود والحرمان عن
الوصول الى دار السرور فاذن قد تبين عند اولي الالباب
غاية الحكمة في اختلاف الليل والنهار وتوالجهما
في هذا الوجه المودي للنتايج والآثار تذنيب

كلما نقص من الليل زاد في النهار وبالعكس واطول
ما يكون من النهار سابع عشر حزيران عند حلول
الشمس اخر الجوزاء فيكون النهار حينئذ خمس عشرة
ساعة والليل تسع ساعات وهو اقصر ما يكون
من الليل ثم ياخذ النهار في النقصان والليل في الزيادة
الى ثامن عشر ايلول وهو عند حلول الشمس اخر السنبلة
فيستوي الليل والنهار ويسمى الاعتدال الخريفي فيصير
كل منهما اثنتي عشرة ساعة ثم ينقص النهار ويزيد الليل
الى سابع عشر من كانون الاول عند حلول الشمس اخر
القوس فيصير الليل خمس عشرة ساعة والنهار تسع ساعات
فيكون الليل في غاية الطول والنهار في غاية النقصان
ثم ياخذ الليل في النقصان والنهار في الزيادة الى
سادس عشر اذار عند حلول الشمس اخر الحوت فيستوي
الليل والنهار ويصير كل منهما اثنتي عشرة ساعة

ويسمى الاعتدال الربيعي ثم يستانف الدور ويرجع الى
الاول كما قال الله تعـ والشمس تجري لمستقر لها ذلك
تقدير العزيز العليم ثم كلما ازداد البلد عرضا عن خط الاستوا
ازداد نهاره في الصيف طولا وفي الشتا قصرا وبالعكس
في الليل وقد يرتقي طول النهار بحسب تزايد ارتفاع
القطب الى حيث يصير اليوم بليلته كله نهارا او بازائه
الليل ثم الى اكثر من ذلك الى حيث يصير نصف السنة
نهارا ونصفها الاخر ليلا فيكون السنة كلها يوما و
ليلة وذلك اذا صار قطب الفلك الاعظم محاذيا لسمت
الراس ولا عمارة هناك ولا فيما يقرب منه اذ لا يتم به
النضج لشدة البرد اللازم من انحطاط الشمس ولا يصلح
المسكن للحيوان ولا يتهيا فيه شيء من اسباب المعيشة
واما البلاد التي هي تحت خط الاستوا فالليل والنهار
فيها في جميع السنة متساويان كل منهما اثنتي عشرة

ساعة متساوية فلا يتصور فيها ايلاج احدهما فى
الآخر الا بالتعقيب لا بالزيادة والنقصان

وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى

اخراج الحى من الميت وبالعكس انشاء الحيوانات من
موادها واماتتها وانشاء الحيوان من النطفة و النطفة
منه واخراج المؤمن من الكافر وبالعكس عقب ذلك
ببيان قدرته على معاقبة الليل والنهار والموت والحيوة
وسعة فضله دلالة على من قدر على ذلك قدر على
معاقبة الذل والعز وايتاء الملك ونزعه وفيه وفيما
سبقه عكس وتبديل وهو ان تقدم فى الكلام جزء ثم
تعكس فتقدم ما اخرت وتؤخر ما قدمت وهو على
وجوه منها ان يقع بين متعلقى فعلين فى جملتين كما
وقع بين الحى والميت حيث قدم الاول واخر الثانى ثم
عكس وهما متعلقان بفعلين فى جملتين ومثله ما سبقه

وترزق من تشاء بغير حساب

بغير طلب وكسب او بغير ان يعرف سبيل رزقه ويجعله
محسوبا فى عداد وجه معاشه او بغير تقديره وتقتيره او
بما لا يأتى عليه الحساب فيوسع فى الدنيا على من توجب
الحكمة التوسعة عليه اما استدراجا او ابتلاء او المراد
انه يعطى ولا يحاسب نفسه بما اعطاه او يعطى العبد و
لا يحاسبه عليه وذلك اما لاختلاف استعداد الاشخاص
او العلم بانه اصلح بشانهم كما يشير اليه وان من عبادى
من لا يصلحه الا الفقر ولو اغنيته لافسده وفى كلام
بعض الفقهاء طالب العلم المتقى لا يحتاج الى الكسب الرزق
فانه يأتيه من عند الله من غير كسب من حيث لا يحتسب و
فى التخصيص نظر يفهم من عموم ومن يتق الله يجعل له
مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وفى الكشاف عن
الاصمعى قال اقبلت من جامع البصرة فطلع اعرابى

على قعود فقال من الرجل قلت من اصمع قال من اين
اقبلت قلت من موضع يتلى فيه كلام الرحمن قال
اتل علي فتلوت والذاريات فلما بلغت قوله تع
وفي السماء رزقكم قال حسبك فقام الى ناقته فنحرها
ووزعها على من اقبل وادبر وعمد الى سيفه وقوسه
فكسرهما وولى فلما حججت مع الرشيد طفقت اطوف
فاذا انا بمن يهتف بي بصوت دقيق فالتفت فاذا انا
بالاعرابي نحل واصفر فسلم علي واستقرا السورة فلما
بلغت الاية صاح وقال قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا
ثم قال وهل غير ذلك فقرات فورب السماء والارض
انه لحق فصاح فقال سبحان الله من ذا الذي اغضب
الجليل حتى حلف لم يصدقوه بقوله حتى الجاوه الى اليمين
قالها ثلثا وخرجت معها نفسها والارزاق نوعان
ظاهرة للابدان كالاقوات وباطنة للقلوب كالمعارف

والعلوم والرزق بالكسر اسم للمرزوق وفي ص
انه ما ينتفع به واما الخلاف في ان الحرام رزق كما
هو مذهب الاشاعرة ام لا كما هو مذهب المعتزلة
فليس هنا موضع ذكره وتعزيز دليله فليطلب من مواضعه

لا اله الا انت

في كتاب التوحيد باسناده المتصل الى ابن عباس رض
عن النبي صلعم انه قال ما من الكلام كلمة احب الى الله
عز وجل من قول لا اله الا الله وما من عبد يقول
لا اله الا الله يمد بها صوته فيفرغ الا تناثرت ذنوبه
تحت قدميه كما يتناثر ورق الشجر تحتها اول وانما
صارت هذه الكلمة احب الكلمات الى الله عز وجل
لانها اعلى كلمة واشرف لفظة نطق بها في التوحيد
دالة على وجوده تع مفهوما وعلى وحدته منطوقا
وعلى استجماعه جميع صفات الكمال وتنزهه عن جميع

النقايص وليس في الاذكار ما يدل على ذلك دونها
لانها اما تمجيد او تنزيه بخلاف هذه الكلمة فانها
جامعة بينهما منطبقة على جميع مراتب التوحيد توحيد
الذات والصفات والافعال او نقول لما كان الشرك
وهو ان يمنع صاحبه ان يتصرف فيما اشتركا فيه على ما
يريد وهذا ينافي السلطنة والملك ابغض الاشياء اليه تع
ولذا لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء
لان احب الاشياء اليه تع نقيضه وهو التوحيد
المدلول عليه بلا اله الا الله فكانت احب الكلمات
اليه تع وبما قررناه ظهر وجه ما في خبر اخر نبوي
ما قلت ولا قال القائلون قبلي مثل لا اله الا الله
وفي اخر عنه ع قال الله عز وجل لموسى يا موسى لو ان
السموات وعامرهن والارضين السبع في كفة و
لا اله الا الله في كفة مالت بهن لا اله الا الله

وفي اخر عنه الايمان بضع وسبعون شعبة افضلها قول
لا اله الا الله وفي اخر علوي ما من عبد يقول لا اله الا الله
الا صعدت تخرق كل سقف لا تمر بشيء من سيئاته الا
طلبتها حتى تنتهي الى مثلها من الحسنات فتقف و
في اخرى باقري ما من شيء اعظم ثوابا من شهادة ان
لا اله الا الله وفي اخر صادقي قول لا اله الا الله ثمن
الجنة ونظائرها في الاخبار كثيرة وبالجملة احسن افراد
الذكر قول لا اله الا الله لانها راسها فينبغي الاكثار
من قولها وقد وردت في فضلها وشرفها واسرارها
وخواصها من طريق الخاصة والعامة ما لا يكاد
يحصى ولذا اختاره اهل السلوك لتربية السالكين و
تهذيب المريدين وقد جمعت بين نفي الوهية ما سوى
الله واثبات الوهيته وهي متعلقة بالجنان واللسان
ومتفاوتة فيه فمنها ما يكون باللسان وحده من غير

حضور القلب وهي اضعف المراتب ومنها ما يكون
به مع استقرار واستيلاء بحيث تغفل عما عدا المذكور
وهي المرتبة العليا والدرجة القصوى واليه الاشارة
بقوله ولذكر الله اكبر ثم لا يذهب عليك ان قوله
بمد بها صوته يدل على صحة مذهب من قال بان تطويل
المدة في لا اله الا الله مندوب اليه مستحسن لان
المكلف في زمان التمديد يستحضر في قلبه وذهنه
جميع ما سوى الله من الاضداد والانداد وينفيها
ثم يعقب ذلك بقوله الا الله فيكون ذلك اقرب
الى الكمال والاخلاص ومن الناس من يقول
باولوية ترك التمديد مستدلا بانه ربما مات في زمان
التلفظ بلا قبل الانتقال الى الا وهذا القول
مع كونه مخالفا لقواعد التجويد ومناقضا لصريح
الرواية مدفوع بان من مات في زمن التلفظ بلا قبل

الوصول الى الا لا شك انه مات مؤمنا لانه عقد
بهذه الكلمة قلبه ثم اراد ان يخبر عما في ضميره
ليكون ذلك دليلا عليه فلم يجد مهلة فلم يلزم منه
كفره وخاصة اذا كان المتلفظ بها مؤمنا وانما
يلزم كفره او عدم انتقاله منه الى الايمان ان لو وجد
من الفرصة ما امكنه ان يقول الا الله ثم لم يقل ومات
واما ما فصله الفخر الرازي واستحسنه الصدر الشيرازي
واثنى عليه في رسالته المعمولة لتفسير اية الكرسي
من ان التلفظ بهذه الكلمة ان كان يتلفظ بها
لينتقل من الكفر الى الايمان فترك التمديد اولى
حتى يحصل الانتقال من الكفر الى الايمان باسرع
الوجوه وان كان مؤمنا وانما يذكرها للتجديد
فالتمديد اولى لتحصل في زمانه صورة الاضداد
في الخاطر وينفيها ثم يعقبها بقوله الا الله فيكون

الاقرار بالالهية اصفى واكمل فهو مع كونه غير دافع لما
سبق من اولوية ترك التمديد فما ذكره من اولوية
معارض به وانما يدفعه ما ذكرنا كما سلف فان
الانتقال من الكفر الى الايمان على مذهبه قد حصل
بمجرد التصديق القلبي كما هو مذهب الاشاعرة
وهو منهم وانما جعل اللسان على الجنان دليلا فهو على مذهبه
كاشف عن ايمانه السابق على زمن التلفظ بهذه
الكلمة لا مصحح له ولا متمم نعم ما ذكره يصح على مذهب
من قال ان التصديق بالقلب مع الاقرار بالشهادتين
كما هو المنقول عن ابي حنيفة والهمام صاحب التحرير وجماعة
فالتمديد مطلوب كما هو ظاهر الرواية حيث رتب
ثنا اثر الذنوب على قول لا اله الا الله لا مطلقا بل
مقيدا بمد الصوت بها ليشعر بعليته للحكم مستحسن اليه
مندوب بل الظاهر عندي ان الغرض من التمديد

ومعه الصحيح بل ان الايمان هو التصديق

مجرد تجويدا للفظ وتحسينه على ما يقتضيه قواعد التجويدية
لا الاستحضار المذكور فان المتلفظ بالكلمة
ان كان عالما بوضع الفاظها يستحضر الاضداد و
ينفيها ويثبت الاله الحق بمجرد الالتفات الى معانيها
مد صوته في لا ام لا وان لم يكن عالما او كان ولم
يكن ملتفتا فلم يتيسر له الاستحضار بمد ام لم يمد
فان المد لا توجب الاستحضار كما لا يخفى على ذوي
البصائر واعلم ان ترتب الثواب على قول لا اله الا
الله مشروط بشروط لا يتحقق بدونها منها
ان يكون قلبه مواطئا للسانه كما ورد في خبر اخرجه ابو
ان لا اله الا الله كلمة عظيمة كريمة على الله عز وجل
من قالها مخلصا استوجب الجنة ومن قالها كاذبا
عصمت ماله ودمه وكان مصيره الى النار
فمن امن بالله واليوم الاخر وبما جاء به الرسل ثم قال

لا اله الا الله ترتّب عليه ثوابه فالمطلق مقيّد والعام مخصّص
وهذا ممّا انعقد عليه اجماع الامّة ودلّ عليه الكتاب
والسنّة قال الله تع ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها
وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا وفي
صحيح البخاري عن وهب بن منبّه قيل له أليس لا اله الا الله
مفتاح الجنّة قال بلى ولكن ليس مفتاح الا و
له اسنان فان جئت بمفتاح له اسنان فتح لك والا لم يفتح
ومنها الولاية لاهل الولاية كما يدلّ عليه قول الرضا ع
بعد ان روى عن جدّه عن جبرئيل عن الله جلّ جلاله
لا اله الا الله حصني فمن دخل حصني امن من عذابي
بشرطها وشروطها وانا من شروطها قال ابو سعيد
الخدري كان رسول الله ص ذات يوم جالسا وعنده
نفر من اصحابه فيهم علي بن ابي طالب ع اذ قال من قال
لا اله الا الله دخل الجنّة فقال رجلان من اصحابه

فنحن نقول لا اله الا الله فقال رسول الله ص انّما تقبل
شهادة لا اله الا الله من هذا وشيعته الذين اخذ
ربّنا ميثاقهم وفي الكافي عن ابان بن تغلب عن
الصادق ع قال يا ابان اذا قدمت الكوفة فارو هذا
الحديث من شهد ان لا اله الا الله مخلصا وجبت
له الجنّة قال قلت انّه يأتيني من كلّ صنف من الاصناف
افاروي لهم هذا الحديث قال نعم يا ابان اذا كان
يوم القيمة وجمع الله الاوّلين والآخرين فيسلب لا اله
الا الله منهم الا من كان على هذا الامر ومنها
ومن نظائرها يظهر ان لم يكن مواليا لصاحب الدعا
جعلت له الفداء ومن بعده من الائمّة سلام الله عليهم
تسلب منه ثمرة لا اله الا الله ويكون توحيده وتهليله
في الدنيا مجرّد تحريك لسان لا ينتفع به في الآخرة
فلا اشكال ولا منافاة بين الاخبار المطلقة الدالّة

على انّ من قال لا اله الّا الله فله الجنّة او دخل الجنّة
وامثالها والدّالة على عدم دخول مخالفينا الجنّة و
ان بذلوا جهدهم وبالغوا في العبادات بين الرّكن
والمقام حتّى صاروا كالشّنّ البالي فانّهم ليسوا من
اهل التوحيد المنتفعين بتوحيدهم في الآخرة لما فاتهم
من الولاية الشديدة الحاجة اليها في تحقّق الايمان
الموجب لدخول الجنّة فالمطلق بهذا الوجه ايضاً مقيّد
ومنها ان يكون الموحّد تاركاً للدّنيا وزاهداً عنها
فعن حذيفة عن النبيّ ص قال لا يزال لا اله الّا الله
تردّ غضب الرّبّ جلّ جلاله عن العباد ما كانوا لا يبالون
ما انتقص من دنياهم اذا سلم دينهم فاذا كانوا لا يبالون
ما انتقص من دينهم اذا سلم دنياهم ثمّ قالوها ردّت عليهم
وقيل كذبتم ولستم بها صادقين وهذا بعينه حال
ابناء دهرنا هذا نعوذ بالله منهم اجمعين ومنها

الموافاة

الموافاة على التّوحيد كما تدلّ عليه رواية ابي ذرّ عن
النبيّ ص ما من عبد قال لا اله الّا الله ثمّ مات على ذلك
الّا دخل الجنّة وبالجملة المراد بالموحّد الّذي لا يعذّب
بالنّار اذا كان محسناً بان يكون توحيده يحجزه عمّا
حرّم الله وهو علامة اخلاصه او يدخل الجنّة ولو بعد
تعذيب برزخيّ اذا كان مسيئاً وهو من كان موالياً ثمّ
مات على ذلك والّا فتسلب عنه فوائد لا اله الّا الله
فالاخبار المطلقة الواردة في هذا الباب كقوله ص
من مات ولم يشرك بالله شيئاً احسن او اساء دخل الجنّة
وقول الصّادق ع انّ الله حرّم اجساد الموحّدين على النّار
وما شاكل ذلك مقيّدة بما ذكرنا فلا اشكال
ولا تدافع ثمّ لمّا كان مبدء الكمالات وجوب الوجود
كما انّ منشأ النّقايص امكان الوجود فالمعبود بالحقّ هو
الّذي ثبت له وجوب الوجود وانتفى عنه الامكان فمعنى

لا اله الا انت لا واجب الوجود الا انت فح يصح تقدير
الممكن والموجود فى خبر لا النافية للجنس اما الاول
فلان مفهومه ان الله يمكن ان يكون واجب الوجود فح
يندفع فساده المشهور وهو ان اللازم امكان وجوده تع
لا ثبوت وجوده فلا يتم التوحيد بان ما يمكن ان يكون
واجب الوجود فهو واجب الوجود والا يكون اما
ممتنع الوجود او ممكنه وعلى التقديرين لا يكون واجب
الوجود والا لزم الانقلاب واما الثانى فلان فساده
وهو ان اللازم نفى وجود الشريك لا نفى امكانه مندفع
بان نفى وجوب الوجود عما سواه يستلزم نفى امكان
وجوب الوجود عنه ايضا والا لثبت له نقيضه وهو
امكان واجب الوجود له فيثبت له وجوب الوجود لما سبق
هذا خلف واما ما قيل من عدم الحاجة الى الخبر و
ان الا الله مبتدا وخبره لا اله اذ كان الاصل الله اله

فلما اريد الحصر زيد لا و الا ومعناه الله معبود بالحق
لا غيره ففيه انه مع كونه مخالفا لما عليه النحاة من
وجوب تقدير الخبر يرد عليه ان الاعتراض باق على حاله
اذ لا معنى لرفع ذات الاله بل لا بد من نفى وجوده او امكانه
ومنهم من قال ان هذه الكلمة نقلت شرعا الى نفى
الامكان والوجود عن اله سوى الله مع الدلالة
على وجوده تع وان لم يدل عليه لغة وفيه ان هذه الكلمة
مشهور بكلمة التوحيد فمن قالها فهو موحد وان لم يعلم
او يثبت عنده الحقائق الشرعية وكذا تقدير مستحق
للعبادة لا يدل على نفى التعدد مط بل على نفى المستحق
فقط والصوفية لما ارادوا لا لتها مفهوما على وجود غيره تع
وداموا التفصي عنه اولوها بجملة كلمة الا على معنى الغير
وجعلوها بدلا عن محل الاله المنفى فصار المعنى انتفى غيره
مط لا فى صفة الالوهية وهذا هو التوحيد العامى

الذي هو نفي الشرك الاعظم الجلي المثبت بالدليل
المعقول والمنقول قالوا والمناقشة بانه لا يلزم من انتفاء
غيره ثبوته مندفعة اذ لا شك في وجود موجود ما وما
ذهب اليه السوفسطائية من انه لا موجود في الحقيقة
بل هو خيال ووهم فهو خيال موهوم وامر بطلانه
معلوم وانت وكل من له ادنى بصيرة اذا صرف بصيرته
نحو هذا الكلام يعرف ان الغرض منه نفي الوهية ما سوى
الله واثبات الوهيته لا نفي ما سواه بالكلية واثبات
وجوده فقط وهل يليق بالحكيم العليم ان يقول في كتابه
العزيز الى رسوله الكريم اعلم انه لا اله الا الله ويريد
به وحدته في الوجود وهو يفيد وحدته في الالوهية
وهم بمثل هذا التاويل المستنكر يضلون ويضلون
فطوبى للذين هم كما قال رسول الله صلعم يحمل هذا العلم
من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال

المبطلين

المبطلين وتاويل الجاهلين وعلى تاويلهم هذا فمعنى
كون هذه الكلمة كلمة التوحيد انها تفيد ان
الوجود واحد ويلزم منه ان يكون الاله واحدا فتكون
دلالتها على وحدة الوجود مطابقة وعلى وحدة الاله التزاما
وهذا كما ترى صرف الكلام عن وجهه بل ابطال
له بالكلية وانما صرفوه الى ذلك وهم يعلمون قطعا
انه ليس المراد به ذلك لتغرير الناس في دعوتهم الى مذاهبهم
الفاسدة وارائهم الكاسدة فنزلوا القران على طبق ارائهم
ومذهبهم وفسروه باهوائهم واشتهائهم على علم منهم
قطعا انه غير مراد به فذرهم وما يشتهون ومنهم من
رام ان يصرف عنه ويذب ما يرد عليه وهو يقول
بالوحدة فقال اعلم ان الذكر القلبي من اعظم علامات
المحبة لان من احب احدا ذكره دائما او غالبا
وان اصل الذكر عند الطاعة والمعصية سبب لفعل

الطاعة وترك المعصية وهما سببان لزيادة الذكر
ورسوخه وهكذا يتبادلان الى ان يستولى المذكور
وهو الله سبحانه على القلب ويتجلى فيه فالذاكر ح
يحبه حبا شديدا ويغفل عن جميع ما سواه حتى عن
نفسه اذ الحب المفرط يمنع عن مشاهدة غير المحبوب
وهذا المقام يسمى مقام الفناء فى الله والواصل
الى هذا المقام لا يرى فى الوجود الا هو وهذا معنى
وحدة الوجود لا بمعنى انه تع متحد مع الكل لانه مح
وزندقة بل بمعنى ان الموجود فى نظر الفانى هو لا غيره
لانه تجاوز عن عالم الكثرة وجعله وراء ظهره وغفل
عنه فافهم انتهى ولنا على ابطال وحدة الوجود
رسالة مفردة وجيزة نقلنا فيها زبدة اقوالهم وعمدة ما
تشبثوا به عليها واشرنا فيها الى ما فيه وعليه فليطلب من هناك

سبحانك اللهم وبحمدك

انزهك تنزيها عما لا يليق بجناب قدسك وعز
جلالك واثبت لك ما يليق بك سبحان مصدر كغفران
والسلطان بمعنى التنزيه عن النقائص ولا يستعمل الا
محذوف الفعل منصوبا على المصدر بمحذوف من جنسه
ومتعلق الجار فى بحمدك هو العامل المحذوف والتقدير
سبحتك تسبيحا وسبحانا وسبحتك بحمدك او بمعنى والحمد لك
سبحتك صح
نظير ما انت بنعمة ربك بمجنون اى والنعمة لك على انه حال
والعامل فيه اما معنى النفى فانه بمعنى انتفى عنك الجنون
او مجنون ولا يمنع الباء منه لانها زائدة مؤكدة
وفى مجمع البيان وقيل معناه ما انت بمجنون والنعمة لربك
كما يقال سبحانك اللهم وبحمدك اى والحمد لك انتهى
او هو مضاف الى المفعول ورد بما جوز كونه مضافا
الى الفاعل بمعنى التنزه والواو اما حالية والتقدير
وانا متلبس بحمدك على التوفيق لتنزيهك والتاهيل

لعبادتك كانه لما اسند التسبيح الى نفسه اوهم
ذلك فرحا وسرورا فعقب بهذه الجملة الحالية ليزول
على قياس ما قالوا في اياك نعبد واياك نستعين او اعتراضية
ومدخولها جملة مقدرة والحمد قائم مقامها والتقدير
اسبحك سبحانا وبنعمتك التي توجب على حمدك اسبحك
وتلك النعمة هي حولك وقوتك التي ملكتنيها او زائدة
والجار بمجروره في محل النصب على الحالية والتقدير
متلبسا بحمدك او عاطفة تعطف الجملة الاسمية
او الفعلية المقدرة على الفعلية المضمرة في سبحانك
فان جعلت الباء في بحمدك للمصاحبة فاضافة الحمد
الى الضمير اضافة المصدر الى المفعول وان جعلتها
للاستعانة فاضافته اليه اضافة المصدر الى الفاعل
ولعل المراد بالحمد التوفيق عليه والتقدير اسبحك سبحانا
واسبحك مستعينا بتوفيقك اياى على حمدك والى

ذلك اشار الشهيد الثاني بقوله الواو في وبحمده قيل
زائدة والباء للمصاحبة والحمد مضاف الى المفعول و
متعلق الجار عامل المصدر اى سبحت الله حامدا
اى نزهته عما لا يليق به ثم قال ويحتمل كونها للاستعانة
والحمد مضاف الى الفاعل اى سبحته بما حمد به نفسه
اذ ليس كل تنزيه محمودا وقيل ان الواو عاطفة ومتعلق
الجار محذوف اى وبحمده سبحته وذكر بعضهم ان
المعنى ولمعونتك التي هي نعمة توجب على حمدك
سبحتك لا بحولى وقوتى فتكون مما اقيم المسبب
مقام السبب انتهى وقال العلامة الطبرسي امين الاسلام
انه صار في الشرع علما لاعلى مراتب التعظيم الذي
لا يستحقها الا هو سبحانه ولذلك لا يستعمل في
غيره وان كان منزها عن النقائص ولعله نظر الى ما
قيل ان التنزيه المستفاد من سبحان الله ثلثة انواع

تنزيه الذات عن نقص الامكان الذي هو منبع
السّوء وتنزيه الصّفات عن الحدوث بل عن كونها
مغايرة للذات و زائدة عليها او تنزيه الافعال عن القبح
والعبث وعن كونها جالبة اليه نفعا او دافعة
عنه ضرّا كافعال العباد ثمّ التّسبيح يدلّ على كونه مبرّءا
في ذاته وصفاته عن النّقايص والآفات والحمد يدلّ
مع حصول تلك الصّفة على كونه محسنا الى الخلق منعما عليهم
رحيما بهم فالتّسبيح اشارة الى كونه تامّا والتّحميد الى
كونه فوق التّمام فالوجه في تقديمه عليه ظاهر والغرض من
هذه الجملة التّسبيحيّة الرّدّ على من توهّم انّه عرفه سبحانه
بحسب صفاته او علمه بكنه ذاته وذلك لانّ معرفة
ذاته امّا بالبديهيّة وهو باطل بالبديهة وامّا بالنّظر
وهو بالحدّ والحدّ يستلزم الجنس والفصل
المستلزمين للتّركيب او بالرّسم وهو لا يفيد الحقيقة

لانّ المعلوم منه سبحانه امّا السّلوب والاضافات وذاته
مغايرة لهما اذ المعلوم من قدرته مثلا انّهما امر مستلزم
للتّأثير فحقيقتها مجهولة والمعلوم منها ليس الّا هذا اللّازم
فتبيّن انّ صفاته كذاته غير معلومة وانّ المعلوم منها
ليس الّا السّلوب والاضافات ولمّا ثبت انّ العلم بها
لا يستلزم العلم بالحقيقة ثبت انّا لا نعلم ذاته وصفاته
الّتي عين ذاته واليه اشار بقوله

من ذا يعرف قدرتك فلا يخافك ومن ذا يعلم ما انت فلا يهابك

يعني لو كان لقدرته تع حدّ محدود يعرف به لكان
يمكن ان يكون فوقه مرتبة اخرى فصاحب تلك المرتبة
الفوقانيّة بعد ما عرف قدرته تع ووجدها دون
قدرته ساغ له ان لا يخافه لكن لا حدّ لقدرته تقف
عنده فلا يتصوّر فوقها قدرة هي دونها ويد الله بل كلّ قدرة
فوق ايديهم فالخوف منه لازم لكلّ عارف به وانّما

لا يخافه من لا يعرف قدرته وكذا لو كانت له ماهية
معلومة بكنهها فمن علمها وعلم انها ليست بمنشأ
آثار غريبة وافعال عجيبة كان له ان لا يبالي به لكنه
سبحانه لا ماهية له فلا ماهية له معلومة لغيره ولذا لما سأل
كليم الله على نبينا وآله وعليه السلام عن حقيقته تعالى حيث
قيل وما رب العالمين اجاب عنه بذكر خواصه فقال
رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين
تنبيها على ان حقيقة ذاته لا يعلم الا بذكر مقوماتها
ولا مقوم له اذ لا تركيب فيه ولم يتنبه السائل الجاهل
بذلك او لج وعند ولذا قال لمن حوله الا تستمعون
انى سئلت عن حقيقة رب العالمين وهو اجابني
بذكر صفاته فلم يتعرض موسى لبيان غلطه وفرط
جهله فذكر صفات اخرى ابين من الاولى فقال
ربكم ورب آبائكم الاولين ليتنبه على غلطه و

جهله فلم يتنبه ونسبه الى الجنون فقال ان رسولكم الذي
ارسل اليكم لمجنون فلم يلتفت اليه الكليم وذكر
صفات اخرى اظهر من الاولى واشار الى ان السؤال
من حقيقته ليس من دأب العقلاء فقال رب المشرق
والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون واذا ثبت
انه تعالى ليست له حقيقة معلومة لغيره فكيف لا يبالي به و
لا يوقره واحتمال الضرر بذلك قائم ودفعه واجب
وفيه تحقير لشانه لان كلمة من في الاصل وان كانت
للاستفهام الا انها هنا استعملت لمجرد التحقير كما في
قولك من هذا وكذا في ايراد المسند اليه باسم
الاشارة الدال على القرب تحقير له اذ القرب كما يطلق
على قرب المكان يطلق على قرب المرتبة ودناءة المحل
فيقال فلان قريب المحل داني المرتبة اجراء للامور العقلية
مجرى الامور المحسوسة كذلك قد يطلق اسم الاشارة

الدالّ عليه ويراد به ما يلابس القرب غالباً وهو التحقير
الرتبيّ وذا في الموضعين مبتدأ ومن كذلك خبره
قدّم عليه لاقتضائه صدر الكلام والجملة الفعلية
صفة له لكونه نكرة والمضاف محذوف اي
مقدار قدرتك وحقيقة ذاتك ويحتمل ان يكون من
للاستفهام الانكاري وذا اسم موصول بمعنى الذي
والمراد انّ كلّ من عرف قدرتك يخافك وكلّ من
علم ما انت يهابك فلا احد يعرف قدرتك فلا يخافك
ويعلم ما انت فلا يهابك وكلمة ما على الاوّل
طالبة للحقيقة وعلى الثاني شارحة للاسم تامل والمعرفة
يق لادراك الجزئي والبسيط والعلم للكلّي والمركّب
وايضاً فانّ الاوّل يق لادراك الشيء باثاره والثاني
لادراكه بذاته ولذا يق عرفنا الله دون علمناه
لانّ ذاته جزئيّ بسيط معروف باثاره وصفاته لا

بذاته وقيل هي عبارة عن الادراك التصوّري والعلم
الادراك التصديقي ومن ذهب الى هذا القول جعل
العرفان اعظم رتبة من العلم فانّ تصديقنا باستناد هذه
المحسوسات الى موجود واجب الوجود امر معلوم بالضرورة
واما تصوّر حقيقة واجب الوجود فامر فوق طاقة البشرية
لانّ الشيء ما لم يعرف لم يطلب ماهيته فعلى هذا كلّ عارف
عالم من دون عكس كلّي ولذا كان الرجل لا يسمّى
عارفاً الا اذا توغّل في بحار العلوم ومباديها وترقّى من
مطالعها الى مقاطعها ومن مباديها الى غاياتها
بحسب الطاقة البشرية وقيل هي ادراك الشيء بعد
توسّط نسيانه فلذلك يسمّى الحقّ تع بالعالم دون
العارف وهو اشهر الاقوال في تعريف المعرفة و
فيه نظر فقد ورد في رواية رواها محمّد بن يعقوب
في الاصول في باب النسبة من قول ابي عبد الله ع

قل هو الله احد نسبة الله الى خلقه احدا صمدا ازليا صمديا
لا ظل له يمسكه وهو يمسك الاشياء باظلتها عارف
بالمجهول معروف عند كل جاهل ومن العجب ان بعضهم
ادعى الاجماع على ان اطلاق العارف عليه تع غير جائز
لعدم وروده فى الشرع مع ايهامه النقص هذا ولعله
اشار بذلك الى انه تع لو كان يعلم بكنه ذاته
فانما كان يعلم اذا كان كليا مركبا من الجنس والفصل
ولما كانت القدرة جزئيا من جزئيات صفاته خص
المعرفة بها تنبيها على هذه الدقيقة تامل فيه
والخوف والخشية وان كانا مترادفين فى اللغة
الا انهم فرقوا بينهما بان الخوف تالم النفس من
العقاب المتوقع بسبب ارتكاب المنهيات والتقصير
فى الطاعات وهو يحصل لاكثر الخلق وان كان
مقولا بالتشكيك والخشية حالة تحصل عند الشعور

بعظمة الخالق وهيبته وهذه الحالة عزيزة المنال لا
تحصل الا لمن اطلع بجلال الكبرياء وذاق لذة القرب
ولذا قال عز من قائل انما يخشى الله من عباده العلماء

الفت بقدرتك الفرق

هذه وما عطف عليها كالبيان والدليل على
ان قدرته تع لا يعرف بحقيقتها وانما يعرف بهذه
الاثار وما شاكلها ولعله لذلك ترك العاطف فتامل
وبين الف بينهما تاليفا اذا وقع الالفة والتاليف والتركيب
بمعنى وهو جعل اشياء متعددة بحيث يطلق عليها
واحد وقد يفرق بينهما بان التاليف من الالفة فلابد
ان يكون بين اجزائه مناسبة بخلاف التركيب فهو اعم
منه والفرقة بالكسر الطائفة من الناس والقسم من كل
شئ والجمع فرق كذا فى القاموس والمراد انه تع الف بقدرته
بين المتباينات وجمع بين المختلفات والمتضادات كما

في المركّبات المجتمعة من الاسطقسات المتداعية
الى الانفكاك وفي تاليفها مع تنافرها طبعاً ثمّ
احتياج بعضها الى بعض في قوامها وانتظامها دلالة
واضحة على وحدة مؤلّفها ومدبّرها كما انّ في
ارتباط اجزاء الشخص بعضها ببعض وانتظام اعضائه
دلالة على وحدة مدبّره وفي خطبة في التوحيد لصاحب الدعاء
جعلت له الفداء ضادّ النور بالظلمة والوضوح
بالبهمة والجمود بالبلل والحرور بالصرد مؤلّف بين متعادياتها
مفرّق بين متبايناتها مقرّب بين متباعداتها مفرّق
بين متدانياتها دالّة بتفريقها على مفرّقها وبتاليفها
على مؤلّفها وذلك قوله عزّ وجلّ ومن كلّ شيء خلقنا
زوجين لعلّكم تذكّرون والمراد انّه تعالى الّف بين قلوب طوائف
مختلفة مع تخالف طبايعهم وتباين سلايقهم وتضادّ
اهوائهم وتضادّ آرائهم كما اشار اليه بقوله

هو الذي الّف بين قلوبهم لو انفقت ما في الارض جميعاً
ما الّفت بين قلوبهم ولكنّ الله الّف بينهم انّه عزيز
حكيم ومن الظاهر بل الاظهر منه انّ الالفة من اعزّ
المطالب شرعاً وعرفاً لاقتضائها صلاح حال الدنيا
والآخرة لانّ الانسان مدنيّ بالطبع فلا غناء له
في تعيّشه من التمدّن وهو اجتماعه مع بني نوعه لافتقاره
في تحصيل مآربه الى معاونتهم ومشاركتهم اذ لا يمكن
للانسان الواحد القيام بجميع ما يحتاج اليه من الضروريّات
التي لا بقاء له بدونها وتلك المعاونة والمشاركة
لا تتمّ الّا بائتلاف واجتماع ومعاشرة ولا يستقيم
ذلك الّا بتحقّق الروابط بينهم وهي لا تتمّ الّا بنفي الضغائن
والاحقاد والحسد وذلك مستلزم للاجتماع على
الالفة وانس بعضهم ببعض فيستقيم امورهم بتعاونهم
وقد قال العلماء انّ سلوك سبيل الله بسائر وجوه الاوامر

والنواهي لا يتم الا بها ولذلك عظم الله المنة بايقاع الالفة
بين اهل الملة وذلك انهم بالالفة يكونون بمنزلة
عبد واحد شرع الله اجتماع الخلق على الصلوة في
المساجد كل يوم خمس مرات وفي كل اسبوع مرة
في المسجد الاعظم وفي كل سنة مرتين في الاعياد وفي
العمر مرة بمكة لاجتماع البلدان النائية كل ذلك
ليتاكد باجتماعهم الالفة والاتحاد وتقع بسببه المحبة
والوداد والاخبار في هذا المعنى كثيرة جدا

وفلقت برحمتك الفلق

فلقت الشيء فلقا من باب ضرب شققته والفلق بالسكون
الشق وهو الفالق الذي فلق الارحام فانشقت عن الحيوان
وفلق الحب والنوى فانفلقت عن النبات وفلق الارض فانفلقت
عن كل ما يخرج منها وفلق الظلام والسماء عن القطر
وفلق البحر لموسى فكان كل فرق كالطود العظيم

والفلق بالتحريك الصبح نفسه وقد يقال فلق الصبح لضوئه
وانارته والمراد انه تعالى شقه واضائه وانارة واظهر
بياضه بقرب طلوع النير الاعظم اذ لولاه لبطل امر
العالم ولم يمكن الناس ان يسعوا في امور معاشهم و
معادهم ولم يكونوا يتهنئون بالعيش مع فقدهم
لذة النور ووجه فكونه من الرحمة ظاهر مستغن
بظهوره عن الاطناب ومن الظاهر ان المفلوق
ليس هو الفلق بل هو ظلمة وهو الغبش في اخر الليل
وكان الافق كان بحرا مملوا من الظلمة ثم انه تعالى شق
ذلك البحر المظلم بان اجرى فيه جدولا من النور فالمعنى فلقت
ظلمة الفلق بنور الفلق وحسن الحذف للعلم به

وانرت بكرمك دياجي الغسق

الانارة الاضاءة فالبا سببية والكرم الجود والسخاء
يقال رجل كريم اذا كان جوادا سخيا وكونه من الكرم

بيّن اذا الليل لو امتدّ مثلا مقدار ما تأتى ساعة لكان
تعوّق اصناف الحيوان عن الحركة والتصرّف في
طلب المعاش حتّى يموت جوعا وتخمد الحرارة الطبيعيّة
من النبات حتّى تعفن وتفسد كالذي تراه يحدث على
النبات اذا كان في موضع لا تطلع عليه الشمس
مع انّ الحرّ والبرد يدبّغان الابدان وينضجانها ولولا
هما لفسدت اوهزلت فجعل النهار بكرمه مبصرا ليبتغوا
فيه من فضله وليتسبّبوا الى رزقه وليسرحوا في ارضه
طلبا لما فيه نيل العاجل من دنياهم ودرك الآجل في اخراهم
قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم
القيمة من اله غير الله يأتيكم بضياء افلا تسمعون
والدجى ظلمة الليل   وكانّ النجوم بين دجاها
سنن لاح بينهنّ ابتداع   يقول دجى الليل اذا تمّت ظلمته والبس كل
شئ ومنه ليل داج والغسق محرّكة الظلمة اول الليل

ومن شرّ غاسق اذا وقب اي الليل اذا دخل كذا في
القاموس فالتجريد لازم او الاضافة لامية وفيه مبالغة
او بيانيّة وقيل غسق الليل منتصفه لا ظلمة اوله كما قاله
بعض اللغويين ثمّ استشهد عليه بما رواه في الكافي
بسند صحيح عن الباقر ع انّه قال فيما بين دلوك الشمس
الى غسق الليل اربع صلوات الى ان قال وغسق الليل
انتصافه وعليه فلا حاجة الى التجريد لعلّه خصّ منتصفه بالذكر
لكونه اشدّ ظلاما ببعد الشمس من الافق الغربي ووصولها
الى دائرة نصف النهار تحت الارض فاهل هذه الاقاليم وقتئذ
يكونون في وسط مخروط ظلها فوق الارض في اشدّ
الظلام والمراد انّه تع بكرمه جعل الاهوية المظلمة
منوّرة لا الظلمات نفسها فانّها لا تتّصف بالنور
والحقّ انّ تكيّف الهواء بالنور في الجملة ممّا لا ينبغي الشكّ
فيه وان منع منه من جعل اللون شرطا في التكيّف به

فازدادت بها الاهوية المظلمة لا مانع منه ويجوز ان يراد
بها الاجسام المظلمة غير الهواء وهذا ليس فيه كثير بعد
لاستغنائه عن تجشم الاستدلال على قبول الهواء الضوء
وسلامته عن شوب الخلاف او المراد بازديادها اعدامها
باحداث الضوء في محالها وهذا مبني بان الظلمة كيفية
وجودية كما ذهب اليه طائفة قيل وهذا وان كان
الاكثر على بطلانه الا ان دلائلهم عليه ليست بهذه
القوة فهو باق على اصل الامكان الى ان يثبت قاطع البرهان
وَانهَرَتِ المِياهَ مِنَ الصُّمِّ الصَّياخيدِ عَذباً واُجاجاً
الانهار والاجراء والاسالة الصب بكثرة ومنه
النهر بالفتح والسكون المجرى الواسع فوق الجدول
ودون البحر كالنيل والفرات والتركيب للسعة
والماء الذي يشرب والهمزة فيه مبدلة من الهاء في
موضع اللام واصله موه بالتحريك والصم اصله

صلابة حاصلة من اكتناز الاجزاء وتضامها ومنه
قيل حجر صم اي ليس فيه تجاويف وقناة صماء اي رمح
مصمت غير مجوف كالقصب وصمام القارورة
بكسر الصاد ما يشد به ثم سمي به فقدان حاسة السمع
لان سببه ان يكون باطن الصماخ مكتنزا لا تجويف
فيه يشتمل على هواء يسمع الصوت بتموجه والجمع الصم
افانت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون صم بكم
عمي فهم لا يرجعون كلمة من بظاهرها مشعرة بان تلك
المياه كانت في الاصل احجارا فانقلبت مياها
وهذا كما يق من النطفة كان انسان بمعنى انها خلقت صورتها
ولبست صورته فهي ابتدائية والظرف في محل النصب على الحالية
اي اجريناها لكونها مبتدئة منها والصيخود الصخرة الشديدة
والجمع الصياخيد والياء زائدة يق صخرة صيخود و
صيخادا اي شديدة والصيخدون الصلابة والعذب

الطيب الذي لا ملوحة فيه وفي القاموس العذب من
الطعام والشراب كل مستساغ والاجاج بالضم
الماء الملح الشديد الملوحة هذا عذب فرات سائغ
شرابه وهذا ملح اجاج وهما منصوبان اما على الحالية
او المصدرية او التميزية وهو الاظهر ولعل المراد
انه تع شق تلك الاحجار فانشقت انشقاقا بالطول
والعرض فنبعت منهما المياه الا انها انقلبت مياها كما
يفيده الظاهر فان قلت كيف جوزت ان يكون عذبا
او اجاجا حالين من المياه والحال يجب ان يكون مطابقة
لذيها في التذكير والتانيث وهنا قد انعدمت حيث
لم يقل عذبة واجاجة قلت معنى الكلام انه تع اجرى
المياه من الاحجار الشديدة الصلابة حال كونها عذبا
بعضها واجاجا بعضها كما في قول امرء القيس
كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي

حيث لم يقل رطبة ويابسة لكن ظاهره يقتضي حذف الفاعل
وابقاء رافعه ولا يجوزه البصريون ولا بعض الكوفيون الا
ان يق تفصيل ذيها وهو يجوز ترك تابعها فان العذوبة
بالنسبة الى البعض والاجوجة بالنسبة الى الاخر والاظهر
ان يق قسما عذبا وقسما اجاجا والاولى ان يحمل نصبه
على التميزية لعدم حاجته الى التاويل فانه يكون مفردا
وان كان المتميز به مثنى او مجموعا اذا كان جنسا يتشابه
اجزاؤه ويقع مجردا عن التاء ويطلق على القليل والكثير
كالماء والتمر تذنيب الماء اذا كان لطيفا وزنه لقلة ما
يخالطه من الارضية وعدم ما يمازجه من الاوساخ المدنية
والكيفيات المعدنية الموجبة لفسادها جاريا على تربة
نقية غير قابلة للعفونة وخاصة الماء الجاري الى
المشرق لان الرياح المشرقية معتدلة بين الحرارة والبرودة
مايلة الى اليبوسة فتكون مصلحة له وسيما الماء

٢ تفصيل الحال الفعل لفظا بسلعى

المنحدر الى اسفل فان حركته اسرع فيزيد لطافة و
خاصة اذا كان بعيد المنبع لانه يكون الطف لكثرة
حركته بطول المسافة يرق لرقته ولطافته رطوبة الفم و
يسيلها وينفذها في جرم اللسان وهو خال عن الطعوم
وبذلك تحصل العذوبة لان طعم هذه الرطوبة مائل
الى العذوبة كالبلغم الطبيعي والعذوبة اول درجات
الحلاوة ولذلك يخيل لشاربه انه حلو والا فالماء بسيط
لا طعم له ولا رائحة بل ولا لون كما ثبت في مقامه

وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا

من ابتدائية وهي بمجرورها في موضع النصب على الحال
من الماء وثجاجا صفة له وانما قدم على ذيها لضرورة
رعاية الفاصلة مع كونها ظرفا والمراد انه تعالى انزل ماء
ثجاجا لكونه مبتدأ او ناشئا من المعصرات وهي السحاب
اذا اعصرت اي شارفت ان تعصرها الرياح فتمطر كقولك

اجز الزرع اذا حان له ان يجز ومنه اعصرت الجارية اذا دنت
ان تحيض ويمكن ان يراد بها السموات لان الماء ينزل من السماء
الى السحاب ومنه الى الارض فكان السموات يعصرن اي
يحملن على العصر ويمكن منه قال صاحب الدعاء جعلته
الغذاء السحاب غربال المطر ولولا ذلك لافسد كل شيء
وقع عليه ولا التفات الى ما يزعمه الطبيعيون اذ لم يقيموا على
ما زعموه من سبب حدوث المطر برهانا يعتمد عليه او
دليلا تركن النفس اليه بل الظاهر انه لا مجال للقول بان
جميع الماء النازل من السماء هو الذي صعد من الارض
بمخالطة الهواء المتصاعد بسبب استيلاء الحرارة ولا للقول
بان الصاعد هو جزء من الف الف من النازل فتكون
الصاعد عندهم معدا لانقلاب الهواء ماء فتكون
حدوث معظمه في السماء ويجوز ان يراد بها الرياح ذوات
الاعاصير لان الرياح هي التي تنشئ السحاب وتدر اخلافه

فصح ان يجعل مبدءًا للانزال وقد جاء ان الله تعالى يبعث الرياح
فيحمل الماء من السماء الى السحاب فان صح ذلك فالانزال
منها ظاهر وعن سيدنا الصادق ع ان لله رياح رحمة
لواقح ورياح تهيج السحاب فتسوقه ورياح تحبس السحاب
بين السماء والارض ورياح تعصره فتمطره باذن الله تعالى
ورياح تفرق السحاب الحديث وماء ثجاجا منصبا بكثرة
ثجه وثج بنفسه وفي الحديث افضل الحج العج والثج
رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدي فائدة
السبب الاكثري في كبر حبات الامطار الصيفية و
صغر حبات الشتوية ان الابخرة الصيفية في الاكثر
لا تخلو عن الادخنة التي هي مادة الريح الموصلة
بتموجها تلك القطرات بعضها ببعض فتكبر وفي الشتاء
يكون الهواء ساكنا فلا اتصال تذنيب قالت الفلاسفة
ان الشمس اذا اشرقت على المياه والارض الرطبة يحلل

منها اجزاء هوائية مازجها اجزاء صغار مائية لا تميز
بينهما في الحس لفرط الصغر والاختلاط والمركب منهما
يسمى بخارا وهو اذا صعد وبلغ في صعوده الى الطبقة
الزمهريرية تكاثف بسبب البرد فان لم يكن قويا
اجتمع وتقاطر للثقل الحاصل من التكاثف والانجماد
فالمجتمع السحاب والمتقاطر المطر وان كان قويا فاما
ان يصل الى اجزاء السحاب قبل اجتماعها او بعده فان
كان الاول نزل السحاب ثلجا لان تلك الاجزاء الصغيرة
انعقدت وانضم بعضها ببعض وهو الثلج الذي يهبط كالقطن
المحلوج وان كان الثاني نزل بردا واما اذا لم يبلغ في
صعوده لقلة حرارته اليها فان كان كثيرا فاذا اصابه
برد ينعقد سحابا ماطرا كما حكاه رئيسهم انه شاهده و
قد صعد من اسافل بعض الجبال صعودا يسيرا وتكاثف
حتى كانه مكبة موضوعة على وهدة فكان هواء فوقها

مشمسا وكان من تحته من اهل القرية يمطرون
وقد يتكون السحاب من انقباض الهواء بالبرد الشديد
فيحصل معه الاقسام ثم ان البخار المنعقد بردا وان كان
بعيدا من الارض كان صغير الحب مستديرا للذوبان زواياه
بالحركة السريعة الخارقة للهواء وان كان قريبا كان
بالعكس والسبب في كثرته في البلاد الباردة في الربيعين دون
الشتاء ان الاجزاء البخارية اذا تم ثمة تكاثفها احاطت
بها حرارة الهواء ودفع حرارة انحفظ البرد الى باطن السحاب
دفعة فاستمسك البخار وجمد دفعة واحدة لئلا يتحلل الحرارة
فيها ولذا كان الحار من الماء اسرع جمودا من البارد فهذه
جملة احوال الكائنات الجوية على ما يزعمون واكثرها لا يجامع
ما ورد في الشريعة المطهرة على شارعها والاسلم الابعد من التاويل
وجعلنا الشمس والقمر للبرية سراجا وهاجا
يستضيئون به في مآربهم فانه مع الحاجة الى الظلمة لهدوء

الحيوان وبرد الهواء على النبات لم يكن صلاح في ان
يكون الليل ظلمة داجية لا ضياء فيها فلا يمكن فيه شيء
من العمل لانه ربما احتاج الناس الى العمل بالليل لضيق
الوقت عليهم في بعض الاعمال بالنهار او لشدة الحر وافراطه
فيعمل في ضوء القمر اعمالا شتى كحرث الارض وقطع الخشب
او ما اشبه ذلك فجعل ضوء القمر معونة لهم على معايشهم اذا
احتاجوا الى ذلك وانسا للسائرين وفي تصرف القمر
خاصة في تهلله ومحاقه وزيادته ونقصانه وكسوفه
من التنبيه على قدرة الله خالقه المصرف له هذا التصريف
لصلاح العالم ما يعتبر به المعتبرون فتبارك الذي جعل
في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا
وانما سمي قمرا لبياضه فان الاقمر هو الابيض ولانه
يقمر الكواكب اي يغلبها بزيادة النور وقد اضطربوا في
انه الى كم يسمى هلالا ومتى يسمى قمرا فقال الجوهري

الهلال اول الليلة والثانية والثالثة ثم هو قمر وزاد
الفيروزابادي فقال الهلال غرة القمر او الى ليلتين او الى
ثلث او الى سبع ولليلتين من اخر الشهر ست وعشرين
وسبع وعشرين وفي غير ذلك قمر وقال بعضهم يسمى هلالا
لليلتين من الشهر ثم لا يسمى هلالا الا ان يعود في الشهر الثاني
وقال اخرون يسمى هلالا ثلث ليال ثم يسمى قمرا وقال
اخرون يسمى هلالا حتى يحجر وتحجيره ان يستدير بخط دقيق
ثم يق قمر وقال بعضهم يسمى هلالا حتى يبهر ضوؤه سواد
الليل ثم يق قمر وهذا يكون في الليلة السابعة و
لعل في وصفه بالسراجية تاييد لهذا القول وجعله
مجازا بالمشارفة من باب ما يؤول اليه الشيء والبرية الخلق
يق براه الله يبراه خلقه ويجمع على البرايا والبريات
من البرى التراب والسراج معروف ويق له النبراس وهو
المشبه به وهذا التشبيه يسمى التشبيه التسوية وهو ان يكون

المشبه متعددا دون المشبه به كقوله
صدغ الحبيب وحالي كلاهما كالليالي وثغره في صفاء وادمعي كاللآلي
فان قلت المشبه به واجب ان يكون اقوى وازيد في
وجه الشبه من المشبه قلت يجوز عند ارادة الجمع بين شيئين
في امر كطلق اللون مثلا التشبيه مثلا كتشبيه الصبح بغرة
الفرس متى اريد ظهور منير في مظلم اكثر من ذلك المنير
من غير قصد الى المبالغة في وصف غرة الفرس بالضياء
والانبساط وفرط التلألؤ اذ لو قصد شيء من ذلك لوجب
جعل الغرة مشبها والصبح مشبها به لانه ازيد في ذلك
ويمكن ان يكون هذا التشبيه من باب تشبيه احاد
من الجمل باخرى مثلها بان يشبه كل من النيرين بالسراج
المنير ويشبه من يستضيء بنورهما وينتفع به وهم البرية
ممن يستضيء بنوره وينتفع به وازالتهما الظلمة واظهارهما
الاشياء مع ظهورهما بنفسهما بازالته الظلمة واظهاره

الاشياء وظهوره بنفسه الى غير ذلك من الاعتبارات
ويمكن ان يكون من تشبيه الهيئة الحاصلة من آحاد جمل
باخرى مثلها في قوله   وكان اجرام النجوم لوامعا
درر نثرن على بساط ازرق   فانه يمكن فيه اعتبار كل
من التشبيهين وان كان الثاني احسن ولما كان السراج
في الاصل مصدرا لم يثناه اولما كان اتصاف احدهما
بالسراجية في وقت لم يجامع وقت اتصاف الاخر بها
افرد تنبيها على ذلك او هو جنس يطلق على الواحد والمثنى
او حذف مضاف في احدهما للظهور اي جعلت الشمس
للبرية سراجا والقمر ايضا نورا وسراجا

مِنْ غَيْرِ أَنْ تُمارِسَ فِيما ابْتَدَعْتَهُ لُغُوباً وَلا عِلاجاً

كلمة غير وضعت للمغايرة وهي مستلزمة للنفي فتارة يراد بها
اثبات المغايرة كما في غير المغضوب عليهم ولا الضالين
فيكون اثباتا في حكم النفي لتضمنه اياه فيجوز تاكيده بلا

واخرى يراد بها النفي كقولك انا غير ضارب زيداً
اي لست ضاربا زيدا لا اني مغاير لشخص ضارب له فلفظة
لا مزيدة لتاكيد معنى ما في غيره من معنى النفي ومارسه
عالجه وزاوله كذا في القاموس والابتداع الاختراع
لا على مثال سابق وكل خلق لا على مثال سبق فهو
مُبدَع بفتح الدال وخالقه مُبدِع بكسرها وفي
كلام لصاحب الدعاء جعلت له الفداء مذكور
في اصول الكافي في باب جوامع التوحيد ابتدع ما خلق
بلا مثال سبق ولا تعب ولا نصب وكل صانع شيء
فمن شيء صنع والله لا من شيء صنع ما خلق والغرض
انه تع خلق الخلق انشاء واوجده ابتداء من غير مثال
فلم يكن صنعه كصنع البشر لان الصنائع البشرية
انما تحصل بعد ان ترسم في الخيال صورة المصنوع
وتلك الصورة تحصل تارة من مثال خارجي بشاهد

الصّانع ويحذو حذوه وتارة بمحض الالهام فانّ كثيرًا
يفاض على اذهان الاذكياء صور اشكال لم يسبقهم
الى تصوّرها غيرهم فيصوّرونها فى الخارج وكيفيّة صنع الله
عزّ وجلّ منزّهة عن الوقوع على هذين الوجهين امّا
الاوّل فلانّه تع كان ولم يكن معه شئ ولا قبله فلا يكون
خلقه مسبوقًا بمثال من صانع آخر صنع هو مثل صنعه
وامّا الثانى فلانّ الفاعل على وفق ما الهم وان كان مبتدعًا
ومخترعًا فى الظاهر لكنّه فى الحقيقة ليس هو المبتدع
وانّما المبتدع هو مفيض تلك الصّورة وملهمها وهو
مفتقر فى الحقيقة الى الغير الّذى الهمه وافاض على
ذهنه صورة ما ابتدعه ظاهرًا والله سبحانه منزّه
عن الافتقار والاحتياج فلم يكن صنعه بهذا الوجه
ايضًا وفى بعض النّسخ فيما ابتدأت به بالهمزة والمراد
به الابتداء الدهرى او الزمانى لو كان له معنى واذا

لم يوجب ابتداء الخلق من غير مادّة نصبًا ولا تعبًا فبان
لا توجبه الاعادة لسبقها بالمادّة اولى افعيينا
بالخلق الاوّل بل هم فى لبس من خلق جديد واللّغب واللّغوب
النّصب والتّعب والاعياء والعلاج العمل بالجوارح تقول
عالجت الشّئ معالجة وعلاجًا اذا زاولته والمراد انّه
صدرت منه تع تلك الافاعيل العظيمة وظهرت منه
هذه الآثار العجيبة الغريبة المتحيّرة فيها اذهان الاذكياء
من غير ان يزاولها ويعالجها بالاعضاء كما توهّمه
الكفرة الفجرة المجسّمة والمشبّهة ومن يحذو حذوهم
ومن دون ان يتحمّل فيها نصبًا ولا تعبًا كما هو شان
القوى المادّيّة الجسمانيّة فانّها تعجز وتكلّ عند
تكثّر الافعال وتوارد الاعمال لتاثّرها وانفعالها
فهى لا تقدر على افعال غير متناهية بخلاف القوى
المجرّدة عنها وخاصّة القدرة القدسيّة الواجبة فهو

سبحانه ابتدع بقدرته الخلق ابتداعاً واخترعهم على
مشيته اختراعاً وكوّنهم بارادته تكويناً واحدثهم بحكمته
احداثاً من غير المزاولة بالاعضاء والمعالجة بالجوارح
ومن غير ان يمسّه بما فعله نصب ولا تعب والية يشير
بقوله عزّ من قائل ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما
في ستّة ايام وما مسّنا من لغوب تذنيب روى رئيس
المحدّثين في كتاب العلل باسناده عن صاحب الدّعا
جعلت له الفداء في حديث طويل انّه قام اليه رجل من
اهل الشّام فقال يا امير المؤمنين انّي اسئلك عن
اشياء فقال سل تفقّها ولا تسئل تعنّتا فاحدق
النّاس بابصارهم فقال اخبرني عن اوّل ما خلق الله تعم
وتبارك فقال خلق النور قال فممّ خلق السموات قال
من بخار الماء قال فممّ خلق الارض قال من زبد الماء
قال فممّ خلقت الجبال قال من الامواج والحديث طويل

اح ...

اخذنا منه موضع الحاجة ونقل عن ثاليس الملطي اوّل
ما ابدع الله من الاجسام هو الماء لانّه قابل لكلّ صورة
ثمّ حصل الارض منه بالتكثيف والهواء والنار بالتلطيف
اذ الماء اذا لطف صار هواء او تكوّنت النار من صفوة
الماء والسّماء تكوّنت من دخان النّار ويقال انّه اخذه
من التورية لانّه جاء في السّفر الاوّل منها انّ الله خلق
جوهراً فنظر اليه نظر الهيبة فذابت اجزاؤه فصارت
ماءً ثمّ ارتفع منه بخار كالدخان فخلق الله منه السموات
وظهر على وجه الماء زبد فخلق منه الارض ثمّ ارساها
بالجبال ونقل صاحب الملل والنحل عن ثاليس الملطي
انّه قال انّ المبدع الاوّل ابدع العنصر الذي فيه
صور الموجودات والمعدومات كلّها فانبعث من
كلّ صورة موجود في العالم على المثال الذي في العنصر
الاوّل فمحلّ الصّور ومنبع الموجودات هو ذات العنصر

ومامن موجود فى العالم العقلى والعالم الحسى الا وفى
ذات العنصر صورة ومثال منه ثم قال ومن العجب انه
نقل عنه ان المبدع الاول هو الماء ومنه ابدع الجواهر
كلها من السماء والارض وما بينهما فذكر ان من جموده
تكونت الارض ومن انحلاله تكون الهواء ومن صفوة
الهواء تكونت النار ومن الدخان والابخرة تكونت
السماء ومن الاشتعال الحاصل من النار الاثير تكونت
الكواكب فدارت حول المركز دوران المسبب على
السبب بالشوق الحاصل اليه ثم قال ان ثاليس الملطى
انما تلقى مذهبه من المشكوة النبوية يعنى ما نقل
عن التورية اقول ظاهر ما نقل عنها وصريح ما نقل
عن ثاليس الملطى يفيد ان ذلك الجوهر اوذا الماء
اول ما ابدعه الله من الجواهر الجسمانية فلا منافاة
بينه وبين الروايات الواردة من العامة والخاصة

ان

ان العقل اول مخلوق ابدعه الله تع فمنها ما فى الكافى
عن سماعة عن ابى عبد الله الصادق عليه السلم ان الله
عز وجل خلق العقل وهو اول خلق من الروحانيين
عن يمين العرش من نوره والظاهر ان المراد بالعقل
فى هذه الروايات هو النفس المجردة وتسميتها بالعقل
من باب تسمية المحل باسم الحال اذ العقل باصطلاح اهل
الشرع غريزة نفسانية مدركة لما فيه صلاح النفس فى
النشاة الاخرة وليس المراد به ما اصطلح عليه الفلاسفة
من العقول العشرة اذ العقل باصطلاحهم جوهر مجرد
فى ذاته وفعله والرواية الصحيحة الواردة فى الطرفين
صريحة فى ان المراد به اما النفس او قوة قائمة بها
حيث قال لا اكملنك الا فيمن احب اما انى اياك امر
واياك انهى واياك اعاقب واياك اثيب وفى قوله
ثم قال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر محمول اما

على الاستعارة التمثيلية بتشبيه الهيئة الحاصلة
من القاء اوامر الله ونواهيه الى النفس وتلقيها اياها
بالقبول بالهيئة الحاصلة من امر السيد عبده المطيع
له فيما يامره وينهاه فتارة يامره بالاقبال فيقبل
واخرى بالادبار فيدبر او على الاستعارة التبعية
فالاقبال استعارة عن الاتيان بالاوامر والادبار
عن الانتهاء عن النواهي فان قلت قد ورد عن النبي ص
انه قال اول ما خلق الله نوري وفي رواية روحي و
في اخرى اول ما خلق الله القلم فكيف التوفيق بين
هذه الاخبار قلت اول ما خلقه الله نفس النبي ص
وهي من حيث انها تدرك الاشياء كما هي عقل
ومن حيث انها يهتدى بها نور ومن حيث انها
باعث حيوة الخلق بالمعرفة والعبادة روح ومن
حيث انها مظهر الحقايق والدقايق قلم واما قول

بعض الحكماء ان النفوس حادثة بحدوث البدن
فغير مسلم وكثير من الروايات ناطقة بخلافه منها
صحيحة بكير بن اعين عن الباقر عليه السلام المذكورة
في الكافي خلق الله ارواح شيعتنا قبل ابدانهم
بالفي عام ولا استبعاد فيه اذ كما يجوز تعلق الارواح
بعد خراب هذه الابدان بابدان مثالية جاز تعلقها بها
قبل تعلقها بهذه الابدان كما دل عليه كثير من الاخبار
منها قول ابي جعفر ع ان الله خلق الخلق ثم بعثهم في الظلال
قال السائل قلت واي شيء الظلال قال الم تر الى ظلك
في الشمس شيء وليس بشيء هذا ولما دلت الفقرات
السابقة على انه تع واجب الوجود لذاته متوحد في
فعله غالب على غيره اذ صدور تلك الافاعيل العظام
وخاصة ابتداء الخلق وابتداعه من غير لغوب من القدرة
الممكنة غير ممكن ولا كلام في ان من هذا شانه فهو باق بذاته

قاهر على غيره فوق عليه **فيا من توحد بالعز والبقاء**
تفرد وطلب من نفسه ان يكون واحدا والعز خلاف
الذل والعزة في الاصل القوة والشدة والغلبة والرفعة
والامتناع يقال عز يعز بالكسر اذا صار عزيزا وعز يعز
بالفتح اذا اشتد والعزيز المنيع الذي لا يغلب ويقال من عز بز
اي من غلب سلب وعزه تعالى عبارة عن قدرته وغلبته على الممكنات
وبقي الشيء من باب رضي بقاء بالمد فهو باق لم ينفد
ما عندكم ينفد وما عند الله باق والبقاء صفة الوجود
وهو استمراره او هو وجود مخصوص فانه وجود مستمر
وبقاؤه تعالى عين ذاته فاستحال ان يسبقه عدم او يلحقه
انقطاع بل هو باق ازلا وابدا وان مرت الدهور والاعوام
ومضت الازمان والايام اذ لا غاية له من الزمان ينتهي
اليها ولا مدة مضروبة منه يقف عليها كما يكون للزمانيات
من زمانها لان الدهور والاعوام والازمان والايام

من جملة مخلوقاته ووجوده تعالى وان كان مساوقا لوجود
الزمان بمعنى انه معه في الوجود اذ كان هو موجده
وخالقه الا ان مساوقة الزمان لا تقتضي الكون
في الزمان كالعالم فانه مع الخردلة وليس فيها واذا
كان تعالى ليس في الزمان لم يكن له غاية منه يقف عندها
فثبت انه تعالى باق دائم على مر الدهور والازمان والشهور
لان الواجب بالذات ممتنع العدم دائما فان كل ما كان
واجب الوجود لذاته في وقت فهو واجب الوجود في جميع الاوقات
ازلا وابدا ما دام الذات لان الواجب بالذات ما كان
مجرد ذاته كافيا في كونه واجبا وكلما كان مجرد ذاته
كافيا في كونه واجبا وجب وجوده في كل وقت اذ لو
وجد في وقت دون وقت لزم اما الترجيح بلا مرجح
او الوقوع بسبب وهم قد فسروا الباقي من اسمائه تعالى
بما لا سبيل عليه الفناء او الذي لا يعرض عليه عوارض الزوال

ولا ينتهي تقدير وجوده في الاستقبال ويعبّر انّه بانّه ابديّ
الوجود لانّ بقائه غير متناه ولا محدود وليست صفة بقائه
ودوامه كبقاء الجنّة والنّار ودوامهما لانّ بقائه
ابديّ ازليّ وبقائهما ابديّ غير ازليّ وليس المراد
ببقائه استمرار وجوده من حيث انتسابه الى الزمان الثاني
كما هو المشهور في تفسيره وجوّزه بعض الفضلاء المتأخّرين
المائلين الى القول بالزمان الموهوم كما اشرنا اليه نعم
يمكن تصحيح المعنى المشهور على القول بالزمان التقديري
كما اومأنا اليه في بعض رسائلنا المعمولة لتحقيق الحدوث
الدّهري فليطالع من هناك **وقهر عباده بالموت والفناء**
القهر الغلبة والقهّار من صفاته تعالى والعباد جمع عبد و
اكثر ما يطلق على المملوك وقد يطلق على الانسان
حرًّا كان او رقًّا قال صاحب المحكم يذهب بذلك الى انّه
مملوك لباريه عزّ وجلّ وقال سيبويه هو في الاصل صفة قالوا

ابر

رجل عبد ولكنّه استعمل الاسماء وقال الجوهري
واصل العبوديّة الخشوع والذلّ وللعبد عشرون جمعًا
واشهرها عباد وعبيد واعبد وجعل بعضهم العباد
لله وغيره من الجمع لله والمخلوقين والمراد بالعباد هنا
جميع ما سوى الله لاشتراك الكلّ في الامكان المصحّح
لطريان العدم يعني انّه تعالى يجعلهم مقهورين مغلوبين
باماتتهم وافنائهم وينفرد هو بالبقاء كلّ من عليها فان
ويبقى وجه ربّك ذو الجلال والاكرام والتعبير بصيغة
الماضي للدّلالة على تحقّق وجوده كانّه امر وقع و
تحقّق ومن لا يقول باعادة المعدوم بعينه بل بتفرّق
اجزاء الجسم وخروجها عن حيز الانتفاع يأوّله بانّ
ما سوى الله تعالى دائمًا في التغيّر والتبدّل وفي معرض
الفناء والزوال وهو تعالى من حيث الذات والصفات باقٍ ازلًا
وابدًا من حيث لا يلحقه شائبة تغيّر اصلًا ففي كلّ شيء فان

الا اذنه تع وهذا مضمون رواية صحيحة رواها ثقة الاسلام
في اصول الكافي و جماعة من المتكلمين على ان الموت
فعل من الله او من الملك يقتضي زوال الحيوة الجسم من غير حرج
وجمهور المعتزلة القائلين بان النفس جسم لطيف بخاري يتكون
من الطف اجزاء الاغذية وينفذ في العروق الضوارب والحيوة
عرض قائم بالنفس وحال فيها قالوا وكيفية قبض
ملك الموت للنفس انه يلج في فم الانسان الى قلبه لانه
جسم لطيف هوائي لا يتعذر عليه النفوذ في المخارق الضيقة
فيخالط النفس التي هي كالشبيهة به لانها جسم لطيف
بخاري ثم يخرج من حيث دخل والنفس معه وانما
يكون ذلك في الوقت الذي ياذن الله تع له فيه وهو
حضور الاجل وهؤلاء نافون للنفس المجردة واما المثبتون
لتجردها كاعاظم الحكماء الالهيين واكابر الصوفية
العارفين وجمع من المتكلمين كقدمائنا اصحابنا الامامية

مثل ابن بابويه والمفيد والمرتضى وبني نوبخت والغزالي
والفخر الرازي وغيرهم فحقيقة الموت عند هؤلاء هي انقطاع
تعلق النفس بالبدن وتصرفها فيها الخروجه عن حد الانتفاع
به وكيفية قبض ملك الموت لها انه يتولى افاضة العدم
على قوى هذا البدن حال انقطاع تعلق النفس به و
على هذا فيكون خروج النفس عن ابدانها كما ورد في
بعض الايات والروايات كناية عن مفارقتها لها
وانقطاع تعلقها بها ولما كانت النفس منغمسة منغمرة
في عوارض البدن وعلائقه المادية وملاحظتها اياه
دائما لا ينفك عن الالتفات اليه ما دامت متعلقة به
لسعيها في مصالح هذا المزاج وصلاحه واعدادها اياه
لتمام التصريف والاستعمال كانت كانها حالة فيه
حلول الساكن في الدار القائم بمصالحها فعبر عن القائها
اياه وطرحها له وتخليها عنه بالخروج عنه فالموت

عند الاولين من المتكلمين كما سبق وجوده واستدلوا
عليه بكريمة خلق الموت والحيوة ليبلوكم فان المعدوم
لا يوصف بالخلق والحق ان المراد به احداث اسبابه
على حذف المضاف وله اسباب منها ما به يفسد مزاج
القلب من الم شديد ٢/ او كيفية غريبة سمية او احتباس
مادة النفس والمبرسمون في الاكثر يموتون بعد النفس هذا
وفني المال يفنى من باب تعب نفد ويتعدى بالهمزة
فيقال افنيته والقول بان الله يخلق الفناء فيفنى به الاجسام
جميعاً لكونه ضداً لها ليس بشيء لانه لو كان قائماً بذاته
كان جوهراً ولو كان قائماً بغيره فاما جوهراً وينتهي اليه
وعلى التقديرين لا يكون ضد الجوهر فلا ينافيه تبصرة
قال بعض المحققين اعلم ان الذي نطقت به الاخبار
وشهد به الاعتبار ان الموت ليس الا انتقال وهو
مفارقة الروح لهذا البدن الجاري مجرى الآلة لذي

٢/ او كيفية مفرطة من الكيفيات المعلومة ع

الصنعة وان الروح باقية بعده كما شهدت به البراهين
العقلية والاخبار النبوية المتواترة ومعنى مفارقتها
له انقطاع تصرفها فيه لخروجه عن حد الانتفاع به
فما كان من الامور المدركة لها يحتاج الى آلة فهي
معطلة عنه بعد مفارقته البدن الى ان تعاد اليه
في القبر او يوم القيمة وما كان لها بنفسها من غير آلة
فهو باق معها تتنعم به وتفرح او تحزن من غير حاجة
الى هذه الآلة في بقاء تلك العلوم والادراكات الكلية
لها هناك وقد ضرب للمفارقة التي سميناها بالموت
مثل فقيل كما ان بعض اعضاء المريض يتعطل بحسب
فساد مزاج يقع فيه او بحسب سدة تعرض للاعصاب
فتمنع نفوذ الروح فيها فتكون النفس مستعملة لبعض
الاعضاء دون ما استعصى عليها منها فكذلك الموت
عبارة عن استعصاء جميع الاعضاء وتعطلها و

خاصل هذه المفارقة يعود الى سلب الانسان عن هذه
الاعضاء والالات والتعينات الدنيوية من الاهل
والمال والولد ونحوها ولا فرق بين ان تسلب هذه
الاشياء عن الانسان او يسلب هو عنها اذا كان
المولم هو الفراق وقد يحصل ذلك بنهب مال الرجل
وسبي ذريته وقد يحصل بسلبه ونهبه عن اهله و
ماله فالموت بالحقيقة هو سلب الانسان عن امواله
بازعاجه الى عالم اخر فان كان له في هذا العالم شيء
يانس به ويستريح اليه فبقدر عظم خطره عنده يعظم
تحسره عليه في الاخرة ويكون بسبب عظم خطره عنده
ضعف تصوره لما اعد للابرار المتقين في الاخرة مما
يستحقر في القليل منه اكثر نفائس الدنيا فاما اذا كان
عين بصيرته مفتوحة حتى لم يفرح الا بذكر الله و
لم يانس الا به عظم نعيمه وتمت سعادته اذا خلى بينه

وبين

وبين محبوبه فقطع علائقه وعوائقه الشاغلة له عنه
ووصل اليه وانكشف له هنالك ما كان يدركه من
السعادة بحسب الوصف انكشاف مشاهدة كما يشاهد
المستيقظ ما راه في النوم والناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا ولذلك
كان الموت راحة للمؤمنين ومحبوبا للمتقين كما اشار
اليه سيد المرسلين صلوات الله عليه واله اجمعين
ليس للمؤمنين راحة دون لقاء الله صل على محمد
علم منقول من اسم المفعول المضعف سمي به نبينا الهاما
من الله وتفؤلا بانه يكثر حمد الخلق له واله الاتقياء
المتنزهين عما يشغل سرهم عن الاقبال عليك والمتبتلين
بسرائرهم اليك وهذا هو التقوى الحقيقي المعني بقوله تعالى
واتقوا الله حق تقاته وقد سئل بعض اهل بيت العصمة
سلام الله عليهم عن معناه فقال هو ان لا يراك الله حيث
نهاك ولا يفقدك حيث امرك فالمتقي من يجتنب المنهيات

باسرها ويرتكب المأمورات بتمامها وقد يراد به من
يتوقى العذاب المخلد بالتبرء عن الشرك فله ثلث مراتب
والمعروف باسم التقوى في عرف الشرع هو المرتبة الثانية
والتقوى في اللغة بمعنى الاتقاء وهو اتخاذ الوقاية
من المحذورات وعند اهل الحقيقة هي الاحتراز بطاعة
الله عن عقوبته وقيل هي وقاية النفس عما يضر في
الآخرة من اعتقاد وعمل وخلق وقال بعض العلماء رحمهم
بحسب العرف الشرعي تعود الى خشية الحق سبحانه المستلزمة
للاعراض عن كل ما يوجب الالتفات عنه من متاع الدنيا
وزينتها وتنحية ما دون وجهة القصد وقيل ان اجزاء
الدنيا والآخرة جمعت تحت نقطة واحدة وهي التقوى
انظر الى ما في القرآن الكريم من ذكرها فكم علق عليها
من خير ووعد لها من ثواب واضاف اليها من سعادة
دنيوية وكرامة اخروية ولنذكر من خصالها و

آثارها

آثارها الواردة فيه اثنتي عشرة خصلة الاولى المدحة
والثناء قال تع وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم
الامور الثانية الحفظ والحراسة قال تع وان تصبروا و
تتقوا لا يضركم كيدهم شيئا الثالثة التأييد والنصر
قال تع ان الله مع الذين اتقوا الرابعة النجاة من الشدائد
والرزق الحلال قال تع ومن يتق الله يجعل له مخرجا
ويرزقه من حيث لا يحتسب الخامسة صلاح العمل قال تع
يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح
لكم اعمالكم السادسة غفران الذنوب قال تع ويغفر لكم
ذنوبكم السابعة محبة الله قال تع ان الله يحب المتقين
الثامنة قبول الاعمال قال تع انما يتقبل الله من المتقين
التاسعة الاكرام والاعزاز قال تع ان اكرمكم عند الله
اتقيكم العاشرة البشارة عند الموت قال تع الذين امنوا
وكانوا يتقون لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الآخرة

الحادية عشر النجاة من النار قال تع ثم ننجي الذين اتقوا
الثانية عشر الخلود في الجنة قال تع اعدت للمتقين فقد
ظهر لك ان سعادة الدارين منطوية فيها ومندرجة
تحتها وهي كنز عظيم وغنم جسيم وخير كثير وفوز كبير انتهى
والاتقياء جمع تقي وهو المتجنب عن المعاصي وقال
الشهاب الفيومي رجل تقي زكي وقوم اتقياء وتقي يتقي
من باب تعب تقى واتقاء والاسم التقوى واصل التاء واو
ولكنهم قلبوا انتهى فاصل تقي وقي قلب الواو تاء كما في تخمة وتراث
واسمع ندائي سماع قبول واجابة والا فهو سبحانه لا يشغله
صوت عن صوت ولا شان عن شان وهو الذي
يسمع السر والنجوى سواء عنده الجهر والخفوت
والنطق والسكوت فيكون المراد بالسماع الاجابة
والقبول وهو في الاستعمال شايع يق فلان سامع مطيع
اى سامع لما يؤمر به كائنا ما كان سمع طاعة وقبول

ومنه

ومنه قوله تع واتقوا الله واسمعوا وقال بعض العلماء
اصل السماع الاصغاء لكنهم استعملوه في الاجابة
وقبول الامر كثيرا كما تقول سمع فلان ما قلت له
ومنه قولهم سمع القاضي البينة اى قبلها انتهى
ومن هذا القبيل قوله صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به
وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا وقول الاخر
اصم عن الشيء الذي لا اريده واسمع خلق الله حين اريد
والمشهور في الاستدلال على كونه تع سميعا مع
قطع النظر عما علم ضرورة من دين نبينا عليه وآله السلام
من كونه سميعا ان كمال الحيوة ولا سيما كونها مع كمال
التجرد يقتضي ادراك المسموعات وليس سمعه تع من صفات
الفعل المتعلقة بالموجود العيني ليكون حادثا بعد
الوجود بل هو من صفات الذات فيكون قديما يمكن
تعلقه بالمعدوم كسائر العلوم وبعد وجود المسموع

يتعلق به من حيث الوجود والحضور ولا تفاوت بين
حضوره باعتبار الوجود وعدمه فيما يرجع الى هذه الصفة
نعم لما كان هذا النوع من الادراك في الانسان
مثلاً مشروطاً بشرائط لا يتصور في المعدوم لم يمكن
تعلقه به ولا يشترط شيء منه في سماعه تع فلا يستحيل
تعلقه بالمعدوم وقال المحقق الطوسي لما كان السمع
والبصر الطف الحواس واشدها مناسبة للعقل عبر
بهما عن العلم ولاجل ذلك وصفوا البارى تع بالسميع والبصير
دون الشام والذائق واللامس وعنوا بهما العالم بالمسموعات والمبصرات
واستجب دعائي اجب واستجب بمعنى ولعله عليه السلم
اراد الايماء بذلك الى قوله تع ادعوني استجب لكم
وللاجابة شرائط واداب من طرف الداعي اذا اختل
واحد منها لم يجبه منها اخلاص النية وحضور القلب
والاستكانة والخشوع والصدق في الالحاح وحسن

الظن

الظن بالله وتعلق القلب به وقطعه عن الاسباب ومن
اسبابه الصلوة على رسول الله واهل بيته عليهم السلام
فلا ينبغي له الترك والياس بل الواجب عليه اصلاح سره
وحاله ليكون مطابقاً لمقتضى الحكمة والمصلحة
فيجيبه وقد يجيب ويؤخر بضرب من المصلحة ولو لم يستجب
بعوضه اما في الدنيا او الآخرة كما اشار الى ذلك صاحب
الدعاء جعلت له الفداء في وصيته لابنه الحسن عليه السلم
حيث قال ولا يقنطنك ابطاء اجابته فان العطية على قدر
النية وربما اخرت عنك الاجابة ليكون ذلك اعظم
لاجر السائل واجزل لعطاء الآمل وربما سألت شيئاً
فلا تؤتاه واوتيت خيراً منه عاجلاً او آجلاً او صرف عنك
لما هو خير لك فلرب امر قد طلبته فيه هلاك دينك
لو اوتيته فانظر كيف عد لتأخر الاجابة اسباباً تسكن
السائل عند تأخرها فلا يقنط من رحمته تع واما ما يقال

اى فائدة فى الدعاء لان المطلوب منه ان كان مقدرا

وجب وقوعه وان كثر فيه دعاؤه فجوابه معلوم لانه تعالى

اذا قدر شيئا الا يقع الا بالدعاء امتنع وقوعه الا بالدعا

وعدم دعائه دليل على عدم كونه مقدرا له وقد جاء

فى الخبر عن سيد البشر انه سئل انحن فى امر فرغ منه او

فى امر مستانف فقال نحن فى امر قد فرغ منه وفى امر

مستانف واما من دعا لا يلزم من دعائه ان يصل الىه

ما قدر وصوله اليه بالدعاء فان الدعا وحده ليس

بسبب موجب بل يحتاج وصوله اليه الى شرايط اخر

كما سبق هذا والدعاء بالضم والمد والنداء متقاربان

بل مترادفان لان الدعاء لغة النداء والاستدعا تقول

دعوت فلانا اذا ناديته وصحت به لان اصله الصياح

والدعوة المرة واصطلاحا طلب الادنى للفعل من الاعلى

على جهة الخضوع والاستكانة وقيل هو الرغبة

الى الله وطلب الرحمة منه على وجه الاستكانة والخضوع

وقد يطلق على التمجيد والتقديس لما فيه من التعرض

للطلب سئل عطا عن معنى قول النبى صلى الله عليه وآله

خير الدعاء دعائى ودعاء الانبياء من قبلى وهو لا اله

الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت

وهو حى لا يموت بيده الخير وهو على كل شئ قدير

وليس هذا دعاء وانما هو تمجيد وتقديس فقال هذا

امية بن ابى الصلت يقول فى ابن جذعان

اذا اثنى عليك المرء يوما كفاه من تعرضه الثناء

فيعلم ابن جذعان ما يراد منه بالثناء عليه ولا يعلم رب

العالمين ما يراد منه بالثناء عليه

وحقق بفضلك املى ورجائى

امر من حقق بمعنى ثبت اى اجعله محققا مقضيا او

من حق الامر بمعنى تحققه فالمقصود انه اجعله

متحققا متيقنا بحيث لا يكون مشكوكا والفضل
الزيادة والسعة واصله ان يبقى من الشئ زيادة لا يحتاج اليه
وفضله تعالى افاضة جوده وكرمه ابتداء من دون
سابقة استحقاق فاذا عرف العبد سعة رحمته وفيضه
ولطفه ورأفته واحسانه وجوده وامتنانه واجرائه نعمه
عليه ظاهرة وباطنة جلية وخفية ضرورية وغير ضرورية
منذ كونه جنينا في بطن امه بلا سبق استحقاق ولا
تقدم استيهال كان ذلك موجبا لسكون نفسه
اليه باعثا على رجاء دليلا له على توقع قضاء حاجته منه
واسعافه بما موله فلا جرم جعل ذلك سببا لسؤاله
والامل محركة الرجاء فالعطف تفسيري

يَا خَيْرَ مَنْ دُعِيَ لِكَشْفِ الضُّرِّ وَالْمَأْمُولِ

حذف الداعي للتعميم لانه تعالى يدعوه ويسئله من في
السموات والارض كما اشار اليه في كتابه الكريم

والكشف وهو المدعو له كالضرب رفع الشئ
عما يواريه ويغطيه وبعبارة اخرى رفع الستر والحجاب عن
الشئ ومنه الكشاف واضافته المصدر الى المفعول
اي لكشف الضر وفيه استعارة بالكناية وترشيح او
استعارة تمثيلية مرشحة بان يشبه الهيئة الحاصلة من احاطة
الضر بالمضطر واصطحاب احدهما الآخر بالهيئة الحاصلة
من احاطة الستر المستور واصطحاب احدهما الآخر ومن
اسمائه تعالى كاشف الضر معناه المفرج الذي يجيب
المضطر اذا دعاه ويكشف عنه السوء والضر بفتح الضاد
خلاف النفع وبالضم الهزال وسوء الحال وضره و
ضاره بمعنى والاسم الضر والمأمول معطوف على
الكشف اي لحصوله وقضائه وانجاحه ففيه اشارة
الى انه تعالى مدعو لامرين دفع الضر وجلب النفع

لِكُلِّ عُسْرٍ وَيُسْرٍ

صعب وسهل او جليل وحقير لانه ينبغي للعاقل ان يرجع
في كل حوائجه الى ربه وينزلها به جليلة كانت او حقيرة
ولا يانف من رفع المحقرات اليه فان غاية التوكل عليه
يا موسى سلني كل ما تحتاج اليه حتى علف شاتك و
ملح عجينك والعسر ضد اليسر وهو الضيق والشدة
والصعوبة فاليسر هو السعة والرخاء والسهولة قال اسحق بن بهلول القاضي

فلا تيأس وان اعسرت يوما ... فقد ايسرت في دهر طويل
ولا تظنن بربك ظن سوء ... فان الله اولى بالجميل
وان العسر يتبعه يسار ... وقول الله اصدق كل قيل

اعلم ان من اسباب اجابة الدعاء ان لا يعتمد الداعي على
غير الله تعالى اذا اراد احدكم ان لا يسئل ربه شيئا الا
اعطاه فلييأس من الناس كلهم ولا يكون له رجاء الا من
عند الله فاذا علم الله ذلك من قلبه لم يسئل له شيئا
الا اعطاه يا عيسى سلني ولا تسئل غيري فيحسن منك الدعاء

ومنى الاجابة والى ذلك اشار بقوله **بك** لا بغيرك
انزلت حاجتي لانه ليس لانجاح بغيتي واسعاف
طلبتي قادر سواك فتقديم الظرف لافادة التخصيص والحصر
وذلك لانه تعالى لما كان له خزائن السموات والارض
وكان امرها بيده لا معطي ولا مانع الا هو وقد امر بالدعاء
وتكفل بالاجابة وكانت له القدرة التامة التي لا
يعجزها شيء والجود الذي لا بخل فيه والغنى الذي لا
فقر معه لا ينقصه عطاء ولا يضره منع لا جرم من طلب
اصلاح خلته وجبر فاقته من عنده ورام صرف الفقر
عن نفسه به طالبا لحاجته من موضعها الذي يعلم
انها فيه وقصد ما طلبه من جهة التي يقصد
منها فكان حريا بالنجح لما سئل وجديرا بالظفر بما طلب واما
من توجه بحاجته الى احد من المخلوقين واناخ مطايا
الرجاء والطلب في ساحة فقير عاجز مثله وجعله

سببًا لنجاحها والظفر بها معتمدًا عليه دون الله فقد
تصدّى للمنع وفوت الاحسان من الله تعالى اذ لم يأت حاجته
من الوجه الذي ينبغي أن يأتيها منه ولم يطلبها من محلّها
الذي هي فيه ومن التمس الشيء من غير محلّه واتاه من غير
جهته لم يظفر الا بالحرمان ولم يحصل الا الخيبة المطلب
روى أنّ أبا عبد الله قرء في بعض الكتب أنّ الله تعالى يقول
وعزّتي وجلالي ومجدي وارتفاعي على عرشي لاقطعنّ امل كلّ
مؤمّل غيري باليأس ولاكسونّه ثوب المذلّة عند الناس
ولانحّينّه من قربي ولابعدنّه من وصلي ايؤمّل غيري في
الشدائد والشدائد بيدي ويرجو غيري ويقرع بالفكر
باب غيري وبيدي مفاتيح الابواب وهي مغلقة
وبابي مفتوح لمن دعاني فمن ذا الذي امّلني لنوائبه
فقطعته دونها ومن ذا الذي رجاني لعظيمة فقطعت
رجاءه منّي جعلت آمال عبادي عندي محفوظة

فلم

فلم يرضوا بحفظي وملأت سمواتي ممن لا يملّ من تسبيحي
وامرتهم ان لا يغلقوا الابواب بيني وبين عبادي
فلم يثقوا بقولي الم يعلم من طرقته نائبة من نوائبي
انّه لا يملك كشفها احد غيري الّا من بعد اذني
فمالي اراه لاهيًا عنّي اعطيته بجودي ما لم يسئلني ثم
انتزعته منه فلم يسئلني ردّه وسأل غيري افتراني ابدأ
بالعطاء قبل المسئلة ثمّ اسئل فلا اجيب سائلي ابخيل
انا فيبخلني عبدي اوليس الجود والكرم لي اوليس
العفو والرحمة بيدي اولست انا محلّ الآمال فمن
يقطعها دوني افلا يخشى المؤمّلون ان يؤمّلوا غيري
فلو انّ اهل سمواتي واهل ارضي امّلوا جميعًا ثمّ
اعطيت كلّ واحد منهم مثل ما امّل الجميع ما انتقص
من ملكي مثل عضو ذرّة وكيف ينقص ملك انا قيّمه
فيا بؤسًا للقانطين من رحمتي ويا بؤسًا لمن عصاني

ولم يراقبني وفي هذا المعنى احاديث اخر رووها العامة
والخاصة لا يقال العالم عالم الاسباب فكيف يذم
من رجع الى الغير لظنه انه سبب لانا نقول الذم باعتبار
ان قلبه تعلق به واعتمد عليه واما من لم يركن اليه
ولم يثق به ولم يعتمد عليه فالظاهر انه غير مذموم والاولى
مع ذلك ان يرجع الى الله تعالى فان شاء ان يكون قضاء
حاجته على يد احد جعله وسيلة له شاء او لم يشأ هذا
ونزل بالمكان حل به والمراد بانزال الحاجة به تعالى
عرضها عليه واستدعاء انجاحها منه فهو على
الكناية والترشيح لان الحاجة عرض لا يتصف
بالنزول لان الصعود والنزول والحركة والسكون وما
شاكلها من صفات الاجسام فلا يتصف بها الا
المتحيز بالذات والغالب ان النزول موصول بالى او على
الحمد لله الذي نزل على عبده الكتاب نزل به الروح الامين

ع

على قلبك ربنا انزل علينا مائدة من السماء فاجعل اللهم
صباحي هذا نازلا علي بضياء الهدى ان الله ينزل
كل ليلة الى السماء الدنيا اي رحمته والطافه وملائكته
فلعل الوجه ان استعمال النزول معها انما يكون اذا
كان النازل في جهة عالية والمنزول عليه على خلافها
كما في الاية والرواية واما اذا كان الامر بالعكس فلا بد
من وصلها باللام لتدل على نحو من المقاربة حقيقة او حكما
ومنه نزل بك وانت خير منزول به والا فليس لله تعالى مكان منزل و
ليتصور النزول به حقيقة فهو مجاز عن القرب الحاصل
بالتبتل والانقطاع عن غيره اليه والتوكل عليه او هو
مبني على الكناية والترشيح بتشبيهه تعالى ذلك بعظيم يشد اليه
الرحال وينزل عليه الرجال ولما حصر طريق نجاح مطالبه
ومسالك افاضة مسائله ومآربه عليه تعالى وهو جل ذكره كريم
لا ينبغي له ان يرد الطالب والسائل عن بابه خائبا

كيف وقد قال في كتابه العزيز واما السائل فلا تنهر فرع عليه قوله

فلا تردني من سني مواهبك خائبا

السني فعيل من السناء وهو الرفعة ومنه بشر امتي بالسنا
اي بارتفاع المنزلة والقدر عند الله تع وقد سني
يسني سناء اي ارتفع واما السنى بالقصر فهو الضوء
اي من مواهبك الرفيعة فالاضافة من قبيل جرد
قطيفة والهبة العطية الخالية عن الاعواض يقال
وهبت له شيئا وهبا وهبة والاسم الموهب والموهبة
بالكسر وخائبا حال من ضمير المفعول وقد مر الخيبة
مفسرة والظرف مع المضاف اليه متعلق برد اي لا ترجعني
في حال خيبتي من عطياتك السنية وعن الباقر عليه السلم
ما بسط عبد يده الى الله عز وجل الا استحيى الله عز وجل
ان يردها صفرا حتى يجعل فيها من فضله ورحمته
ما يشاء فاذا دعا احدكم فلا يرد يده حتى

يمسح

يمسح بها على راسه ووجهه وفي دعائهم عليهم السلم ولم ترجع
يدا طلبة صفرا من عطائك وخائبة من نحل هباتك

يا كريم يا كريم يا كريم

ثلثا قيل اذا عين ذكر بعدد مخصوص فلا ينبغي ان يتجاوز
الداعي العدد المنصوص عليه ولا ينقص منه فان الظاهر
ان الثواب والاثر المترتب على عدد معين لا يترتب على
اكثر منه او اقل وبه صرح ابن طاوس وغيره وقد مثل له
بانه اذا قال لك صادق القول عد من هذا المقام عشرة اذرع
فحيث انتهى كان فيه كنز فلا شبهة في انه لا يمكن
تحصيله فيما فوق العشرة ولا دونها انتهى والكرم
يطلق على ضد اللؤم ويطلق على الجود وهو المراد هنا
قال ابن الاثير من اسمائه تع الكريم وهو الجواد المعطي
الذي لا ينفد عطاؤه ولما كان الجود الالهي لا بخل فيه
ولا منع من جهته لم يخيب سائلا عن حاجته وان عظم

خطره وجل قدره اذ لا اثر للنقصان فی خزائن ملکه
وعموم جوده بل جوده غیر متناهیة وکرمه غیر
محدود حکی ابو القاسم الدمشقی قال کنت واقفا
علی حلقة الشبلی فی جامع المدینة فوقع سائل علی
حلقته وجعل یقول یا الله یا جواد فتاوه الشبلی و
صاح فقال یمکننی ان اصف الحق بالجود ومخلوق یقول فی مثله

تعود بسط الکف حتی لو انه ... ثناها لقبض لم تطعه انامله
تراه اذا ما جئته متهللا ... کانک تعطیه الذی انت سائله
ولو لم یکن فی کفه غیر روحه ... لجاد بها فلیتق الله سائله
هو البحر من ای النواحی اتیته ... فلجته المعروف والجود ساحله

ثم بکی وقال بلی یا جواد انک اوجدت تلک
الجوارح وبسطت تلک الهمم ثم مننت بعد ذلک علی
قوم بالاستغناء عنهم وغنا فی ایدیهم فانت الجواد کل
الجواد فانهم یعطون عن محدود وعطاؤک لا حد له

ویفتخرون اذا اعطوا ولا تفتقر من العطا ولا تعجز
عن الجزاء فیا جوادا یعلو کل جواد وبه جاد کل من
جاد هذا والکریم الکثیر الخیر ونخلة کریمة اذا طاب
حملها او کثر والعرب تسمی الذی یدوم ویسهل
تناوله کریما ومن کرمه تعالی انه یبتدئ بالنعمة
قبل استحقاقها ویغفر الذنوب ویعفو عن المسیء وقیل الکریم
المعبود وقیل انه الصفوح وقیل معناه العلی الرتبة
ومنه کرائم المواشی لنفاستها وقال الواحدی
الکریم اسم جامع لکل ما یحمد ویستحسن فی بابه فالله تعالی
کریم لانه محمود فی کل ما یحتاج الیه والقران کریم لانه
یوجد فیه بیان کل شیء واولئک لهم مغفرة ورزق
کریم هو نعیم الجنة المقرون بالدوام واللذة وقیل
الکریم العزیز کما تقول فلان اکرم علی من فلان
ای اعز وقوله انه لقران کریم ای عزیز وقیل ای

كثير الخير دالّ على انّه من عند الله والجواد هو المنعم
المحسن الكثير الانعام والاحسان والفرق بينهما
انّ الكريم هو الذي يعطي مع السؤال والجواد
هو الذي يعطي من غير السؤال وقيل بالعكس والمراد
بكرمه تعـ فيضان الخير عنه من غير بخل ومنع و
تعويق على كل من يقدر ان يقبله بقدر ما يقبله و
هذا من باب تعليق الامر على الوصف ليدل على عليّته
وذلك انّه تعـ لمّا كان كريمًا والكريم اذا وعد وفا و
سبحانه قد وعد لاجابة الدعاء فقال ادعوني استجب لكم
فليس لايقًا لوجهه الكريم وفضله الجسيم ان يردّ سائله
من عطائه العميم واحسانه العظيم فلا تردّني من سنيّ مواهبك يا كريم

برحمتك يا ارحم الراحمين

الذي سبقت رحمته غضبه وهو الذي كتب
على نفسه الرحمة والباء للاستعطاف وللسببية اي

فلا تردّني خائبًا بسبب رحمتك التي وسعت كل شيء
لا بالاستحقاق منّي وتعقّب الدعاء بهذا النداء
توقّعًا لحصول المطلب واستعطافًا بوصفه الدالّ على
انّه الجواد المطلق الذي لا يرحم لمنفعة تعود اليه ولا مضرّة
يدفعها عنه وكل رحيم سواه فرحمته لغرض من الاغراض
امّا ثناء دنيويّة او اجرًا اخرويًّا او للرقّة الناشية من الجنسية
او نحو ذلك على انّ تلك الرحمة ايضـ يتوقف على داعية يخلقها الله
تعـ فيه والآفات والآلام التي تراها في هذا العالم
لا تنافي رحمته تعـ لانّ كلّها مستتبعة لمصالح او غايات
لا يعلمها الا هو وانّها ضروريّة في الوجود لاشتمالها
على الخيرات اكثر من الشرور ومما يناسب ايراده هنا ما رواه
بعضهم انّه وقف على صبيّ في بعض الغزوات ينادي
عليه بمن يزيد في يوم صائف شديد الحرّ فبصرت به
امرأة وهو ينادي فعادت مسرعة اليه واخذته والصقته

اجراءً

الى بطنها ثم القت ظهرها على البطحاء واجلسته على بطنها
تقيه الحر فتقول ابنى ابنى فبكى الناس وتركوا ما هم فيه
فاقبل رسول الله صلعم حتى وقف عليهم فاخبروه فقال
اعجبتم من رحمة هذه بابنها ان الله ارحم بكم من هذه
بابنها فتفرق المسلمون وهم فرحون مستبشرون وروى
انه سبحانه لما نفخ فى ادم من روحه وصار بشرا فعند
ما استوى جالسا عطس فالهم ان قال الحمد لله رب العالمين
فقال الله يرحمك الله يا ادم فكان اول خطاب توجه
منه اليه بالرحمة وحين ارسل موسى الى فرعون لدعوته
قال له اخبره انى الى العفو والمغفرة اسرع منى الى
الغضب والعقوبة وروى انه لما استغاث بموسى حين
ادركه الغرق ولم يستغث بالله فاوحى اليه يا موسى لم تغث
فرعون لانك لم تخلقه لو استغاث بى لاغثته و
روى ان يونس بن متى لما صار الى البحر الذى فيه

قارون

قارون قال للملك الموكل به ما هذا الدوى والهول
الذى اسمعه قال هذا يونس الذى حبسه الله فى بطن الحوت
فجالت به البحار السبعة حتى صار الى هذا البحر فهذا
الدوى لمكانه قال افتاذن لى فى كلامه فقال قد
اذنت لك فقال له قارون يا يونس الا تبت الى ربك
فقال له يونس الا تبت انت الى ربك قال له قارون
ان توبتى جعلت الى موسى وقد تبت اليه فلم يقبل و
انك لو تبت الى الله لوجدته عند اول قدم ترجع بها
اليه اولا تنظر الى حسن صنعه بعباده وكيف تعلقت
عنايته بالاحسان اليهم والرحمة لهم والرحمة النعمة
وما ارسلناك الا رحمة للعالمين اى نعمة عليهم ويقال
للقران رحمة وللغيث رحمة اى نعمة ويقال لرقيق القلب
من الخلق رحيم لكثرة وجود الرحمة منه بسبب الرقة واقلها
الدعاء للمرحوم والتوجع له والطاف الراحم عليه نعم

وعلى غيره انما هو من باب الاشتراك اللفظي اذ لا شركة
بينه وبين غيره في المعنى اصلاً فانّ رحمته تعالى تناسب ذاته
المقدسة ورحمة غيره رقة انعطاف تقتضي الشفقة
واللطف بالخلق وليست في حقه تعالى بمعنى الرقة بل
معناها ايجاد النعمة للمرحوم وكشف البلوى عنه لانه
ذو الرحمة الشاملة التي وسعت الخلق في ارزاقهم و
اسباب معاشهم وعمّت المؤمن والكافر والصالح
والطالح وغيرهم من الموجودات خذ الغايات واحذف المبادي
وقد مرّت في فواتح الدعاء مبسوطة مشروحة فليتذكر

وصلى الله على سيدنا خير خلقه

سيّد ولد آدم بل آدم ومن دونه تحت لوائه بل كان
نبياً وآدم بين الماء والطين وهو المشرف بخطاب لولاك
لما خلقت الافلاك وفي اضافة المصدر المفيد للعموم
دلالة على انه اشرف المخلوقات واكمل الموجودات وهو

كذلك لقوله صلى الله عليه وسلم انا سيد من خلق الله وقوله تعالى
خلقت الاشياء لاجلك وخلقتك لاجلي لانه اول من
تشرف بعنايته الله وصار مظهر جلاله وجماله وقد
تقرر في مقره انّ اول خلق الله اشد مناسبة بذاته تعالى
اذ لا واسطة بينه وبين خالقه واما استدلال صاحب
الكشاف فيه بكريمة انه لقول رسول كريم على
افضلية جبرئيل منه صلى الله عليه وسلم حيث قال وناهيك بهذا دليلاً
على جلالة مكانة جبرئيل وفضله على الملائكة ومباينة
منزلته لمنزلة افضل الانس محمد اذا وازنت بين الذكرين
حين قرنت بينهما وقايست بين قوله انه لقول رسول
كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثمّ امين
وبين قوله وما صاحبكم بمجنون ففيه انه تعالى كشح البيان
في هذا المكان عن ذكر نعوته اما لكونه اجل من ان يمدح
في عرض مدح غيره وان كان جبرئيل ولانه الان المخاطبين

بهذه الاية لما زعموا انه مجنون وان القران مما القاه
الشياطين الى الكهنة اقتضى المقام ان لا ينعته
بصفات الكمال لئلا يزيدهم انكارا ولذا اخرج
الكلام على سبيل التلطف بهم والمداراة معهم حيث
اضيف الى انفسهم وعد من جملتهم تنبيها على ان شانكم ان
تفتخروا به على كافة البرايا حيث ان الله اصطفى من انفسكم
من بلغ تلك المرتبة العظمى لا ان تنسبوا الى ما يرجع
اليكم نقصا ويسلب عنكم عزا هذا وهذا الكلام
منه عليه السلام خبر وقع موقع الانشاء اما للتفال بلفظ
الماضي على انه من الامور الحاصلة التي حقها ان يخبر
بافعال ماضية او لاظهار الحرص في وقوعه لان
الطالب اذا عظمت رغبته في شئ كثر تصوره له فربما
يخيل اليه حاصلا فيورده بلفظ الماضي وهذا معنى
قولهم ان الدعاء بصيغة الماضي من البليغ يحتمل الامر

وروى ابن المغازلي عن سلمة بن كهيل قال مر علي بن
ابيطالب على رسول الله ص وعنده عايشة فقال يا عايشة
اذا سرك ان تنظري على سيد العرب فانظري الى علي بن
ابيطالب وعن سعيد بن جبير عن عايشة قال اقبل
علي بن ابيطالب فقال النبي ص من سره ان ينظر الى
سيد شباب العرب فلينظر الى علي بن ابيطالب فقالت
الست سيد شباب العرب فقال انا سيد ولد ادم و
علي سيد العرب وفي رواية اخرى قال رسول الله ص
انتهيت ليلة اسري الى سدرة المنتهى فاوحى الي
في علي ثلث انه امام المتقين وسيد المرسلين و
قائد الغر المحجلين الى جنات النعيم والسيد عند بعض
اهل اللغة المسن من المعز قال الجوهري وفي الحديث
عنه ص ثني من الضان خير من سيد المعز وقد يقال
لملك القوم وعظيمهم سيد وساد فلان قومه يسودهم

سوددا بالضم وسيادة اذا صار رئيسهم وقال الزجاج
السيد الذي يفوق في قومه وقال بعض اهل اللغة
السيد المالك او من في حكمه الذي يجب طاعته
ولذا يقال سيد الغلام ولا يقال سيد الثوب وقيل
لقيس بن عاصم بم سدت قومك قال ببذل الندى
وكف الاذى وقال النبي صلى الله عليه وآله علي سيد العرب فقالت عايشة
يا رسول الله الست سيد العرب فقال انا سيد ولد ادم وعلي
سيد العرب فقالت وما السيد فقال من افترضت طاعته
كما افترضت طاعتي فعلى هذا الحديث السيد هو
الملك الواجب الاطاعة وقد يطلق السيد على الرب
والشريف والفاضل والكريم والحليم والمتحمل اذى قومه والمقدم
والزوج ومنه والفيا سيدها لدى الباب واصله سيود قلبت
الواو لاجل الياء الساكنة قبلها ياء ثم ادغمت

محمد واله الطاهرين

بتطهير

بتطهير الله اياهم من كل رذيلة واذهابه عنهم دنس
كل كبيرة وصغيرة والطهارة النقاء من الدنس
والنجس والطاهر النقي منهما وفي اصطلاح ارباب
العرفان الطاهر من عصمه الله من المخالفات وهو
ينقسم على الطاهر الظاهر وهو من عصمه الله من المعاصي
والى طاهر الباطن وهو من عصمه الله من الوساوس
والهواجس وطاهر السر وهو من لا يزيغ عن الله
طرفة عين وطاهر العلانية وهو من قام بتوفيقه
حقوق الحق والخلق جميعا لسعته برعاية الجانبين
ولا خفاء في ان المراد ههنا ما يعم جميع هذه الاقسام
وهذه النعوت لهم عليهم السلام عين الحق ونفس الواقع
كيف لا وهم الذين قال الله في شانهم انما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا وما
احسن واصدق ما قال الجاحظ فيهم هم سنام العالم

وصفوة الامم وغرة العرب ولباب البشر ومصاص
بني ادم وزينة الدنيا وحلية الدهر وطينة البيضاء
والمغرس المبارك والنصاب الوثيق ومعدن المكارم
وينبوع الفضائل واعلام العلم وايمان الايمان
صلوات الله عليهم اجمعين واما قول القاضي البيضاوي روي
وتخصيص الشيعة اهل البيت بفاطمة وعلي وابنيهما
لما روي انه خرج ذات غدوة وعليه مرط مرجل من شعر
اسود فجلس فاتت فاطمة فادخلها فيه ثم جاء علي
فادخله فيه ثم جاء الحسن والحسين فادخلهما فيه
ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس ويطهركم
تطهيرا واحتجاج الشيعة بذلك على عصمتهم و
كون اجماعهم حجة ضعيف لان التخصيص لا يناسب
ما قبل الاية وما بعدها والحديث يقتضي انهم اهل
البيت لا انه ليس غيرهم فضعيف اما الاول فلان

القرآن انما نزل على الاساليب المنطوية عليها لغة
العرب لقوله قرآنا عربيا ومن عادة فصحائهم وبلغائهم
في كلامهم انهم يذهبون من خطاب الى خطاب
ثم يعودون اليه فمن ذلك ما وقع لامرئ القيس من
الفصل بين لذتي الحرب والبؤس بلذة الدعة في قوله
كاني لم اركب جوادا للذة ولم اتبطن كاعبا ذات خلخال
ولم اسبأ الزق الروي ولم اقل لخيلي كري كرة بعد اجفال
ففصل بين لذتي الحرب والبؤس وهما قوله كاني
لم اركب اه وقوله لخيلي الى اخره بلذة الدعة
وهي قوله ولم ابتطن الى قوله الروي من غير ضرورة
داعية من محافظة على وزن او قافية اذ كان له ان
كاني لم اركب جوادا ولم اقل لخيلي كري كرة بعد اجفال
ولم اسبأ الزق الروي للذة ولم اتبطن كاعبا ذات خلخال
فكون ما قبل الاية وما بعدها في ازواج النبي صلعم يمنع

كون وسطهما فيهم اذ الخروج من حكم الى اخر في القرآن
كثير جدًا فكثيرًا ما نزل الاية اولها في شيء واوسطها
في شيء اخر واخرها في اخر ولو اريد بالوسط النساء لقيل
عنكن او يطهركن دون عنكم ويطهركم فهذا
قرينة على المراد والقول بالتغليب سيظهر ضعفه
واما الثاني فلما قال ابو سعيد الخدري وانس بن مالك
وواثل بن الاسقع وعائشة وام سلمة وغيرهم ان الاية
مختصة برسول الله صلعم وعلي وفاطمة وابنيهما عليهم السلم
وقول النبي صلعم في جواب ام سلمة ادخلني معك ومعهم
في الكساء انت بخير والى خير وانما نزلت هذه الاية
في هولاء خاصة وفي ناص بالباب وفي تفسير الثعلبي
عن ام سلمة ان النبي صلعم كان في بيتها فاتته فاطمة ببرمة
فيها حريرة فقال لها ادعي زوجك وابنيك قالت
فجاء علي والحسن والحسين فدخلوا فجلسوا ياكلون

من تلك الحريرة وهو وهم على مقام واحد له علي وكان
تحته كساء خيبري قالت وانا في الحجرة اصلي فانزل الله
انما يريد الله ليذهب عنكم الاية قالت فاخذ فضل
الكساء فغشاهم به ثم اخرج يده فالوى بها الى السماء
ثم قال اللهم ان هولاء اهل بيتي وخاصتي فاذهب عنهم
الرجس وطهرهم تطهيرا فادخلت راسي البيت وقلت
انا معكم يا رسول الله صلعم قال انك الى خير وباسناده
قال مجمع ودخلت امي على عائشة فسالتها امي ارايت
خروجك يوم الجمل قالت انها كانت قدرا من الله
فسالتها عن علي فقالت تسالني عن احب الناس
كان الى رسول الله وزوج احب الناس كانت الى
رسول الله لقد رايت عليا وفاطمة وحسنا وحسينا
فجمع رسول الله صلعم بثوب عليهم ثم قال اللهم ان
هولاء اهل بيتي وخاصتي فاذهب عنهم الرجس و

وحامتي صح

طهّرهم تطهيرًا قالت فقلت يا رسول الله انا من اهلك
قال تنحّى انك الى خير وروى الترمذى فى الجامع عن
عمر بن ابى سلمة ربيب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت نزلت
انّما يريد الله ليذهب الاية فى بيت امّ سلمة فدعا
النبىّ فاطمة وحسنًا وحسينًا فجلّلهم بكساء وعلىّ خلف
ظهره ثمّ قال هؤلاء اهل بيتى فاذهب عنهم الرجس و
طهّرهم تطهيرًا وقالت امّ سلمة وانا معهم يا رسول
الله قال انت على مكانك وانت على خير وفى رواية
اخرى فقالت زينب يا رسول الله الا ادخل معكم
فقال رسول الله مكانك فانّك الى خير وفى صحيح
ابى داود السجستانى وهو كتاب السنن قالت امّ سلمة
وانا جالسة عند الباب فقلت يا رسول الله الست
من اهل البيت فقال انّك على خير انّك من ازواج
النبىّ صلى الله عليه وسلم فهذه وامثالها الكثيرة الواردة فى طريق القاضى

تقضى بكونهم المراد باهل البيت دون غيرهم من
ازواج النبىّ صلى الله عليه وسلم ونسائه المذكورات فيما قبل الاية وما
بعدها وبالجملة ما ذكروه واحتملوه من التغليب وكون
الاية تعليلًا لامرهنّ ونهيهنّ على الاتيان فيها ومن كون
الحكم عامًّا وتخصيص الشيعة اهل البيت بهؤلاء
والاحتجاج بذلك على عصمتهم وكون اجماعهم حجّة ضعيف
الى غير ذلك كلام فى مقابل النصّ الصحيح وبيان
الصريح الواردين فى الطرفين فلا يسمع ذلك منهم
نعم لولا ورود الروايات الصحيحة من الجانبين فى بيانها
لكان لما ذكروه واحتملوه وجه واذ قد ثبت انّ
المراد باهل البيت فى الاية هؤلاء المذكورون ثبت
انّ اجماعهم بل قول كلّ منهم بحياله حجّة لانّ اذهاب
الرجس ووقوع التطهير يستلزم عدم العصيان والمخالفة
لاوامر الله ونواهيه فوقوع الخطاء منهم مامون

فالاقتداء بهم والاخذ بقولهم وفعلهم وتقريرهم دون
من لم يؤمن وقوعه منه وتطرق الرجس اليه واجب و
من العجب ان هذا القاضي يجوز في حكمه فيقضي
على خلاف ما ورد من طرقه فيذكر منه ما يقبل التاويل
الى ما يطابق دينه وهواه ويوافق مذهبه واشتهاه
ويترك او يتناسى مما نص بالباب والله يهدي
من يشاء الى الصراط السوي والطريق الصواب ولنذكر
نبذا مما ورد على ذلك في طرق الشيعة ففي كتاب
كمال الدين وتمام النعمة باسناده الى سليم بن قيس
الهلالي عن صاحب الدعاء جعلت له الفداء انه قال
في اثناء كلام له في جمع من المهاجرين والانصار في المسجد
في ايام خلافة عثمان ايها الناس اتعلمون ان الله عز و
جل انزل في كتابه انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس
اهل البيت ويطهركم تطهيرا فجمعني وفاطمة وابني

حسنا وحسينا والقى علينا كساءه وقال اللهم
ان هؤلاء اهل بيتي ولحمتي يؤلمني ما يؤلمهم ويجرحني
ما يجرحهم فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فقالت
ام سلمة وانا يا رسول الله فقال انت والى خير انما
انزلت في وفي اخي وفي ابنتي وفي ابني وفي تسعة من ولد
ابني الحسين خاصة ليس معنا فيها احد غيرنا فقالوا
كلهم نشهد ان ام سلمة حدثتنا بذلك فسالنا رسول
الله ص فحدثنا كما حدثتنا ام سلمة وفي علل الشرائع
باسناده الى عبد الرحمن بن كثير قال قلت لابي عبد الله ع
ما عنى الله عز وجل بقوله انما يريد الله ليذهب الاية
قال نزلت هذه الاية في النبي ص وامير المؤمنين ع وفاطمة
والحسن والحسين عليهم السلام فلما قبض الله نبيه كان امير المؤمنين
ثم الحسن ثم الحسين ثم وقع تاويل هذه الاية واولوا الارحام
بعضهم اولى ببعض في كتاب الله وكان علي بن الحسين

ثم جرت فى الائمة من ولده الاوصياء فطاعتهم طاعة
الله ومعصيتهم معصية الله عز وجل وفى الاحتجاج
عن على بن الحسين ع فى حديث طويل يقول فيه لبعض
الشاميين فهل تجد لنا فى سورة الاحزاب حقا خاصة
دون المسلمين فقال لا قال ع اما قرات هذه الاية
انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس الاية والاخبار
فى ذلك من الطريقين اكثر من ان تحصى وفيما اوردناه
كفاية لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد
ومنه يظهر ان العصمة وان كانت من الامور الممكنة
الحصول فى غيرهم الا انها فى هذه الامة انحصرت
فيهم وخصت بهم واليه يشير قول صاحب التجريد لوجوب
العصمة وانتفائها عن غيرهم وفى معانى الاخبار
عن على بن الحسين ع الامام منا لا يكون الا معصوما
وليست العصمة فى ظاهر الخلقة فتعرف بها فلذلك

يكون

لا يكون الا منصوصا وفى مجمع البيان استدلت
الشيعة باختصاص هذه الاية بهؤلاء الخمسة بان
قالوا انما لاثبات ما يذكر بعده ونفى ما سواه اذا تقرر
هذا فالارادة فى الاية اما ارادة محضة او ارادة يتبعها التطهير
واذهاب الرجس لا سبيل الى الاول لانه تع قد اراد من كل
مكلف هذه الارادة المطلقة فلا اختصاص لها
باهل البيت ولان هذا القول يقتضى المدح والتعظيم لهم
ولا مدح فى الارادة المجردة فثبت الثانى وفى ثبوته ثبوت
عصمة المعنيين بالاية من جميع القبائح وقد علمنا ان
من عدا من ذكرنا من اهل البيت غير مقطوع على عصمته
فثبت ان الاية مختصة بهم انتهى ولعل السبب فى
ذلك الاختصاص علم الله بقبول المحل له دون غيره
واليه يشير قوله الله يعلم حيث يجعل رسالته و
يجوز ان يكون ذلك من انفسهم بحيث لا يختارون

المعصية مع قدرتهم عليها لوفور عقلهم وكثرة علومهم
ومداومتهم على التفكر والنظر وملازمتهم على الطاعات
ومواظبتهم على العبادات والحاصل انهم من حيث هم بشر
متعلقون بجلابيب ابدانهم البشرية وقوالبهم الناسوتية
وان كانوا مائلين الى المعائب والامور الدنية
وما هو من مقتضى الطبيعة النوعية واللوازم البشرية
الا انه حصل لهم لطهارة انفسهم القدسية وكمالها
في نفسها بثبات قوتها المتفكرة واستقامة وهمها منقادا
تحت قلم العقل سواء في ذلك صغيرهم وكبيرهم لما
ثبت من امامة الجواد والقائم عليهما السلام بالسنة المتواترة
القاطعة في حد الصبى من العناية الازلية ما يمنعهم
عن ذلك كصحبة عالم القدس والتشبه بالمبادى العالية
والملائكة المقربين والتخلق باخلاق الله رب
العالمين وهذا معنى قولهم العصمة لطف يفعله الله

بالمكلف بحيث لا يكون له داع الى ترك الطاعة
وارتكاب المعصية مع قدرته على ذلك وامكان
صدور خلافها عنه وبالجملة المعصومون من البشر لهم
جهتان ناسوتية ولاهوتية فبالاولى يقع عليهم ما
يقع على غيرهم من الاحوال المشتركة واللوازم البشرية
كالاكل والشرب والنوم والحركة وغيرها من التناكح
والتناسل وبالثانية يقهرون قوى انفسهم المتضادة
واهوائها المتنازعة المتداعية الى الشرور والغرور
وبذلك يكون افضل من الملائكة اذ لهم امور متضادة
للقوة العقلية وشواغل من الطاعات العملية كالشهوة
والغضب وسائر الحاجات الشاغلة والموانع الخارجة
والداخلة فالمواظبة على الطاعات والمداومة على
العبادات وتحصيل الكمالات بالقهر والغلبة
على ما يضاد القوة العقلية يكون احمز وابلغ في

استحقاق الثواب ولا معنى للافضلية الا زيادة استحقاق
الكرامة والثواب وقد سبق ان هذه المحبة انما
تحصل بدوام الفكر وقصر النظر في نعوت كماله
وصفات جماله وجلاله وحقايق مخلوقاته وبدائع
مصنوعاته وخواص مبدعاته وبالجملة بالتبتل عن
دار الغرور والتوصل الى عالم النور والبه يشير قول صاحب
الدعاء جعلت له الفداء وقد سئله اعرابي بم نلت ما
نلت قعدت على باب قلبي فلم ادع ان يدخله
سوى الله عليه من الصلوات افضلها ومن التحيات اكملها
تذنيب وسط عليه السلام الدعاء لنفسه بالدعاء للنبي صلى الله عليه وآله
لوجوه احدها انه من اعظم الدعاء اسباب اجابته فيكون الدعاء معه
اقرب الى محل الاجابة حيث وقع بين منجحا بين فانه سبحانه اكرم
من ان يقبل الطرفين ويرد الوسط قال الصادق عليه السلام من كانت
له الى الله حاجة فليبدا بالصلوة على محمد واله ثم

يسئل

يسئل حاجته ثم يختم بالصلوة على محمد واله فان الله عز وجل
اكرم من ان يقبل الطرفين ويدع الوسط اذا كانت
الصلوة على محمد واله لا تحجب عنه وعن صاحب الدعاء
عليه صلوات الله ما دامت الارض والسماء اذا كانت
لك الى الله سبحانه حاجة فابدء بمسئلة الصلوة على النبي صلى الله عليه وآله ثم
سل حاجتك فان الله عز وجل اكرم من ان يسئل حاجتين
فيقضي احدهما ويمنع الاخرى وذلك ان من باع امتعة
صفقة واحدة فان المشتري لا يسوغ له اخذ الصحيح و
رد المعيب بل اما ان يرد الجميع او يقبل الجميع فهنا
الداعي مزج الدعاء لنفسه بدعاء غيره من النبي واله
وعرض الجميع صفقة واحدة على حضرة ذي الجلال
والاكرام فهو سبحانه اجل واكرم من ان يرد المعيب و
يقبل الصحيح كيف وقد نهى عن ذلك عباده ولا يليق
بكرمه جل شانه رد الجميع لان بعضه مقبول البتة

فابدء ثم

فلم يبق الا قبول الجميع وفيه المطلوب الثاني ان النبي ص
وآله عليهم السلام وسائط بين الله سبحانه وبين عباده في
قضاء حوائجهم ونجاح مطالبهم وهم ابواب معرفته
عز وجل فلا بد من التوسل بذكرهم في عرض الدعاء
عليه وقبوله لديه وذلك كما اذا اراد احد من
الرعية اظهار حاجته على السلطان توسل بمن يعظمه
ولا يرد قوله وعن سلمان المحمدي صلى الله عليه وآله
قال سمعت محمدا ص يقول ان الله عز وجل يقول يا عبادي
اوليس من له اليكم حوائج كبار لا تجودون بها الا
ان يتحمل عليكم باحب الخلق اليكم تقضونها كرامة
لشفيعهم الا فاعلموا ان اكرم الخلق علي وافضلهم لدي
محمد واخوه علي ومن بعده من الائمة هم الوسائل الى
الله والا فليدعني من همته حاجة يريد نفعها او
دهمته داهية يريد كشف ضرها بمحمد وآله الطيبين

الطاهرين

الطاهرين اقضها له باحسن ما يقضيها من تستشفعون
باعز الخلق عليه فقال له قوم من المشركين والمنافقين
وهم مستهزؤن به يا ابا عبد الله فما لك لا تقترح على
الله بهم ان يجعلك اغنى اهل المدينة فقال سلمان
دعوت الله وسئلته ما هو اجل وانفع وافضل من
ملك الدنيا باسرها وافضله سئلته بهم صلى الله عليهم
ان يهب لي لسانا ذاكرا لتحميده وثنائه وقلبا
شاكرا لآلائه وبدنا لدواهي الداهية صابرا
وهو عز وجل قد اجابني الى ذلك وهو افضل من ملك
الدنيا بحذافيرها وما يشتمل عليها من خيراتها مائة
الف الف مرة وعن الصادق ع لا يزال الدعاء محجوبا
حتى يصلي على محمد وآله وعنه ع من دعا ولم يذكر
النبي ص رفرف الدعاء على راسه فاذا ذكر النبي ص رفع
الثالث انه ص اب معنوية للامة من حيث الشفقة

على دواهي صح

والنصيحة فيجب الدعاء له على كل احد من امته
قضاء لحق تعليمه وتكريمه وفي الحديث يا علي انت
وانا ابوا هذه الامة وقد ثبت عند ارباب التحقيق انه ص
ابو الارواح كما ان ادم عليه السلام ابو الاجساد فقال
بعض اصحابنا المتاخرين ان الارواح كلها مخلوقة
من روح واحد وهي روح النبي ص فروحه اصل الارواح
فكما ان ادم عليه السلام كان ابا البشر وخليفة الله في
الارض كان النبي ص ابا الارواح وخليفة الله في
عالم الارواح فالروح خليفته ومجتمع صفاته الذاتية
كالعلم والحيوة والقدرة والارادة والسمع والبصر
والكلام والبقاء والجسد خليفة الروح وهو
مجتمع صفاته الفعلية وذلك ان الله لما خلق روح
النبي ص كان الله ولم يكن معه شيء آخر حتى ينسب او يضاف
اليه الروح غير الله بل كان روحه اول شيء تعلقت به

القدرة الازلية ولذلك شرفه تشريف الاضافة الى
نفسه وهو روح النبي ص كما قال واذا سويته و
نفخت فيه من روحي ولم يقل نفخت فيه روحي بدون من ليكون
دلالة على ان الروح المنفوخ في ادم هو بعينه روح النبي ص
بل كان روح ادم متولدا منه فالنبي ص الاب الروحاني
لابي البشر ولسائر الانبياء وابو البشر الاب الجسماني للنبي ص
وسائر البشر كما قال واني وان كنت ابن ادم صورة
فلي فيه معنى شاهد بابوتي وكذلك ارواح اولاد
ادم مخلوقة من روح النبي ص لقوله ثم جعل نسله من
سلالة من ماء مهين ونفخ فيه من روحه وكما قال
في حق روح عيسى ع ونفخنا فيه من روحنا فكانت
النفخة لجبرئيل والروح من روح النبي ص المضاف الى
الحضرة الالهية ولاجل كون حقيقة الروح على
هذه المنزلة والشرف قصرت افهام الناس وتلاشت

العقول عن دركها كما تتلاشى انوار الابصار في
شعاع الشمس ولهذا قال الله تعالى وما اوتيتم من العلم
الا قليلا فافهم هذا المقال فانه مدرك عزيز المنال
انتهى كلامه تتميم نفعه عميم ما تضمنه الدعاء
من الاعتراف بالذنوب والمعاصي والاقرار بالخطايا
والسيئات والمساوي مع عصمة صاحب الدعاء و
طهارته كما سبق محمول اما على تاديب الرعية وتعليمهم كيفية
الاقرار والاعتراف بالتقصير والذنوب والاستغفار
عنها والتوبة منها او على التواضع والاعتراف بالعبودية
وان البشر في مظنة المعصية وليسوا كالملائكة
الذين لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون
ويؤيده ما روي عن صاحب الدعاء جعلت له الفداء
انه مر بقوم من اخلاط المسلمين ليس فيهم مهاجري ولا
انصاري وهم قعود في بعض المساجد في اول يوم

من شعبان واذا هم يخوضون في امر القدر وغيره مما
اختلف فيه الناس قد ارتفعت اصواتهم واشتدت
فيه جدالهم فوقف عليهم فسلم فردوا عليه ووسعوا له
وقاموا اليه يسئلونه القعود اليهم فلم يحفل بهم ثم
قال لهم وناداهم يا معشر المتكلمين الم تعلموا ان
لله عبادا اسكتتهم خشيته من غير عي ولا
بكم وانهم الفصحاء العقلاء الالباء العاملون
بالله واياته ولكنهم اذا ذكروا عظمة الله انكسرت
السنتهم وانقطعت افئدتهم وطاشت عقولهم وتاهت
علومهم اعزازا لله واعظاما واجلالا فاذا افاقوا
من ذلك استبقوا الى الله بالاعمال الزاكية يعدون
انفسهم مع الظالمين والخاطئين وانهم برآء من
المقصرين والمفرطين الا انهم لا يرضون بالله بالقليل و
لا يستكثرون لله الكثير ولا يدلون عليه بالاعمال

فهم اذا رايتهم مهيمون مردعون خائفون مشفقون
وجلون فاين انتم منهم يا معشر المبتدعين الم تعلموا ان
اعلم الناس بالضرر اسكتهم عنه وان اجهل الناس
بالضرر انطقهم فيه وله مؤيدات اخر يمنعني عن
ايرادها خوف التطويل فاكتفيت فيه بذكر هذا القدر
القليل والله الهادي الى سواء السبيل جعلنا الله واياكم
من العالمين بالضرر والساكتين عنه وخاصة عن امر القدر
فانه من زخاليف الاقدام والخائض فيه لا يخلو عن
الخطر ولذا نهى عنه رسول الله وعترته المعصومون
سادات البشر عليه وعليهم صلوات الله وسلامه
ما بزغت الشمس والقمر والحمد لله رب العالمين على توفيقه
للاتمام والصلوة على رسوله واله البررة الكرام
خير البرية واشرف الانام سوده في عنفوان شبابه و
نقله من السواد الى البياض بعد شيبته ونفاد ايامه

واقتراب اجله وكان السبب العائق له عن ذلك
امورا شرحها يوجب الاطناب ونقلها يدهش الالباب
ويشوش الاحباب والى الله المشتكى ثم الى رسوله
واله ائمة الهدى العبد الحقير الاثيم مولاه
الجليل محمد بن حسين بن محمد رضا
المازندراني الشهير باسمعيل
عفى الله عن جرائمهم
بمحمد واله



تمّ

الامر حسب الامر جناب مستطاب اجل عالی لا زال دودمان مصطفوی و نقاوه
خاندان مرتضوی صاحب الجود والاحسان والبر والامتنان انسان العین
و عین الانسان آقا میرزا مرتضی قلیخان مستوفی باشی ادام الله [illegible] بنیان [illegible] المعالی
آنکه اندر بحر معنی در صدف یک گوهر است کز صدف بشکسته خورشید را
حرره العبد المشهدی مصحح کتابخانه مبارکه رضوی علیه السلام ۱۳۳۲

٤٢٤
١١ ٢١٢

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

